جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit, Palestine

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية: انتفاضة الأقصى نموذجاً

The Impact of the Israeli Psychological Warfare on Palestinian People: AL-Aqsa Intifada as A Model

رسالة ماجستير مقدمة
من الطالب : يوسف محمد قاسم

إشراف : د. عبد الرحيم الشيخ

2007

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit, Palestine

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية: انتفاضة الأقصى نموذجاً

The Impact of the Israeli Psychological Warfare on Palestinian People: AL-Aqsa Intifada as A Model

رسالة ماجستير مقدمة

من الطالب : يوسف محمد قاسم

لجنة المناقشة

د. عبدالرحيم الشيخ / رئيساً

د. عبدالستار قاسم / عضواً

د. صالح عبد الجواد /عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

من كلية الآداب في جامعة بيرزيت – فلسطين

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية:
انتفاضة الأقصى نموذجاً

The Impact of the Israeli Psychological Warfare on Palestinian People: AL-Aqsa Intifada as A Model

رسالة ماجستير مقدمة

من الطالب : يوسف محمد قاسم

لجنة المناقشة

د. عبد الرحيم الشيخ / رئيساً

.....

أ.د. عبد الستار قاسم / عضواً

.....

د. صالح عبد الجواد / عضواً

. .....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من كلية الآداب في جامعة بيرزيت – فلسطين.

تاريخ النقاش 9/6/2007

الإهداء

إلى نفس الشهيد القائد ياسر عرفات...

إلى شعبنا الفلسطيني المناضل من أجل الحرية والاستقلال. ..

إلى الأهل والأحبة جميعا...

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجزيل إلى أولئك الذين قدموا لي الدعم المعنوي وكانوا لي بمثابة الداعم المتواصل، لهم كل العرفان والشكر والتقدير.

إلى والدي ووالدتي اللذين هم أغلى ما في الوجود

إلى زوجتي وأولادي حنين، احمد ، محمد الذين قدموا لي كل أشكال الدعم والمثابرة.

إلى الأخ الدكتور المشرف عبد الرحيم الشيخ.

إلى الأخ الدكتور عبد الجواد صالح.

إلى الأخ الدكتور عبد الستار قاسم.

إلى الإخوة الأساتذة الكرام في جامعة بيرزيت.

إلى زملائي وزميلاتي في وزارة الصحة.

إلى الإخوة الزملاء في مكتبة بلدية البيرة وأخص منهم الأخ سليم البسط والأخ عامر عوض الله الذين لم يبخلوا من وقتهم للعطاء.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	**IV**
شكر وتقدير	**V**
قائمة المحتويات	**VI**
الملخص	**IX**
Abstract	**XI**
المقدمة	**ا**
الفصل الأول	
صورة الفلسطيني في الاستعمار الصهيوني	
1. 1 تمهيد	**1**
1. 2 الصهيونية كمشروع استعماري	**1**
1. 3 صورة الفلسطيني كما يراها المستعمر	**7**
1. 4 إطار مقارن للحرب النفسية	**12**
الفصل الثاني	
الحرب النفسية نشأتها وتطورها، مفهومها، وأهميتها وأنواعها وأهدافها وأساليبها ووسائلها	
2. 1 تمهيد	**18**
2. 2 مدخل عام إلى الحرب النفسية	
2 . 2 . 1 نشأة وتطور الحرب النفسية وتعريفها	**19**
2 . 2. 2 تطبيقات الحرب النفسية في مدارس علم النفس	**26**
2 . 2 . 3 مفهوم الحرب النفسية في العمليات العقلية	**30**
2 . 2. 4 أهمية الحرب النفسية	**33**

2 . 2 .5 أنواع الحرب النفسية	35
6 . 2 .2 مجالات الحرب النفسية وأهدافها	37
3 . 2 أساليب الحرب النفسية	**40**
1 .3 .2 الإشاعة	**40**
2 .3 .2 الأسطورة	**45**
3 .3 .2 غسيل الدماغ	**47**
4 .3 .2 الدعاية	**50**
5 3 .2 افتعال الأزمات والتخريب	**53**
6 .3 .2 إلقاء الرعب (التخويف والردع	**55**
7 . 3 .2 التشكيك بقدرات الخصم	**57**
8 .3 .2 التهكم والاستهزاء والسخرية	**58**
4 .2 وسائل الحرب النفسية	**61**
1 .4 .2 الإذاعة والتلفاز	**63**
2 .4 .2 الصحف والمجلات والكتب	**64**
3 .4 .2 المنشورات والبيانات	**66**
4 .4 .2 مكبرات الصوت	**68**
5 .4 .2 الطابور الخامس	**69**
6 .4 .2 المواد المصورة والكاريكاتير	**71**
7 . 4 .2 وسائل أخرى للحرب النفسية	**72**

الفصل الثالث الأساطير الصهيونية والمجازر لنفي الآخر

3 . 1 تمهيد **74**

3 . 2 الأساطير وأفضلية الشعب اليهودي لتحقيق حلم العودة **75**

3 . 3 المجازر لنفي وجود الفلسطيني تاريخياً **85**

3 . 4 طمس الهوية الوطنية الفلسطينية بعد إنشاء الدولة العبرية **88**

الفصل الرابع وسائل الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى

4 . 1 تمهيد **101**

4 . 2 الإعلام الإسرائيلي **101**

4 . 3 المنشورات والملصقات **113**

4 . 4 مكبرات الصوت والضجيج **118**

4 . 5 الجواسيس والعملاء **119**

الفصل الخامس آليات الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى

5. 1 تمهيد **128**

5 . 2 عودة إلى الأساطير والإشاعات وقلب المفاهيم **128**

5 . 3 الإغلاق والحواجز والحصار الاقتصادي **136**

5 . 4 سياسة هدم المنازل **143**

5 . 5 سياسة الاغتيالات والقتل المستهدف **145**

5 . 6 سياسة الاعتقالات والتحقيق **151**

الفصل السادس أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى

6. 1 تمهيد **163**

6. 2 الاستفراد بالخصم **164**

6 . 2 كي الوعي الفلسطيني والقوة لخفض التوقعات وتغيير الاتجاهات **168**

6 . 3 إسرائيل الضحية والفلسطيني القاتل **171**

6. 4 استهداف الأمن النفسي والاجتماعي لإضعاف المعنويات **173**

6 . 5 تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التناقضات **175**

6. 6 الردع 178

6 . 7 تضليل الرأي العام العالمي **180**

ملاحظات نقدية **184**

قائمة المصادر والمراجع **189**

ملخص

اعتمدت الحركة الصهيونية منذ نشأتها على الدعاية الموجهة إلى العالم، بمن فيه الفلسطينيين واليهود أنفسهم، لإقامة الدولة الصهيونية. وقد لجأت إلى أساليب متعددة من الدعاية لإقناع اليهود بالعودة إلى "أرض الآباء والأجداد"، وتوجهت أيضا إلى الفلسطينيين بأن عليهم الاستعداد للرحيل عن "الأرض التي وعد الله بها شعبه المختار"، ثم توجهت الدعاية الصهيونية أيضا إلى العالم الغربي للحصول على دعمه وتأييده لإقامة دولتهم على أرض فلسطين. اعتمدت الدعاية الصهيونية في ذلك على مجموعة من الأساطير التاريخية والدينية لإقامة دولة اليهود التي بشر بها هرتزل.

سيحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال مركزي يتعلق بأثر وسائل وآليات الحرب النفسية المختلفة التي طبقتها إسرائيل على الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى التي اندلعت في العام 2000. ومن أجل ذلك، كان لا بد من دراسة الأساس النظري للحرب النفسية، مفهومها، وأساليبها، ووسائلها، والوقوف أيضا على طبيعة الحرب النفسية التي يشنها المستعمر وفق الصورة التي يرسمها للشعب الرازح تحت الاستعمار. هذه الصورة التي عززتها الأساطير الصهيونية، وتم توظيفها لمزيد من المجازر لنفي الفلسطيني.

لقد عملت الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد الفلسطينيين من خلال مجموعتين من الآليات: تمثلت الأولى في مجموعة الإجراءات الموجهة ضد الفرد، بهدف تعديل سلوكه بشكل سلبي نحو المجتمع، نتيجة لعوامل الإحباط والخوف والقلق وانعدام الأمن، مما يؤثر على المجتمع بأسره، ويبرر خلق حالة من التناقضات فيه. بينما استهدفت المجموعة الثانية من الآليات، المجتمع الفلسطيني بأسره من خلال سلسلة متواصلة من آليات الحرب النفسية الموجهة للمجتمع بشكل عام، ومنها: الحصار، والإغلاق، والحواجز، العسكرية، وسياستي الاغتيالات، والاعتقالات، ودورها في إخضاع الشعب الفلسطيني وفق المدركات الإسرائيلية وتصوراتها السياسية. اعتمدت هذه الدراسة على تحليل الأدبيات الإسرائيلية والفلسطينية حول

الموضوع، إضافة إلى الأدبيات العربية والعالمية التي تناولت الموضوع من جوانبه المختلفة.وسوف تحاول الدراسة أيضا إيضاح الأهداف الحقيقية للحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، من خلال أبعادها التاريخية والسياسية "ومسيرة السلام" في المنطقة.

لقد استطاعت إسرائيل تحقيق عدد من أهداف الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى، كان من بينها تحقيق هدف الاستفراد بالخصم وعزله عالميا وعربيا وشعبيا، وعملت أيضا على كي الوعي الفلسطيني لخفض سقف التوقعات وتغيير الاتجاهات، واستطاعت أيضا قلب المفاهيم من خلال تصوير الإسرائيلي بالضحية والفلسطيني بالقاتل، إضافة إلى استهدافها للأمن النفسي والاجتماعي لإضعاف المعنويات، وتحطيم وحدة الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التناقضات، ومن جانب أخر حققت إسرائيل من خلال الآليات المختلفة للحرب النفسية عامل الردع والقيام بعملية تضليل شاملة للرأي العام العالمي.

Abstract

Since the emergence of the Zionist movement, it depended on propaganda directed towards the world, including Palestinians and Jews themselves, for the sake of establishing a Zionist-Jewish state. It has been employing various methods of propaganda to convince Jewish groups and individuals to return to the 'fathers land' on the expense of the very existence of the Palestinians who consider themselves as the natives of the same 'promised land.' The Zionist propaganda turned to the western world to get its support to establish its Zionist state exclusively for the Jews on the land of historic Palestine. The Zionist propaganda has been based on a number of meta-historical and religious myths in order to legitimate the creation of a Jewish state for the Jewish community that has been reconstructed in a national sense.

The most crucial and sole question this research attempts to answer is: what is the impact of different means and mechanisms of the psychological warfare carried out by the state of Israel against the Palestinian people during Al–Aqsa Intifada of the year 2000? This research examines the theoretical framework of psychological warfare, in addition to its methods, concepts, and means. For further problematization, it explores the nature of psychological warfare waged by the colonizer with an explicit image of the colonized within the Israeli colonial condition.

This research asserts that the Israeli psychological warfare against the Palestinian people has achieved some of its aims for it has been structured through different mechanisms: (1) a series of violent actions directed towards individuals to negatively modify their behavior towards their national community through factors of frustration, fear, anxiety, and insecurity that affects the whole society. And (2) a set of mechanisms targeting the entire

Palestinian community such as: blockades, closures, military invasions, political assassination, imprisonment, and other modes of collective punishment.

A voluminous literature in the field that has been written by Arabs, Israelis, and others, has been examined in this study. However, it attempts to fill the lacuna in this literature that has never bridged the gap between the analytical frameworks of psychological warfare carried out between independent countries at war, in general, and the social and political contexts of certain colonial condition like that between Israel and the Palestinians.

أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية
خلال انتفاضة الأقصى

مقدمة

في الوقت الذي تستهدف الحرب التقليدية تدمير الممتلكات والأموال والأجساد وإلحاق الهزيمة الشاملة بالخصم، فإن نوعاً آخر من الحرب قد اتضحت معالمها منذ الربع الأول من القرن المنصرم وازدادت وضوحاً في الربع الأخير منه وبداية القرن الحالي حيث استخدمت هذه الحرب من قبل الدول العظمى في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفي حروب إسرائيل ضد الدول العربية، وكذلك الحال في حربي الخليج الثانية والثالثة ضد العراق. واستخدمت هذه الحرب على نطاق واسع من قبل إسرائيل في الانتفاضة الأولى والثانية، وأخيراً كانت هذه الحرب حاضرة في المواجهة الأخيرة بين إسرائيل وحزب الله في تموز 2006. إنها الحرب النفسية التي من أهدافها: التأثير على عقول الناس، وصحتهم النفسية، ومحاولة تثبيط عزيمتهم وإرادتهم، وإضعاف الروح المعنوية لديهم، ودفعهم إلى الاستسلام. إنها التشكيك بالهدف والعقيدة اللتين يقاتل من أجلها الإنسان مستخدمة بذلك التكنولوجيا الحديثة والاتصالات ووسائل الإعلام وما تبثه من دعاية وإشاعات من أجل تحقيق أهدافها.

الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد العرب ليست جديدة، بل يعود تاريخها منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897، حيث عملت الحركة الصهيونية على تشريد الشعب الفلسطيني من أرضه متّبعة سياسة التهويل والترهيب، مستغلة التأييد العالمي لليهود. وهكذا، كان يكفي لليهود قتل بعض الفلسطينيين في إحدى القرى العربية ليكون سبباً مباشراً في هجرة كافة سكان القرية والقرى المجاورة. وفيما بعد العام 1948، طبقت إسرائيل سياسة (الترانسفير) التهجير الزاحف أو الصامت والتي كان من أهدافها : طمس الهوية الفلسطينية، وخلق جيل جديد يجهل حقيقة الانتماء إلى الأرض، وتفكيك البناء الاجتماعي، والقضاء على المؤسسات الاجتماعية والتعليمية، وإغلاق الجامعات، وتحويل الحياة اليومية للفلسطينيين إلى حياة صعبة ومؤلمة، وربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي. لقد هدفت هذه السياسة إلى المسّ بمعنويات الشعب الفلسطيني أفرادا وجماعات، بشكل يؤدي إلى دفع السكان للهجرة.

وفي الوقت الذي عملت فيه إسرائيل على تطبيق آليات الحرب النفسية ضد العرب والفلسطينيين في صورها المتعددة، عمل في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كبار علماء النفس في إسرائيل، وأخذت الأكاديميات والجامعات المتخصصة في هذا المجال دورا في تزويد هذه المؤسسة بالكفاءات العلمية، إضافة إلى تعزيز صمود المجتمع الإسرائيلي. في حين نجد أن العرب لم يعطوا الاهتمام الكافي لهذه الحرب سواء في المؤسسات العسكرية أو الأكاديمية، اللهم بعض جهود وسائل الإعلام العربية المخصصة للتعبئة المعنوية التي لا تحظى بصدقية عالية.

تعطي الحرب النفسية قوة إضافية لا يستهان بها للقيادة العسكرية، وقد أدركت إسرائيل أهمية هذه الحرب، ولكن اهتمام العرب بهذا المجال ما زال ضعيفا. فالدراسات والأبحاث التي تناولت الحرب النفسية الإسرائيلية في العالم العربي ما زالت محدودة، وتفتقد المكتبات العربية لمراجع حول هذا الموضوع، لذلك فقد حاول الباحث ملء فراغ مهم في المكتبة العربية. تحاول هذه الدراسة الوقوف على جانب وعامل لا يقل عن عامل القوة العسكرية في الصراع العربي الإسرائيلي، إنه عامل الحرب النفسية الذي أصبح ينظر إليه كعنصر هام في حسم الصراع، ورفع الروح المعنوية أو إضعافها. ونظراً لأن الصراع عموما والحرب النفسية بخاصة، لم تحسم بعد في الصراع العربي الإسرائيلي، فإن الباحث يرى أن عملية تشخيص هذه الظاهرة ودراسة آثارها على جانب كثير من الأهمية.

الحرب النفسية الإسرائيلية لم تكن حديثة على الإطلاق، فقد استعملت هذه الحرب منذ اليوم الأول للمؤتمر الصهيوني في بازل 1997، وكذلك الحال في جميع حروب إسرائيل مع الدول العربية سواء كانت حروباً منظمة أو غير منظمة. ولذا، ثمة إشكالية ذات طابع قديم صبغت بها الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد العرب والفلسطينيين بشكل خاص. وهي التساؤل عن ماهيّة الصورة التي رسمت عن العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص في العالم الغربي. ويزامل هذه الإشكالية إشكالية أخرى تتعلق بماهيّة وسائل وأساليب الحرب النفسية الإسرائيلية المختلفة التي أثرت على الفرد من جانب، وعلى المجتمع الفلسطيني من جانب آخر. وما هو أثر هذه الحرب على الذات الفلسطينية الجمعية؟ وعليه تسعى هذه الدراسة إلى حسم هذه الإشكاليات من خلال سؤال مركزي يحاول الباحث الإجابة عنه :

ما هي وسائل وأساليب الحرب النفسية الإسرائيلية التي استعملتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني داخليا، عربيا وخارجيا؟ وما هو أثر هذه الوسائل والأساليب على الذات الفلسطينية في انتفاضة الأقصى؟

تقوم هذه الدراسة على فرضية رئيسة مفادها : أن هناك منهجية إسرائيلية واضحة في الحرب النفسية لها وسائل وأساليب عامة وخاصة، وقد استخدمت ضد الفلسطينيين إلى جانب مجموعة من الإجراءات على الأرض موجهة نحو الذات الفلسطينية وذلك على النحو التالي.

أولاً:-عند القيام بالعنف والمجازر كانت إسرائيل تقوم بحملة دعائية مبنية على الأساطير هدفها التأثير نفسياً على الطرف الفلسطيني داخليا وخارجيا. فقد اعتمدت على مجموعة من الأساطير التي استمدت من التوراة ووضعت أساسا لقيام دولة إسرائيل وإعادة شعب الله المختار إلى الوطن الموعود. وقد استخدمت كذلك أساطير سياسية لاحقا، وكانت الأسطورة التي وظفتها **في** انتفاضة الأقصى معتمدة على ما عرف "بعرض باراك السخي في كامب ديفيد" ورفض الفلسطينيين للتصالح معها، والحصول على تأييد العالم أو تحييد بعضه وضمان صمته أمام ارتكاب مزيد من الجرائم والمجازر. ثانيا: عملت إسرائيل من خلال وسائل الإعلام المختلفة على تضخيم الأحداث وقلب المفاهيم وتشويه صورة الفلسطيني لتبرير أعمالها، ثالثا: ركزت في حربها النفسية على عاملين: العامل الأول يتعلق بالفرد، من حيث إسقاط وتجنيد العملاء، والحصول على اعترافات من المعتقلين، إضافة إلى إذلال وإهانة الأفراد عبر الآليات المختلفة للحرب النفسية، والعامل الثاني يتعلق بإجراءات على الأرض ضد الشعب الفلسطيني، تمثلت في الحصار والإغلاق والاغتيالات والاعتقالات بهدف خلق حالة من الإحباط، رابعا: حاولت ومن خلال سياسة "كي الوعي " إلى جانب استخدام القوة العسكرية المفرطة تعزيز الشعور بالإحباط وتدمير الذات الفلسطينية.

سيتم اعتماد منهج تحليل المضمون كمنهج للدراسة. ذلك، أن هذا المنهج يتمتع بالمرونة الكافية من لهذا المنهج. لكن من الصعوبات التي تواجه الباحث في تحليل المضمون وجود بعض الوثائق المزورة والمحرّفة مما يؤدي إلى نتائج خاطئة. ولكن يستطيع الباحث التقليل من هذه الصعوبات، من

خلال نجاحه في اختيار العينة الممثلة عن الوثائق، واستخدام المنهج العلمي في نقدها قبل دراستها وتحليلها.

يعرِّف البعض منهج تحليل المضمون بأنه: أداة لوصف الموضوع المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال، وأنه يستخدم في تصوير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة في المجتمع، ويشمل مجاله الكتب والمجلات والخطب السياسية والصور والأفلام السينمائية. وأصبح منهجا يستخدم في مجالات علم السياسة وعلم النفس وعلم الاجتماع. يستند أسلوب تحليل المضمون إلى أن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها، وصحفها، وآدابها، وفنونها، وأقوالها، وملابسها، وعاداتها. لذلك، فإن تحليل هذه الأدوات يكشف عن اتجاهات هذه الجماعات. ومن الجدير الإشارة هنا إلى أن بعض الدراسات قد استخدمت تحليل المضمون للتعرف على الصفات النفسية لمرسل الرسالة، أو للتعرف على جوانب في الثقافة، والتغير الثقافي لتحليل الإنتاج الأدبي والفكري في الثقافات المختلفة. ولذا، ستعتمد هذه الدراسة على منهج تحليل المضمون لوفائه بمقتضيات البحث العلمي الأكثر قربا من موضوع الدراسة وفرضياتها الأولية.

أما الأدبيات التي تناولت موضوع الحرب النفسية فقد تم تقسيمها بنيويا إلى أربعة محاور: عالميا وعربيا وفلسطينيا وإسرائيليا. ففي المحور العالمي: ثمة مجموعة من الأدبيات عالجت الإطار النظري للحرب النفسية وأساليبها المختلفة والإفادة منها تاريخيا، ركزت على البعد الديني والاجتماعي للحرب النفسية. فقد كشف روجيه غارودي **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**، وما فعلته الصهيونية لسنوات طويلة من احتلال للعقول ومصادرة للمفاهيم، حتى في أكثر البلدان ديمقراطية، في بلدان حقوق الإنسان والإعلام الحر واحترام الرأي والرأي المضاد، ويدين هرطقة الصهيونية التي تقوم على إحلال دولة إسرائيل محل إله إسرائيل (غارودي، 1996: 15). وكشف دينيس سيبفر فكرة عرض باراك السخي إلى ياسر عرفات(سيبفر، 2003 :22)، الذي رفض العرض وأدى إلى نسف مفاوضات كامب ديفيد، ويشير سيبفر إلى ذلك إنها كلمات قاتلة هدفت إلى تضليل إعلامي ضد ياسر عرفات. وفي نفس السياق أيضا تشير تانيا راينهارت إلى السياسة الممنهجة من الجانب الإسرائيلي لتدمير المجتمع الفلسطيني في انتفاضة الأقصى،

وتوضح لنا أيضا أن تغير السياسة الإسرائيلية منذ وصول باراك إلى السلطة وحتى صيف العام 2002 لم يكن رد فعل تلقائي على العنف أو دفاعا عن النفس بل إنها كانت خططا محسوبة تنفذ بصورة منهجية (راينهارت ، 2004 :22).

ألن غريش أيضا استعرض بعض الحقائق حول النزاع الإسرائيلي الفلسطيني منذ العام 1917 من مجازر وقمع وإهانة وإذلال تعرض لها الشعب الفلسطيني منذ بداية النزاع وحتى انتفاضة الأقصى، وأشار أيضا إلى التناقض في الموقف الإسرائيلي، فبينما كانت إسرائيل تطلب من السلطة الفلسطينية القيام بعملية تحد من تصرفات حماس، كانت إسرائيل ترد على ذلك بكبح المفاوضات، مما كان يعطي حماس قوة في معارضة عملية السلام، وعملت إسرائيل أيضا على تكثيف عمليات الانتقام الجماعية مؤججة بذلك نفاذ صبر الشعب الفلسطيني (غريش ، 2003 :99).

أما البعد النفسي النظري فقد أشار ميلوش ماركو إلى أن ظاهرة الحرب النفسية حسب سباير، هي دفع الضحية نتيجة الدعاية في المدى الطويل إلى النشاط المعارض المباشر، أي تحويل الأفكار وجهة أخرى، ونشر الإشاعات وتنظيم الأشخاص الناقمين والعاملين في الخفاء(ماركو، :197339) ويرى الباحث أن ذلك يتفق مع ما أعلن عن إعادة تشكيل وحدة الحرب النفسية ضد الفلسطينيين التي هدفها خوض حملات وعي للتأثير على مواقف الجمهور الفلسطيني من خلال الحرب النفسية. وكذلك أوضح جوردن أولبورت: أن كل إشاعة تنقل شيئا من الحقيقة عبر وسائل الإعلام المختلفة، ولكنه يضيف أن هذه الإشاعة تأتي في غيبة المعايير الأكيدة للصدق، وعندما تنعدم الخبرة في غالبية الأمور يصبح الناس مهيئين للإشاعة دون إمكانية مراجعة معايير الصدق(أولبورت، 1964 :16). أما إدوارد سعيد فقد أشار إلى سياسة قلب المفاهيم وتضخيم الحدث من خلال وسائل الإعلام الإسرائيلية، وتواطؤ الإعلام الغربي الداعم لها، عندما يكون الأمر متعلقا بحادث عرضي من قبل الفلسطينيين، وإخفاء الحدث وحجبه عن وسائل الإعلام عندما يتعلق الأمر بالإسرائيليين(سعيد، 2001: 36).

أما المحور العربي: الاهتمام بموضوع الحرب النفسية عربيا ما زال متواضعاً إلى درجة كبيرة حتى في الجامعات، إذ أن غالبية هذه الجامعات لا تقوم بطرح مساق يختص بالحرب النفسية، بالرغم من أهميتها

في النزاع العربي الإسرائيلي. فالمراجعات العربية في هذا المجال ما زالت ضعيفة، ولا تجد من يربط بين الحرب النفسية والإجراءات الإسرائيلية على أرض الواقع. أشار حامد ربيع إلى عمليات التسميم السياسي التي قامت بها الصهيونية لإدارة الصراع في منطقة الشرق الأوسط، والتسميم السياسي للمنطق الأوروبي خلال الربع الأول من القرن العشرين. وتحدث عن فلسفة العنف في التقاليد الإسرائيلية كمنطق دعائي استخدمته إسرائيل كنوع من الحق والواجب اليهودي في استخدام جميع الأساليب والأدوات دون أي اعتبار لأي قيم خلقية أو مثالية في معاملته للآخرين (ربيع ، 1989: 229).

عالج عبد الرحمن العيسوي أساليب الحرب الدعائية والحرب النفسية، وتأثير الشائعات وعمليات غسيل الدماغ، وعوامل انخفاض وارتفاع الروح المعنوية من الإطار النظري فقط دون أن يتطرق إلى الجانب العملي من تطبيقات الحرب النفسية. وقد أشار عمر هارون خليفة إلى تطبيقات الحرب النفسية في المخابرات الإسرائيلية والتي استندت إليها الحرب النفسية الإسرائيلية. حيث أنه تحدث عن هجرة مجموعة من علماء التحليل النفسي اليهود من ألمانيا النازية للاستقرار في فلسطين في العام 1930، وكيف أن صاحب نظرية التحليل النفسي المشهور سيجموند فرويد كان عضواً في مجلس الجامعة العبرية بالقدس. وتناول طريقة عمل الاستخبارات الإسرائيلية وعملية تدريب الجواسيس في إسرائيل، والتي تقوم على اختبارات نفسية، وقدم بعض التطبيقات العملية في مجال الاغتيالات التي تتم عن طريق الموساد(خليفة، 2000 :147-163).

ورغم جودة عمل خليفة، إلا أن هذا العمل قد اقتصر على العمل المخابراتي دون الاهتمام بأسس الحرب النفسية، التي يرتكز إليها الجيش الإسرائيلي ويؤسس لها وحدة خاصة تسمى وحدة" كي الوعي الفلسطيني". وهذا لا ينقص من القيمة التي قدمها خليفة. وضمن هذا البعد أيضاً ناقش مصطفى الدباغ الحرب النفسية الإسرائيلية، وخصوصا مجالات الحرب النفسية الإسرائيلية على الصعيد الفلسطيني والعربي، وتناول أيضا نظريات وأساليب الحرب النفسية الإسرائيلية(الدباغ، 1998 :265)، ولكن دراسته افتقدت عنصر التجديد، ولو أن دراسته جاءت قبل الانتفاضة الأولى لوجدنا له عذراً، ولكن دراسته لم تتناسب والمتغيرات التي حصلت بعد العام 1987 وما رافقه من توسيع للحرب النفسية الإسرائيلية.

ومن وجهة نظر دينية ناقش أحمد نوفل الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة إلى الداخل ووسائلها المختلفة، مستفيدة من نجاح الأعلام الإسرائيلي في هذا المجال، لخلق دعاية يهودية ناجحة موجهة للعالم. وقد تميزت دراسته بالصبغة الدينية، خصوصا عندما ناقش مسألة الطابور الخامس(نوفل، 1986: 316). أشار محمد محمود المصري إلى إثارة الفتن والتشكيك بجدوى الانتفاضة وتبرير أعمال القتل وإظهار إنسانية إسرائيل في وسائل الإعلام، والإعلام الإسرائيلي المضلل كأساليب الحرب النفسية الإسرائيلية.

وقد تناول عبد الوهاب المسيري جذور العنف الصهيوني من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى ونظرة الصهيونية للعرب بشكل عام في تطابقها مع الاستعمار الغربي، وخلص إلى القول من خلال مقارنة بين الجيبين الاستيطانيين في كل من إسرائيل وجنوب إفريقيا، جعلت نقاط التشابه بين الجيبين أكثر أهمية من نقاط الاختلاف، ولها مقدرة تفسيرية أعلى (المسيري ، 2001 : 109). كما أعاد لجوء إسرائيل إلى العنف في انتفاضة الأقصى إلى العقيدة والأساطير الصهيونية التي نزعت عن الإنسان العربي إنسانيته وغيبته تماما، ولذلك لجأت إسرائيل إلى العنف في انتفاضة الأقصى عندما أدركت أن العربي الغائب لم يغب (المسيري ، 2001 : 319).

وأما في **المحور الفلسطيني** فقد جاءت الأدبيات الفلسطينية أعمق وأشمل في معالجة الجوانب المختلفة للحرب النفسية في الانتفاضة من الأدبيات العربية، فقد ظهرت مجموعة من الدراسات الفلسطينية في هذا المجال منذ بداية الانتفاضة الأولى وذلك نتيجة تأثرها بالحدث وبالدراسات الإسرائيلية في هذا المجال، والتي سنأتي على ذكرها لاحقا. فقد تحدث صالح عبد الجواد عن البيانات الإسرائيلية المزورة خلال الانتفاضة الأولى، وكيف لجأت إسرائيل إلى تزوير البيانات لصالح المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. وذلك بهدف تزوير الحقائق على الأرض، ومحاولة زرع اليأس والإحباط في الشارع الفلسطيني، وزعزعة الثقة بالذات، وإثارة المخاوف(عبد الجواد 1987: 20). وأرفق مجوعة من هذه البيانات المزورة. من جهة أخرى أوضح سميح شبيب من خلال دراسات إعلامية دور وسائل الإعلام الإسرائيلية، وتحديدًا إذاعة صوت إسرائيل، التي اعتبرت من أكثر وسائل الإعلام الإسرائيلية متابعة، ودورها في الحرب النفسية ضد الفلسطينيين. وما خرجت به الدراسة من توصيات تدعو إلى مراقبة وسائل الإعلام

الإسرائيلية والرد عليها في إطار مقاومة الحرب النفسية، التي لا تنفصل عن الحرب العسكرية على الشعب الفلسطيني(شبيب، 2004:). كذلك الحال، تناول جودت مناع قوة الدعاية الإسرائيلية أثناء العدوان لتبرير احتلال بقية الأراضي الفلسطينية. وكيف تعاملت وسائل الإعلام الإسرائيلية في تغطيتها وتعليقاتها لبعض المواضيع ومنها: المجازر والحصار والإغلاق وسياستي الاعتقالات والاغتيالات، ضمن حرب نفسية شاملة على الشعب الفلسطيني، بهدف إجبارهم وإخضاعهم للأمر الواقع من جهة، ومحاولة إسرائيل كسب التأييد بين الصحفيين الأجانب عبر بث رسائل البريد الإلكتروني إلى العالم من جهة أخرى (مناع، 2004 :155-211).

أما بعض الأدبيات الفلسطينية اتخذت منحا إكلينيكيا في معالجتها للموضوع، وذلك بشكل يتناسب والخصوصية الفلسطينية في هذا المجال. فركزت على موضوع العملاء والجواسيس، فقد شرح خضر محمود عباس دور العملاء في ظل الاحتلال وكيفية تجنيدهم، وتحدث عن العوامل التي أدت إلى ارتباط العملاء مع إسرائيل، التي من أهمها العوامل المادية والاقتصادية بالدرجة الأولى(عباس، 2004: 259).ومن بين المقالات أيضاً والتي انفردت بها حركة المقاومة الإسلامية حماس كتيب بعنوان " صراع في الظلام كيفية المواجهة في أقبية التحقيق"، والذي اشتمل على دور العملاء والجواسيس والتحقيق الأمني والتعذيب، ودوره في الضغط النفسي على المعتقلين، بهدف الحصول على الاعترافات(حماس، 2005: 21-22). وتطرق مصطفى كبها وضمن البعد الإعلامي إلى بعض المعايير والأسس التي قامت عليها الصحافة العبرية من تهويل وتستر، والتعامل مع الشعب الفلسطيني من منطق الأنا والاستعلاء، وكيف ساهمت هذه الصحافة في صنع أجواء الحرب وتعبئة الرأي العام الإسرائيلي(كبها، 2001 :122).

تعتبر الدراسة التحليلية الميدانية التي قام بها الباحثان نبيل علقم وشريف كناعنة من الدراسات الفريدة في موضوع تحطيم المجتمع الفلسطيني من قبل الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى، وذلك من خلال دراسة أثار الحواجز العسكرية الإسرائيلية ودورها في الإخضاع والاقتلاع على المجتمع الفلسطيني من خلال سياستي التحطيم المعنوي للأفراد والتحطيم الجماعي لجميع فئات وشرائح المجتمع الفلسطيني (علقم وكناعنة ، 2003 : 12). لقد أوضحت هذه الدراسة جانبا من الحرب النفسية التي طبقتها إسرائيل ضد

الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى إلى جانب مجموعة أخرى من الوسائل التي سيتم الحديث عنها من خلال هذا البحث، لتشكل في مجموعها الحرب النفسية الممنهجة التي عملت إسرائيل على تطبيقها ضد الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى على نحو ما أشارت إليه راينهارت من استراتيجيات التدمير وأوهام السلام التي تم الإشارة لها سابقا.

وضمن السياق نفسه، جاءت دراسة إسماعيل أبو زيادة عن الاحتياجات الاجتماعية والنفسية للفلسطينيين على شمال الضفة الغربية في انتفاضة الأقصى، والتي خلصت إلى وجود تأثيرات نفسية، واجتماعية، واقتصادية، وصحية، وتربوية، وتعليمية، وثقافية، على المجتمع الفلسطيني في شمال الضفة الغربية، وحاجة المجتمع الفلسطيني في هذه المناطق لاستمرارية العمل النفسي والاجتماعي معهم، للتخفيف من معاناة المواطن الفلسطيني نتيجة للعنف والقمع الإسرائيلي (أبو زيادة ، 2005 : 9).

وأخيرا ففي **المحور الإسرائيلي** أشار " رون شلايفر" إلى دور الحرب النفسية في التأثير على الجمهور المستهدف والذي يقسمه إلى فئات ثلاث هي: الداخل وهم الإسرائيليون الذين يتم تصوير العدو بالنسبة لهم على أنه شيطان، والعدو وهم الفلسطينيون الذين لا أمل لهم في كسب الحرب، والجمهور الحيادي الذي يهدف إلى الحصول على تأييدهم ولا علاقة لهم بالقتال (شلايفر، 2004). أما بوبي شدمي وبراك ربيد في جريدة معا ريف الإسرائيلية تحدثا عن البيانات الإسرائيلية المزورة وهي ما عرفت بالبيانات السوداء التي تخلق مزيدًا من البلبلة في الشارع الفلسطيني، وهو ما يتفق مع دراسة عبد الجواد في الانتفاضة الأولى. وتحدثا أيضا عن أثر الضجيج في الحرب النفسية ضد الفلسطينيين، وهي انفجارات وهمية لإخافة السكان(شدمي، 2005: 3).ولكنهما لم يشيرا إلى أن هذه الوسيلة من الحرب النفسية قد تتعدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية، وليست انفجارات وهمية فقط. وأما الصحفي أوري دان أوضح في مقابلة مع أحد الضباط الرفيعين في الجيش الإسرائيلي وفي مجال التعبئة والحرب النفسية ضد الفلسطينيين، أن السلطة الفلسطينية والأمهات ترسل الأطفال للموت. تلك المقولة هي حرب نفسية في الإعلام الإسرائيلي لتشويه صورة العربي والنضال الوطني الفلسطيني، بتصويره إنسانا غبياً ومتوحشاً

يفتقر إلى الرحمة من جهة، والتغطية على ما تقوم به المؤسسة العسكرية ضد الأطفال الفلسطينيين من ناحية ، أخرى.

وقد تطرق الكاتب الإسرائيلي رفيف دروكر لمفاوضات كامب ديفيد وعرض باراك السخي للفلسطينيين، وتحدث عن النية المبيته من ايهود باراك لكشف الوجه الحقيقي لياسر عرفات، وأن المواجهة ستكون مع الفلسطينيين من خلال المواجهة مع الرأي العام العالمي إلى حد كبير (دروكر ، 2004: 391). ولذلك كثفت إسرائيل من استعدادها فيما يبدو لخوض حملة إعلامية ضد ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية لرفضهم توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

الصحفية الإسرائيلية عميرة هاس، مراسة صحيفة هآرتس في فلسطين، تحدثت في مقالة لها بعنوان سياسة الإغلاق الإسرائيلية استراتيجية غير مجدية للاحتواء والقمع عن فشل هذه السياسة التي كانت بهدف احتواء الانتفاضة. وأن الفلسطينيين استطاعوا التكيف مع هذه السياسة، وكانت سببا لأعمال القتل الفردية والعمليات الاستشهادية(هاس، 2002 :87)ويبدو أن هذه الصحفية كانت موضوعية في قراءتها لهذه السياسة. أمنون كابليوك ركّز على نجاح أسطورة باراك بعد كامب ديفيد في تحميل الفلسطينيين وتحديدا ياسر عرفات المسؤولية عن فشل العملية السياسية .هذه الأسطورة التي روجها باراك في داخل المجتمع الإسرائيلي، ولاقت نجاحا حتى في داخل القيادة الإسرائيلية، ونجاحا مماثلا على الصعيد الدولي. إلا أن كابليوك يعترف بحتمية الانتصار للشعب الفلسطيني في نهاية المطاف، وأن الأمر يتعلق بعامل الوقت (كابليوك، 2001 :4-5).

ستيفن ر دافيد ومن خلال مقالة له عن سياسة التصفيات الجسدية يعتبر هذه السياسة رد أخلاقي ومشروع على الهجمات الإرهابية، دون القيام بإنكارها ويعتبرها ردا مدروسا ومتميزا للتهديد المرعب، لأنها تنصب على المتورطين فعليا في الإرهاب دون ان يمس بالأبرياء (دافيد، 2004 :33). ألا أن ديفيد لم يشاهد أشلاء الأطفال الفلسطينيين الأبرياء من جراء استهداف المتورطين في عمليات الارهاب والآثار النفسية والاجتماعية التي خلفتها سياسة التصفيات الإسرائيلية.

في العالم العربي الذي يتميز بصفتي التواكل والاعتمادية دون إقتران ذلك بالعمل الذي هو أساس العقيدة والثبات، والذي نتج عنه تغييب العقل والعمل معا. وأنه طالما هناك وعد إلهي بحتمية النصر فلنترك الأمور للمستقبل، ذلك ما آلت إليه الأوضاع في المجتمع العربي الإسلامي عبر سياسة التواكل والاعتمادية.

وترتب على تغييب العقل أيضاً في المجتمع العربي عدم جدية البحوث العلمية في المؤسسات والأكاديميات الجامعية العربية، وتحديدا في هذا المجال الذي نحن بصدده في هذه الدراسة من إقصاء لدور الحرب النفسية في تحديد مستقبل الشعوب وتطورها وتفوقها وتحريرها من التبعية والاستعمار. ذلك كان واضحا بالنسبة للباحث عندما بدأ في هذه الدراسة، فالأبحاث والقراءات والمراجعات التي اهتمت بالموضوع كانت قليلة ومحدودة، مقارنة بالدراسات والأبحاث التي عالجت الموضوع في الجانب الإسرائيلي.

ثمة جانب آخر متعلق بالصعوبات في هذه الدراسة، وهو: عدم وجود مؤسسات فكرية متخصصة في الحرب النفسية سواء داخل المؤسسات الأكاديمية أو خارجها. ذلك الأمر فيما يبدو يعود إلى التبعية الثقافية للغرب على أغلب تقدير.

إلى جانب ذلك فإن هناك صعوبات أتوقع مواجهتها منذ البداية، عبر عدم القدرة على مقارنة وسائل الإعلام المحلية والعربية بوسائل الإعلام الإسرائيلية حيث أن وسائل الإعلام العربية والمحلية التي عالجت الحرب النفسية كانت محدودة، بل إن وسائل الإعلام هذه لم تكن حيادية في ما تبثه، وكانت سلبية فيما وقعت به في شرك وسائل الإعلام الإسرائيلية. لذلك، فمن المتوقع أن تغيب هذه المقارنة في هذه الدراسة.

محتويات البحث

تتكون هذه الدراسة من المقدمة وستة فصول، موزعة كما يلي:

المقدمة وتشمل قضايا منهجية الدراسة وأهمية البحث وإشكاليه وفرضيات الدراسة. اضافة إلى مراجعة الأدبيات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة من جوانبها المختلفة وصعوبات الدراسة وفهرس محتويات البحث.

تناول **الفصل الأول** من هذا البحث الصورة التي رسمها الاستعمار الصهيوني لفلسطين والمكونة من ثلاثة أجزاء : في الجزء الأول يتم مناقشة علاقة الصهيونية بالاستعمار، من حيث أن الصهيونية هي واقع وامتداد لحركات الاستعمار السابقة، بينما يتناول الجزء الثاني من هذا الفصل الوقوف على الصورة التي رسمتها الصهيونية عن الإنسان الفلسطيني من خلال الكتاب المقدس والأدبيات الصهيونية، وأخيرا ستتم مناقشة طبيعة الحرب النفسية الموجهة من قبل الاستعمار في إطار مقارن لأنماط الحرب النفسية بين الدول.

وفي الفصل الثاني، يتم الحديث عن الحرب النفسية كإطار نظري من خلال ثلاثة أجزاءك

يتناول الجزء الأول نشأة وتطور الحرب النفسية ومفهومها، كذلك سيتم الحديث عن تطبيقات الحرب النفسية من خلال مدارس علم النفس ، والحيل والعمليات العقلية الدفاعية التي اعتمدت عليها الحرب النفسية، إضافة إلى أهمية وأنواع الحرب النفسية ومجالاتها وأهدافها.

ويتم في الجزء الثاني من هذا الفصل، الحديث عن وسائل الحرب النفسية من إشاعة، وأساطير، وغسيل دماغ، ودعاية وافتعال الأزمات، والتخريب، وإلقاء الرعب والفوضى من خلال الردع والتخويف، كذلك الحديث عن التشكيك بقدرات الخصم، وإضعاف الثقة بالنفس كوسيلة من وسائل الحرب النفسية. وأخيرا أسلوب التهكم على الخصم من خلال النكتة والاستهزاء والسخرية.

أما في الجزء الثالث من هذا الفصل، يتم التركيز على أساليب الحرب النفسية من إشاعة وأسطورة، وغسيل دماغ، ودعاية، وافتعال الأزمات، والتخريب، وإلقاء الرعب، والتشكيك بقدرات الخصم، والتهكم والاستهزاء والسخرية.. أما الجزء الرابع من هذا الفصل يتم البحث في الوسائل التي

تستخدمها الحرب النفسية، وفي هذا السياق يتم الحديث عن الإذاعة ، والتلفاز، وأثرهما في الحرب النفسية، وكذلك عن دور الصحف والكتب والمجلات كوسائل للحرب النفسية، كما سيتطرق هذا الجزء من الفصل إلى دور المنشورات التي يستخدمها الخصم في الحرب النفسية. ويتناول هذا الجزء أيضا دور مكبرات الصوت وأثرها على الخصم. يتطرق هذا الجزء من هذا الفصل إلى الطابور الخامس وخاصة العملاء والجواسيس، ودوره في الحرب النفسية وأخيرا تجدر الإشارة في هذا الجزء إلى المواد المصورة والكاريكاتير ووسائل أخرى تستخدمها الحرب النفسية ضد الخصم.

يتناول الفصل الثالث الأساطير الصهيونية والمجازر لنفي الآخر، وذلك من خلال ثلاثة أجزاء، ففي الجزء الأول من هذا البحث، يتناول الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل والتي عملت على تسريع الاستعمار الصهيوني الإحلالي، أما في الجزء الثاني فيتحدث عن دور المجازر في نفي الآخر اعتمادا على الأساطير الصهيونية، وأخيرا وفي الجزء الأخير من هذا الفصل فيتم استعراض وسائل طمس الهوية الوطنية الفلسطينية بعد قيام دولة إسرائيل وإعلان استقلالها في العام 1948.

يركز الفصل الرابع على الوسائل التي استخدمتها إسرائيل في حربها النفسية ضد الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى. يتحدث الجزء الأول عن وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحافة في إسرائيل، ودورها في الحرب النفسية الموجهة ضد الفلسطينيين والرأي العام العالمي. أما في الجزء الثاني فيتناول مناقشة المنشورات والملصقات التي لجأت إليها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وفي الجزء الثالث من هذا البحث سيتم الحديث عن دور العملاء والجواسيس في الحرب النفسية.أما الجزء الأخير من هذا البحث فيتناول دور مكبرات الصوت والضجيج واستخدامها في الحرب النفسية ضد الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى.

يتناول **الفصل الخامس** آليات الحرب النفسية المستخدمة خلال انتفاضة الأقصى من خلال ستة أجزاء. ففي الجزء الأول سيتم مناقشة أسطورة عرض باراك السخي، واستخدامها كإشاعة لقلب المفاهيم دوليا. ويتناول الجزء الثاني أثر سياسة الحصار والإغلاق والحواجز على المجتمع الفلسطيني، فيما سيتم

الحديث في الجزء الثالث عن سياسة هدم المنازل وأثرها النفسي والاجتماعي على المواطن الفلسطيني. أما سياسة الاغتيالات والقتل المستهدف فستكون من خلال الجزء الرابع من هذا الفصل.وأخيرا يتم الحديث عن الاعتقالات والتحقيق كجزء من آليات الحرب النفسية الموجهة للمجتمع بشكل عام وللأفراد بشكل خاص في انتفاضة الأقصى.

أما **في الفصل السادس،** فيتم الحديث عن أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى. **يتحدث** الجزء الأول عن استهداف إسرائيل الوعي الفلسطيني لخفض التوقعات وتغيير الاتجاهات، أما في الجزء الثاني فيتم الحديث عن هدف إسرائيل عبر تصوير نفسها بالضحية والفلسطيني بالقاتل. أما في الجزء الثالث فسيتناول استهداف إسرائيل للأمن النفسي والاجتماعي لإضعاف الروح المعنوية، أما الجزء الرابع من هذا الفصل فيتناول تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التناقضات بين فئاته، وفي الجزء الخامس يتم التطرق إلى احد أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية منذ تأسيسها، وعادت إليه في انتفاضة الأقصى وهو ردع المقاومين عن تنفيذ العمليات الفدائية، أما الجزء الأخير فيناقش استهداف إسرائيل الرأي العام العالمي عبر تضليله.

تعرف الحرب النفسية بأنها عملية تعديل للسلوك الجمعي والفردي بشكل يناسب حاجة الطرف المهاجم أو الخصم سواء قبل المعركة أو بعدها، وذلك من خلال ما يمكن ان تلجا إليه من وسائل مختلفة لإضعاف الروح المعنوية وإضعاف الثقة بالذات، تمهيدا لفرض الاستسلام واستسهال الهزيمة وتبريرها وهي في ذلك تستخدم مجموعة من الإجراءات والوسائل من دعاية وإشاعة وغسيل دماغ وافتعال للأزمات وعمليات تخريب وإلقاء الرعب والتشكيك بالخصم والسخرية والتهكم إلى جانب إجراءات القوة العسكرية بهدف فرض الاستسلام.

الفصل الأول

صورة الفلسطيني في الاستعمار الصهيوني

1 . 1 تمهيد

1 . 2 الصهيونية كمشروع استعماري

1. 3 – صورة الفلسطيني كما يراها المستعمر الصهيوني

1. 4 – إطار مقارن للحرب النفسية

1. 1 تمهيد

ارتبطت الصهيونية كحركة استعمارية منذ نشأتها بالعمل الدعائي والتعامل الإعلامي لدرجة أصبح هناك ارتباط عضوي بين الدعاية والحركة الصهيونية(ربيع، 1989 :62)،ـ بل اعتبرت الدعاية الوجه الآخر للحركة. عملت الحركة الصهيونية منذ نشأتها على إقناع العالم بأن هناك مجتمعا يهوديا يمتلك مكونات عناصر ذلك المجتمع، وذلك تمهيدا للبحث عن المكان المفترض الذي يمكن أن يقيم عليه هذا المجتمع. ثم انطلقت الدعاية الصهيونية إلى بث مجموعة من الأساطير لإقناع يهود أوروبا بها، ومن ثم إقناع العالم في حل المشكلة اليهودية اعتمادا على هذه الأساطير، وامتدت الدعاية الصهيونية لتحاول إقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عبر عرضها توفير معونات مالية واقتصادية للدولة العثمانية مقابل السماح لها باستعمار فلسطين.

وقد ثار جدل قديم حول اعتبار الصهيونية واقعا استعماريا وارتباطها بالقوى الغربية التي سيطرت على الوطن العربي كما يراها العديد من المثقفين العرب، بينما دافع اليهود الصهاينة عن ذلك مفندين هذه التهم. وفي هذا الفصل، يتم الحديث عن الصهيونية كمشروع استعماري في المنطقة من حيث أنها امتداد للاستعمار الغربي.كما يتم استجلاء الصورة التي كونها المستعمر الصهيوني عن سكان البلاد الأصليين وذلك لتسهيل إحلال المستوطنين مكان السكان الأصليين. وأخيرا، يتم الحديث عن طبيعة الحرب النفسية التي يوجهها المستعمر ضد سكان البلاد الأصليين في إطار مقارن مع طبيعة الحرب النفسية التي تشن بين الدول المتحاربة.

1. 2 الصهيونية كمشروع استعماري

كان نابليون بونابرت أول من دعا إلى توطين اليهود في فلسطين، وذلك عندما نشر إعلانا أثناء حصاره عكا في 20 نيسان 1799، دعا فيه جميع يهود آسيا وإفريقيا الانضواء تحت لوائه من أجل إعادة تأسيس أورشليم القديمة (الكيلاني ، 1997 34). ومن هنا نلاحظ أنه منذ البداية نمت الفكرة الصهيونية في مناخ أوروبا التوسعية، التي شجعت فيما بعد ومن خلال تدخلها في الإمبراطورية العثمانية

على توفير الحماية لليهود في فلسطين، وإقامة مستعمرات زراعية فيها وصدور مؤلفات تتضمن خططا لإعادة اليهود
إلى فلسطين (الكيلاني 1997 : 34).

خدمت المعلومات والوقائع والدراسات التي وفرها صندوق استكشاف فلسطين، والذي تم تأسيسه في لندن عام 1865 الحركة الصهيونية، ونذكر من هذه الدراسات ما قام به " كلود كوندر" الذي حضر إلى فلسطين عام 1873، وشرع يبحث في مسرح المعارك التي دارت بين الفلسطينيين القدماء والإسرائيليين. أيضا ما قام به تشارلز وارين من نشر كتاب بعنوان: أرض الموعد، ونادى بتطوير أراضي فلسطين عن طريق شركة الهند الشرقية بقصد إدخال اليهود إلى فلسطين واحتلالها.لقد كان لهذه المعلومات أثر كبير في توفير الكثير من الجهد والإجراءات وامتيازا منحته الدول الاستعمارية الكبرى للشركات الخاصة حول استكشاف فلسطين. وتحت هذا العنوان حاولت الصهيونية الحصول على براءة شرعية مبكرة من السلطان عبد الحميد الثاني لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين مستعينة عن طريق زعيمها هرتزل بقيصر ألمانيا للتأثير على السلطان عبد الحميد (الخالدي 1998 ، 19).

قدم وزير المستعمرات البريطاني اقتراحات متعددة بشان استيطان اليهود في مناطق مختلفة من العالم، ومنها منطقة العريش، لكنها أخفقت نتيجة المحادثات مع الحكومة المصرية، ومن ثم العمل على إيفاد بعثة إلى إفريقيا الشرقية باقتراح من الحكومة البريطانية، لإنشاء مقاطعة صهيونية في شرق إفريقيا يقال أنها موجودة في كينيا الحالية، وليس في أوغندا كما هو متعارف عليه، والهدف من ذلك هو استعماري لتامين الخط الحديدي الذي يربط الساحل الإفريقي وبحيرة فكتوريا أمام تزايد النشاط الاستعماري الألماني والإيطالي(المسيري الموسوعة:303).وتوالت المشاريع التي كانت استعماريه في طابعها ومنها مشروع أنجولا(1912)، ومشروع موزنبيق (1903) ومشروع ليبيا(1904)ومشروع الخليج العربي(1917). أثار مشروع شرق أفريقيا معارضة داخل المؤتمر الصهيوني السادس عام 1903 لتخلي هرتسل عن فلسطين(الخالدي 1998: 19)، ولذلك لجأت الصهيونية إلى مجموعة من الأساطير لحل المسألة اليهودية، باللجوء إلى الترغيب تارة وإلى الترهيب تارة أخرى بهدف إجبار اليهود على الهجرة

إلى فلسطين، وذلك بعد أن أدرك الغرب إحجام اليهود عن المشاركة، أو الانخراط الجماعي الطوعي ضمن المشروعات الاستعمارية بالرغم من الحماية البريطانية التي تكفل لهم حقوقا وميزات كبيرة (قهوجي، 1978: 48)

دأبت الحركة الصهيونية كمشروع استعماري إحلالي، على تطبيق برنامجها هذا من خلال عدد من آليات التعامل في تاريخ الحركة الصهيونية، ومنها: استخدام الضوضاء حول المشكلة اليهودية في تفاعلها مع القوى الدولية للحصول على التأييد، فتارة كانت تتحدث عن قدرتها لإحداث امتداد استعماري لألمانيا في الهلال الخصيب، وتارة أخرى كانت تتحدث عن قدرتها على تقديم معونات مالية واقتصادية للدولة العثمانية. ذلك ما ذهب إليه هرتزل من تقديم الحركة الصهيونية كدولة مثالية تستطيع تحقيق جميع الأهداف، وتسكت جميع الانتقادات من جانب آخر، ومعتبرا أن نجاح المشروع الصهيوني مرتبط باستيعابه ضمن مشروع كولونيالي أوروبي(بشارة ، 1997:13). فيما استخدمت الحركة الصهيونية عددا من الأساليب النفسية من إكراه وغسيل الدماغ المصاحب للدعاية والإعلام في عملية التخاطب والتفاوض مع المجتمع الأمريكي (ربيع ، 1989 :61).

ضمن إطار الحرب النفسية التي قادتها الحركة الصهيونية كمشروع استعماري، فقد عملت ومن خلال الدعاية إلى القيام بعملية تسميم سياسي للمنطق الأوروبي خلال الربع الأول من القرن العشرين، حيث تم ربط تاريخها بالثورة، وطالبت أن يعطى المجتمع اليهودي حقوق المجتمعات القومية الأخرى(ربيع، 1989: 67). وفي ذلك يذكر كارل ماركس أن ذلك سيتحقق في فرنسا على سبيل المثال عندما يكف اليهودي عن القوانين اليهودية التي تمنعه من واجبات الدولة وحقوق المواطنة، فيما يذهب إلى أبعد من ذلك في وصفه للتحرر الاجتماعي لليهودي الذي يعني تحرر المجتمع من اليهودية (ماركس 2003 :12/61).

انطلقت الصهيونية كمشروع استيطاني واستعماري من فكرة رفض التاريخ اليهودي في المنفى والاستيطان في صهيون، باعتبارها واحة للديمقراطية الغربية في الشرق، وقاعدة الحضارة الغربية فيها، وإنكار تاريخ السكان الأصليين ووجودهم، ومحاولة تهميشهم وتصويرهم بالمتخلفين، وعن طريق القصص التوراتية التقت الصهيونية الاستيطانية والاستعمارية مع أرض عذراء والتي لم يسكن بها

أحد(المسيري 2001، 104). واعتمد الاستعمار الصهيوني على خاصية التوسع على غرار التوسع الاستعماري الأوروبي الذي بدأ يضع ضمن أولويته استعمار فلسطين من قبل الأوروبيين اليهود، وبدأ عدد من اليهود الصهاينة بتبني المقولات الأوروبية وتوظيفها في برنامج عمل شامل لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وبذلك تأسست حركة أحباء صهيون في ثمانينات القرن الثامن عشر، والتي أخذت على عاتقها تهجير اليهود والتوسع التدريجي داخل فلسطين بإنشاء مستعمرات يهودية، وقد نشط في ذلك كل من الحاخام يهودا القلعي (1798—1878) وموسى هس (1812–1875) وغيرهم (الكيلاني ، 1997 :38).

تم اختيار اليهود ليكونوا مادة استعمارية انسجاما مع واقع الدول الأوروبية، وذلك انطلاقا من عدة اعتبارات، أهمها الاستعاضة عن تورط الدول الاستعمارية في المنطقة العربية، ولتكون سدا منيعا في استراتيجيتها باتجاه الوطن العربي، وبالتالي كان لا بد من البحث عن اليهود الفقراء والمثقفين لتوريطهم في هذا المشروع (قهوجي، 1978: 66، الكيلاني، 1997 :37). إضافة إلى قناعة الأوساط الاستعمارية الغربية، بأن التجمع اليهودي الذي سيقام في فلسطين لن يستطيع الإفلات من قبضتها، لأنه بحاجة إلى الدعم والحماية منها، وتلبية المصالح المشتركة للدول الاستعمارية عبر تقاسم مردود الطاقة اليهودية لمصلحة الجميع، وتمتع اليهود الأوروبيين بمختلف مواصفات الكتلة البشرية المناسبة للتمركز والاستيطان في مناطق المستعمرات. غير أنه كان من الواضح، وحتى قبل ظهور الفكرة الصهيونية في الأوساط الاستعمارية الغربية، أنه لم يكن اليهود يفكرون بالاستيطان في فلسطين، إنما كانوا يحجون إليها دون أن يثير ذلك أية مشكلات تذكر.

لقد دلت على ذلك مجموعة من الوقائع التي حدثت في بداية القرن التاسع عشر، وأهمها: وعد بلفور عام 1917، الذي اعتبر براءة شرعية أخرى من الدول الاستعمارية للحركة الصهيونية وخاصة بريطانيا، والذي أزال تحفظات كثيرة من اليهود على الحركة الصهيونية (الخالدي، 1998:43). إضافة إلى مصلحة بريطانيا في إرضاء الحركة الصهيونية لتشكل لها السيطرة على الشرق الأدنى، وسعي بريطانيا إلى كسب مودة الحركة الصهيونية على اعتبار أنها تمتلك إمكانيات مادية ضخمة ما زالت مخبأة (غريش،

2003: 23). وبعد وعد بلفور، حاولت الصهيونية توظيف وإقرار وعد بلفور عبر سلسلة من المصالح المشتركة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا، فقد كتب جلاسكو هيرالد" ومن جهة النظر البريطانية، فالدفاع عن قناة السويس يتم على أفضل وجه بإقامة شعب في فلسطين ملتصق بنا، وإعادة اليهود إلى فلسطين تحت الرعاية البريطانية يضمن ذلك" (الخالدي، 1998 :47). أما مؤتمر سان ريمو المنعقد في نيسان 1920، فقد منح بريطانيا الانتداب على فلسطين وسط مطالبة الاتحادات بذلك. وقد تبع ذلك تخلي تركيا عن السيادة على فلسطين في معاهدة سيفر، فيما طالب الطرف الصهيوني في المؤتمر حق اليهود في إعادة تكوين مسكنا قوميا لهم. وبذلك هيأت مجموعة الظروف السابقة الفرصة لولادة الصهيونية السياسة لتشكل الجنين الصهيوني في الرحم الاستعماري الأوروبي، والتي اعتبرت حلا للمسألة اليهودية وانطوت على شقين، الأول: إمبريالي غربي، والثاني: شق يهودي حيث اعتمد هذا الأخير على الشق الأول في قابليته للحياة والتطور (شوفاني ، 2007 :2).

وفي العام 1921 كتب وايزمان إلى وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل " لو لم تكن هناك فلسطين لكان من الضروري حسب اعتقادي خلقها لمصلحة الإمبريالية. ويضيف قائلا " إن بريطانيا تصون مصالحها عن طريق الاستيطان الكونيالي اليهودي بأرخص ما يمكن (الكيلاني، 1997 : 36). وبذلك كان هناك تأييد مبكر للنزعة الصهيونية في الدول الانجلوسكسونية البروتستانتية لأسباب تتعلق بظهور ما يعرف بالصهيونية غير اليهودية التي أخذت تدعو إلى قيام دولة يهودية في فلسطين، قوامها التأكيد على ما جاء في كتاب العهد القديم، واعتبار عودتهم تمهيدا لعودة المسيح المنتظر، وتزايد المؤيدون لذلك في انجلترا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا والبلدان الاسكندنافية، إضافة إلى التقاء الأهداف الصهيونية مع المطامع السياسية لبريطانيا في تحقيق مصالحها الاستعمارية، فهذا هرتزل يذكر في كتابه دولة اليهود " يعتبر الوطن اليهودي الموعود جدارا ضد آسيا، وقاعدة متقدمة للحضارة في مواجهة البربرية " (عبد الدايم، 2000 ، 64).

وإلى ذلك أشار عبد الوهاب المسيري إلى ما أطلق عليه اسم، العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، وهو تفاهم غير معلن بين الجانبين تعهدت الحركة الصهيونية بمقتضاه أن

تعمل على استمرار وتكثيف هجرة اليهود إلى خارج أوروبا، على أن يؤسس اليهود دولتهم الوظيفية، وتتعهد بذلك بتحقيق مطالب الغرب ذات الطابع الاستراتيجي بشكل يضمن مصالح الغرب وتفتيت المنطقة العربية. وقد تركزت أهداف الجانبين على فلسطين نظرا لموقعها في قلب الوطن العربي، وبما تتمتع به من موقع استراتيجي في دائرة العالم الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية. ومن أجل ذلك، مارست الدول الأوروبية ضغوطا على الدولة العثمانية لتمكين الحركة الصهيونية من العمل على هجرة اليهود إلى فلسطين، ولتطبيق ذلك قامت بريطانيا بإصدار وعد بلفور في 3 تشرين ثاني 1917 بهدف إيجاد قاعدة استعمارية استيطانية تفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه وبذلك تسيطر بريطانيا وتهيمن على الوطن العربي والمنطقة (المسيري، 2002 : 6).

توافقت الصهيونية مع الاستعمار في أوجه مختلفة، وذلك لتلبية مطالب الدول المستعمرة. فعلى سبيل المثال، نلاحظ أن الاستعمار يرتبط بخاصية التفوق الاستعماري، وهذا نجده في الأساطير الصهيونية المتعلقة بأسطورة شعب الله المختار، وكذلك الحال نلاحظ أن قانون المصلحة يتحقق من خلال أسطورة أرض الميعاد بما يحقق مصلحة الصهيونية والاستعمار. وأخيرا فإن ارتباط الاستعمار بالسيطرة على الآخرين يتحقق من خلال الدعم اللامحدود من قوى الاستعمار للصهيونية، وأشكال السيطرة المختلفة من تجزئة وتخلف وتبعية، ذلك ما يوفر على الغرب الاحتلال المباشر للمناطق العربية، وتوظيف الصهيونية لتكون أداة له (حبش، 40).

صبغت الصهيونية نفسها كحركة استعمارية من خلال إحلال المستوطنين مكان السكان الأصليين، من خلال طردهم أو أبادتهم أو الاستيلاء على أرضهم، وذلك حتى يتسنى قيام دولة يهودية خالصة.وقد استخدمت بذلك أساليب مختلفة من العنف، وأساليب نفسية أخرى لإخافة الفلسطينيين وترويعهم ودفعهم للهجرة، وما إلى ذلك من مشاريع نقل الفلسطينيين إلى مناطق أخرى، وهو ما اعتبره غريش البعد الاستعماري للحركة الصهيونية، أي أن ذلك لم يكن ممكنا لولا وجود المظلة البريطانية والتي بدونها سيكون حليفها الفشل (غريش، 2003 : 49).أما عن السكان الأصليين فقد اعتبرت الحركة الصهيونية أن ردة

فعلهم لا قيمة لها، وفي ذلك يربط جابوتنسكي خطة خلق أغلبية يهودية في فلسطين بتاريخ الاستعمار الغربي في إفريقيا وآسيا قائلا " إن التاريخ يعلمنا أن كل المستعمرين قوبلوا بقليل من التشجيع من جانب السكان الأصليين، وقد يكون هذا مدعاة للحزن. ونحن اليهود لن نشذ عن القاعدة (المسيري، 2001 : 229).

1. 3 صورة الفلسطيني كما يراها المستعمر

أشار فانون إلى نقض إنسانية السكان الأصليين وهاجم النزعة الإنسانية الغربية وسخر منها عندما تحدث عن علاقة المستوطن بالسكان الأصليين في البلاد :

" يصنع المستوطن التاريخ ويكون واعيا به، ولأنه يرجع باستمرار إلى تاريخ البلد الأم، فهو يشير بوضوح إلى أنه هو نفسه امتداد لذلك البلد الأم. وهكذا فإن التاريخ الذي يكتبه ليس تاريخ البلد الذي يستولي عليه، وإنما تاريخ أمته فيما يتعلق بكل ما تنتقيه وكل ما تنتهكه وتذيقه الجوع(يا نج، 2003: 260)"

وكذلك تحدث إدوارد سعيد في كتابه الإمبريالية والثقافة عن الضحية المستعمرة المكبلة والمهددة بالعقاب الصارم رغم فضائلها وخدماتها وإنجازاتها، حيث تمارس الإمبريالية سياسة الإقصاء بحق هذه الضحية الواقعة تحت الاستعمار، فيما لا تقدم الإمبريالية سوى بديلين هما أن تستمر هذه الضحية بالخدمة أو أن يتم تدميرها (سعيد ، 1993 :229).

لقد وجدت الصهيونية الأوروبية في الاستشراق والدراسات الشرقية بشكل عام أداة لتكريس نظرتها نحو الشرق، وتعزيزها ومحاربتها، رغم أنها جاءت لتقيم دولتها فيه. وفي إطار ذلك لجأت إلى تحقير الشرق بالمقارنة مع الغرب. ويشير إلى ذلك شمعون بلاص إلى أن الدراسات والمفاهيم الاستشراقية شكلت أساسا لما قامت به الصهيونية وبعض الكولونييات الغربية، وعززت من نظرتها وممارستها الاستعلائية تجاه الشرق، مبررا بذلك عدم إضفاء الشرعية على الهجرة اليهودية الشرقية، وذلك بشكل يتمايز مع هذه النظرة الاستعلائية ضد الشرق (غنايم، 2001 : 106).

لقد تأثرت صورة العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص من شبح الإبادة غداة الحرب العالمية الثانية، استنادا إلى مبدأ التعويض في علم النفس، حيث استطاعت الدعاية والحركة الصهيونية تشويه صورة العرب بسبب مساندتهم لألمانيا النازية، وبذلك عاد شبح الإبادة الجماعية في أذهان اليهود من جديد في

الخطابات العربية بإبادة إسرائيل، وإلقائهم في البحر في حرب عام 1967، ليلقي بظلاله من جديد على صورة العربي في الغرب والحركة الصهيونية مقترنة بالإبادة الجماعية من قبل النازية الألمانية(لبيب : 501-503).

قبيل الحديث عن الصورة التي رسمها المستعمر للفلسطيني، نحاول الوقوف على الصورة الأشمل وهي صورة العربي في الدعاية الصهيونية، وفي عيون الغرب. فمنذ البداية تم تشويه الصورة العربية الإسلامية، والملامح الشرقية التي عرف بها العربي من شجاعة، وكرم، وذكاء، وشهامة، وغيرها، مقابل إعطاء صورة مشرقة عن اليهود عبر " تنظيف" الطابع القومي اليهودي. فقد رسمت صورة العربي من خلال وسائل متعددة أهمها: الروايات، والأفلام السينمائية والتلفزيونية، والإذاعية، ورسوم الأطفال، فقد تم ربط الكوفية والعقال بالشخصية الشريرة، وتم تصوير العربي بالعدواني والجبان والحاقد، والمتخلف والمتخاذل (النابلسي، النفس المغلولة : 92). ومن الصفات الأخرى التي ألصقت بالعربي، صفة الإرهابي الشرير الذي تحركه الغرائز البدائية، وتم ربط صورة الحاج العربي المسلم بالخنجر تعبيرا عن الغدر والطعن في الظهر، كذلك استحالة التعايش بين العقلية العربية الإسلامية التي تصفها الصهيونية بالمتخلفة والعقلية اليهودية المتطورة تمهيدا لإبادتهم. ومن أمثلة ذلك، تلك الصورة التي نشرت في العام 1995 في مخازن بارتي ستي في الولايات المتحدة الأمريكية والتي رسمت قناعا لشيخ عربي، وقد ارتدى الكوفية والعقال فوق وجه ذو ملامح شريرة وأسنان وحش بارزه متسخة، وحواجب معقوفة، كحواجب الشيطان، وذقن غير منتظم، وانف ضخم، ضمن مجموعة من الصور أطلقت عليه أقنعة الوحوش، لهو خير دليل على تشويه الصورة العربية الإسلامية من قبل الغرب والصهيونية (الخليفة ، 2000 :183 الدباغ، 1998 : 280).

صفة الإرهابي أيضا ألصقت بالعربي، ليصبح العربي مرادفا لكلمة إرهابي، بل إنها أصبحت سائدة لدرجة صورت وكأنها جزء من الجينات الو راثية للعربي، كما أن بعض الأفلام ومنها فيلم "الأحد الأسود "، والذي يتآمر فيه مجموعة من العرب لقتل المتفرجين في مباراة لكرة القدم في أمريكا، في حين يتدخل بطل الفيلم الضابط الإسرائيلي الذي أفشل المهمة، عبر الفيلم عن صفة العربي الإرهابي. وكذلك فيلم" الفحل الأسود" حيث يعمل العرب فيه على ظهر سفينة محملة بالخيول يسيئون معاملتها، وحين تغرق الباخرة يهاجمون بقية الغارقين لانتزاع سترات الإنقاذ منهم (الدباغ 1983: 115).

وقد تطورت صفة إلصاق الإرهاب بالعربي والإسلام بعد أحداث 11 أيلول من العام 2001، بعد سلسلة الهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية والتي ألصقت بأسامة بن لادن وبالغت الدعاية الإسرائيلية في هذا المجال .

ووفقا لهذه النظرة ضد العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص فقد أقدمت الحركة الصهيونية على استهداف العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، وذلك لنزع صفة الإنسانية عنه حتى يتم تغييبه. وفي إطار ذلك نظرت الصهيونية إلى العربي باعتباره عضوا في الشعوب الشرقية الملونة، وذلك في إطار النظرة الاستعمارية الأوروبية على الشرق العربي، وباعتبار أن الحركة الصهيونية هي حركة استعمارية، فقد تأثرت بذلك وعملت على تقزيم العربي باعتباره وصف لأي آسيوي أو إفريقي (المسيري ، 2000 : 4).

لقد ألصقت النظرة الصهيونية المحتلة إلى الفلسطينيين صفة "الغوييم"، وأن هذا الشعب ليس له وجود في قاموس الصهيونية، وليس له الحق في العيش على أرض فلسطين كإنسان متكافئ مع اليهود.وقد طرحت هذه المقولة نفسها كمسوغ لتوجهات الاستعلاء والعنصرية المتأصلة في الرؤى اليهودية الصهيونية، التي تصر على دونية الأغيار واصطفاء اليهود. ووصف العرب بشكل عام، والفلسطينيون بشكل خاص، " بالغوييم" وهو مصطلح يعني الذئاب، والقتلة، والمتربصين، وهي مقولة مجردة تضم كل الساخرين في كل زمان ومكان عدا اليهود ليصبح الفلسطينيون بغير ملامح أو قسمات(المسيري، 2001: 93).

غالبا ما يحاول المستعمر في مراحله الأولى شل المطمع القومي للشعوب المستعمرة وذلك عبر صبغه بطابع اقتصادي ليتم الإيحاء لهم بقدرته على تقديم الإصلاحات الاقتصادية، وذلك من أجل خداعهم (فانون، 1972 :153). وقد عملت الصهيونية على ذلك من خلال الصورة التي رسمها المستعمر الصهيوني عن الشعب الفلسطيني بأنهم مجموعة من المخلوقات تحركها الدوافع الاقتصادية، ولا يوجد هدف سياسي يوحدهم، ولذلك عمدت الصهيونية إلى إنكار الأهداف السياسية والقومية للثورات العربية ضدها، والنظر إليها من وجهة نظر اقتصادية، وأنه بالإمكان حل المسألة العربية في إطار ذلك، وبذلك وصف أحد المؤرخين السياسيين وهو "وولتر لاكير" أن السياسة الرسمية للحركة الصهيونية في

العشرينات كانت تقتضي عدم التفاوض سياسيا مع العرب الفلسطينيين، وحصر عملية التفاوض مع الشعب الفلسطيني على العوامل الاقتصادية فقط. وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد عملت على سياسة تهميش العربي حتى يتم إبعاده عن مركز الأحداث السياسة.(المسيري 2001: 96).

وفي الأدب الصهيوني اتسمت صورة العربي الفلسطيني بالبدوي الهمجي الجاهل، فقد وصف آحاد هاعام العرب بأنهم رجال صحراء، أناس جهلة، لا يرون ولا يفهمون ما يجري حولهم، وبعد وعد بلفور أضيفت مفاهيم جديدة للعربي الفلسطيني بالإرهابي الجبان، والمتوحش وأنه مثير للرعب، وقد وصف جوهين كوهين ذلك بقوله " إن العربي مجرد مخلوق يرتدي جلبابا ممزقا وتلتف زوجته بثوب ابيض، ويسير أطفاله حفاة، وليس من مجال الخطأ تحديد هويته، فكل شيء يتعلق به ماديا كان أو معنويا ينطق بصفاته، انه ليس قذرا فحسب، بل هو أيضا لص وكذوب وكسول وعدواني (نجم، 2004 : 6).

وقد بين أدير كوهين 1988 في دراسة أجراها على 53 كتابا من كتب الأطفال الإسرائيليين للتعرف على طبيعة العرب، حيث أظهرت هذه الدراسة أن 63 % من الكتب قد وصفت العرب بصفات سلبية منها الخيانة، والكذب، والمبالغة، والمداهنة، والوقاحة، والشك، والوحشية، والجبن والبخل، وحب المال، وسرعة الغضب، والتملق، والنفاق، والتباهي، والخبث. وفي المقابل فإن نسبة الكتب التي أعطت ظواهر ايجابية كالاجتهاد، والشفقة، والصداقة، والجرأة، كانت 24 % بينما لم تصف 13 % من الكتب التي تم إجراء الدراسة عليها العرب بأي شيء (الخليفة، 2000 : 185). وتظهر القصص العبرية العربي بمجموعة من الصفات السابقة، حيث كتب ناتات شاحم في قصته غبار الطريق تعريف العربي " العرب مثل الكلاب، فإذا رأوا أنك مرتبك ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم يهجمون عليك، أما إذا قمت بضربهم فهم سيهربون كالكلاب (الخليفة، 2000 :184).

الفلسطينيون لا وجود لهم في الفكر الصهيوني المتطرف ماضيا وحاضرا، وبالتالي فقد انكرت الحركة الصهيونية الإنسان الفلسطيني والتاريخ والأرض، تلك هي نظرة المحتل للشعب الفلسطيني التي تجسدها المدرسة والمعبد والكنيس والجندي في الجيش. وفي ذلك يتحدث الكثير من المثقفين والمسؤولين الصهاينة بشكل واضح فعلى سبيل المثال وزير التربية والتعليم هارون يدلين يقول في تصريح له في

العام 1984 "من المهم ان يعرف الشباب انه عندما رجعنا إلى هذا البلد لم نجد هنا أية أمه ". أما جوزيف مائير مدير إدارة الاستيطان فقد كتب يقول " واضح أن لا مكان لشعبين في هذه البلاد، فالحل الوحيد هو وجود إسرائيل الغربية غربي نهر الأردن على الأقل بدون العرب، ولا مناص من نقل العرب إلى مكان آخر وفي البلدان المجاورة" (دراج ، 2000 : 9).

العربي الفلسطيني مخلوق لخدمة الإسرائيليين، تلك نظرة الصهاينة إلى العربي والفلسطيني بشكل خاص، وبذلك حاصرت إسرائيل العرب ومنعتهم من التطور، وأبقت على حياة العرب كما هي وبصورة مدروسة، وذلك كان يبدو واضحا من خلال السياسة الإسرائيلية التي طبقتها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني منذ العام 1948 وحتى العام 1993، ويقول ميوهاوس بأن "العرب مهمون لنا نحن اليهود، لأن روحهم وطريقة حياتهم مشابهة لحياة أجدادنا في عصور التوراة. الفلاحون أحفاد الكنعانيين هم أقدم سكان "أرض إسرائيل" وهم الذين حافظوا تماما على العادات والخصائص القديمة التي نسيناها بسبب طول إقامتنا في المنفى" (الخليفة، 2000 : 184).

العربي هو الشخصية البدائية التي تصفها الحركة الصهيونية للعرب بشكل عام، وللفلسطينيين بشكل خاص ذلك يبرر عدم الاعتراف به. لذلك، يستخدم العربي لخدمة من هو أكثر تحضرا منه وهم اليهود. من وجهة النظر العلمية التي أطلقها داروين وهي البقاء للأصلح يقول هرتزل: " إذا انتقلنا إلى منطقة حيث توجد حيوانات مفترسة لم يتعود عليها اليهود كالأفاعي الكبيرة مثلا، فسأحاول أن استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل ان أجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون إليها "(دراج، 2005: 8).

لقد كرر زعماء إسرائيليون كثيرا قاعدة "العربي الشرير" مقابل "اليهودي الطيب"، وهي أن العرب كانوا يتصرفون بقدر عظيم من الخبث والشر، بينما تنشد إسرائيل عملية السلام في كل مرحلة من مراحلها المختلفة، ولعل ما آلت إليه مفاوضات كامب ديفيد الثانية من إقناع العالم بأن الفلسطينيين لا يريدون السلام، مع أن ايهود باراك قد قدم لهم كل شيء، لهو دليل على ذلك. وخلال انتفاضة الأقصى تم تصوير الفلسطينيين بأنهم يستخدمون الإرهاب ضد محتليهم الإسرائيليين عن طريق مهاجمة مواطنين أبرياء، ، وقد تم تصوير الفلسطينيين أنهم المعتدون بينما الإسرائيليون هم من يدافعون عن أنفسهم(وولت ، 2006: 7).

أما صورة العربي من خلال الصحف الإسرائيلية فهو يشكل خطرا على سلامة إسرائيل الأمنية والحياتية، ويتم وصفه بمصطلحات وتعابير سلبية، وأن العربي يثير غضب اليهودي وهو لا يحتمل وجود عربي بجانبه في بعض الميادين. ففي المجال الرياضي على سبيل المثال، هناك بعض الفرق رفضت ضم أي لاعب عربي خوفا من غضب الجمهور اليهودي، مثل بيتار "أورشليم"، (منصور، جوني ، 2003 : 101).

وأخيرا تشير فكرة إسرائيل التاريخية وفق الصورة التي صنعتها الأساطير الصهيونية وفق المفهوم الأمريكي في عمليات الإبادة التي يكون أبطالها الاسرائيليون الذين ينتمون إلى "الشعب المختار" "والعرق المتفوق" وضحاياها الفلسطينيون الملعونون، المتوحشون على أرض كنعان وإسرائيل وذلك عبر تبرير سماوي حضاري، إسرائيلي أمريكي، بهدف اقتلاع الغير من أرضه جسديا وثقافيا (العكش ، 2002 : 125).

1. 4 إطار مقارن للحرب النفسية

تعتبر الحرب النفسية سلاحا وعنصرا من عناصر الحسم في المواجهات التي تدور بين الدول، بفضل الإعداد والتجهيز للمعركة من عدة وعتاد، والاستخدام الأمثل لها، إضافة إلى القدرة على دراسة الفروق الفردية، واختيار الأفراد العسكريين، وتعيينهم، وتدريبهم، وتناول المشكلات السيكولوجية للقوات المسلحة من انتقاء، وفرز، وتعيين، وتجهيز، وتدريب، ورفع الروح المعنوية، والتي تعتبر من خصوصية علم النفس العسكري الذي يعتني بجميع المجالات، إضافة إلى الاستخدام الأمثل للحواس في المعارك الحربية. وفي ضوء ذلك، يتم الحديث في هذا الجزء عن الحرب النفسية في إطار مقارن، بين طبيعة هذه الحرب التي تشن بين الدول حيث مفهوم الحرب النفسية الشاملة، من حيث الامكانات والإعداد المتوفرة والمتاحة، وبين الحرب النفسية التي يشنها المستعمر أو المحتل بجيش يتمتع بالإعداد النفسي الجيد اضافة إلى القوة العسكرية مقابل إمكانيات متواضعة للشعوب الواقعة تحت الاحتلال.

في الحرب النفسية التي يقودها المحتل ضد الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، يغيب عن ذلك عملية التوازن في المواجهات. في حالة الجيش المستعمر فإن مجموعة من التجهيزات والامكانات

العسكرية تتوافر لديه، فضلا عن الخبرة والدراية بالظروف النفسية في المواجهة. وعلى ذلك، يستخدم أخصائيو الحرب النفسية مجموعة من الأساليب النفسية لتطبيقها على الجنود قبل تنفيذ مهماتهم، فعلى سبيل المثال، إخبار الجنود عن مهماتهم في تنفيذ عمليات خطيرة يؤدي إلى ارتكابهم فظائع كبيرة، إضافة إلى شعورهم بالخوف.ولذلك، فإن وحدة الحرب النفسية بالجيش تراعي هذه الأمور(العيسوي ، 1999 :26).

يشير" فرانز فانون" إلى طبيعة الحرب النفسية التي يشنها المستعمر على المستعمرين في "معذبو الأرض". تقتضي طبيعة الحرب النفسية التي يشنها المحتل أو المستعمر على المستعمرين ظروفا خاصة من الحرب النفسية، وذلك لما يقوم به المستعمر من إجراءات تهدف إلى إخضاع المستعمرين، وتتجلى قدرة المستعمر على فرض قواه العقلية والفكرية عليهم، مما يجعلهم يؤمنون بأهمية هذا المستعمر الذي انتشلهم من الظلام، وهي عملية ليست وليدة لحظة الاحتلال، بل أنها إجراءات طويلة يقوم بها المستعمر منذ احتلال واستعماره من أجل تأمين خضوع المستعمرين له (فانون ، 1973: 155). وفيما يتعلق بضرب الثقافة الوطنية من خلال المثقفين أنفسهم، فقد تحدث فانون عن اسلوب المستعمر في خلق الشقاق والتفتت بين المثقفين أنفسهم، والتي من خلالها يتمكن المستعمر من السيطرة على الثقافة الوطنية، وعلى المثقفين أنفسهم، والذين يتقبلون خطاباته وينجذبون إليها ويروجون لها، هؤلاء المثقفون الذين يتصرفون في حقيقة الأمر تصرف الأجنبي وبلغة وتكتيك مستعارين من الاستعمار (فانون ، 1973: 43، 163).

تعتبر القدرة على الخداع من داخل المجتمع، أهم ميزات الحرب النفسية التي يمارسها المحتل على الشعوب المحتلة لما يتمتع به من قدرة على الخداع والتضليل في صفوف المجتمع من الداخل، بحيث تعمل القوى المحتلة على ترديد مقولات خادعة، بالتعاون مع بعض الفئات المحسوبة عليه أو المضللة، وأهم هذه المقولات ترديد مقولات التفاهم، والتعايش، والوئام بين المستعمر والشعوب الرازحة تحت الاستعمار، دون توضيح الهدف الحقيقي لهذه المقولات، وذلك بهدف تخدير المشاعر، وامتصاص النقمة على الاحتلال، (نوفل ، 1986: 32). إضافة إلى ذلك، يعمل المحتل على تعديل للسلوك وصياغة الأخلاق صياغة جديدة، وتفكيك مقومات الأمة وقيمها، من خلال الإغراءات، التي يتعرض لها الشعب

الرازح تحت الاحتلال. يعتبر تجنيد الجواسيس والعملاء من أهم وسائل الحرب النفسية التي يلجا إليها المحتل لإخضاع الشعوب وقتل المقاومة في مهدها.

تعتبر سياسة العصا والجزرة من بين الأساليب النفسية التي يلجأ إليها المحتل لإخضاع الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وذلك عبر إخضاع الشعوب بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، إنها السياسة التي يقترن فيها الإغراء بالعمل مع التركيع بالتجويع (نوفل 1986 : 328). وقد لجأت إسرائيل إلى هذا الأسلوب منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي حيث تحسنت الأوضاع الاقتصادية في البداية وحافظت على أجور عالية ومغرية، وتم تقديم العديد من الخدمات الحيوية من صحة وتعليم ورفاه اجتماعي، وخدمات ومرافق عامة من خلال مكاتب الإدارة المدنية التي عمل بها إسرائيليون وفلسطينيون، وبقيت هذه الخدمات تقدم للمواطنين طالما أنه لا يوجد مقاومة لسياسات الاحتلال، وعندما تتعارض سياسة الاحتلال مع أهداف ومطالب المجتمع يلجأ المحتل إلى التهديد والترهيب، بقطع مصادر رزقهم وحياتهم وفرض سياسة التركيع بالتجويع، وتعتبر سياسة الإغلاق ومنع العمال من دخول إسرائيل في بداية انتفاضة الأقصى مثالا لذلك. ويعتبر قطع عائدات الضرائب عن السلطة الفلسطينية، بعد وصول حماس إلى السلطة نوعا من سياسة العصا والجزرة التي عادت إسرائيل إلى تطبيقها على الفلسطينيين بعد حرمان آلاف العمال الفلسطينيين العمال من العمل داخل إسرائيل، وبالتالي حرمانهم من مصدر رزقهم، بعد اندلاع انتفاضة الأقصى.

إضافة إلى أنه وفي حالة الحرب النفسية التي يشنها المحتل على الشعوب، فإن أخصائيي الحرب النفسية لدى المحتل يلجأون إلى بعض الإرشادات المتعلقة بوظائف الحواس في أثناء المعارك والمواجهات، من خلال وسائل الإبصار، والرؤية الليلية الجيدة، ووظائف السمع، والشم أثناء المواجهات والمعارك وكذلك التدريب والاختيار في المجالات العسكرية، ومعرفة أثر الفروق الفردية، وهي آليات يهتم بها أخصائيو الحرب النفسية العاملون في صفوف الجيش والقوات المسلحة(العيسوي، 1999: 31-39) وفي إسرائيل على سبيل المثال يوجد قسم خاص للأبحاث السيكولوجية في جيش الاحتلال الإسرائيلي مع عدم أمكانية توضيح عمل هذه الوحدة، والتي ربما يكون من طبيعة مهامها استغلال عمليات مسح الدماغ، أو ما تعلق بتقنيات الحرب النفسية في تجنيد الجواسيس والعملاء، أو التدريب السيكولوجي، لقادة الجيش

أو ما تعلق بعمل الموساد والمخابرات الإسرائيلية (خليفة، 2000 ، 150). تلك الوسائل التي يلجا إليها المحتل وفق ترسانة مدربة ومجهزة في حين تفتقد الشعوب الواقعة تحت الاحتلال لذلك.

تفتقر الشعوب الواقعة تحت الاحتلال إلى القيام بعملية دعاية مضادة في الحرب النفسية، على غرار الحرب النفسية بين الدول، وذلك بسبب ضعف إمكانياتها التكنولوجية والمادية اللازمة من أجل ذلك، إضافة إلى عدم وجود مؤسسات مدنية أو عسكرية تهتم بالتصدي للحرب النفسية التي يخوضها المحتل ضد الشعوب، ومن ثم القيام بالدعاية المضادة للحرب النفسية ضد العدو. لقد تسبب ضعف التوعية النفسية والمعنوية، في سقوط كثير من الأفراد في الانتفاضة الأولى، وانتفاضة الأقصى في دهاليز المخابرات الإسرائيلية. فيما تركز الحرب النفسية بين الدول على القيام بحملة دعائية مضادة تهدف إلى تقوية الروح المعنوية، لدى المواطنين وتكذيب ادعاءات الخصم، وفي نفس الوقت تهدف هذه الدعاية المضادة إلى تشكيك، وتثبيط، معنويات الخصم، وثقة الشعوب بأنظمتها.

تركز الحرب النفسية بين الدول على عنصر التفوق العسكري وعرضه وتسريبه من خلال وسائل الإعلام، بهدف إظهار قدرة الردع لدى الدول الأخرى. وذلك عن طريق عرض الأسلحة والمعدات التقليدية. وقد عملت إسرائيل على زرع الياس في نفوس أبناء الأمة العربية، لحملهم على التوقف عن المقاومة والقتال وإجبارهم على الدخول في عملية السلام في المنطقة (الدباغ، 1987 : 80). لقد استطاعت إسرائيل في هذا المجال ترويج أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وأن باستطاعة هذا الجيش منازلة كل الجيوش العربية، وقد ظلت هذه الأسطورة تلاحق جيوش الدول العربية حتى استطاع تنظيم حزب الله تحطيم هذه الأسطورة في العام 2006.

في طبيعة الحرب النفسية الموجهة بين الدول، تركز هذه الحرب على استخدام الأسلوب الثقافي أو التعليمي، ذلك عن طريق غرس القيم الاقتصادية والسياسية والمذاهب المختلفة أو إظهار تفوقها العسكري من خلال البعثات الدبلوماسية أو البعثات الدراسية، أو من خلال الزائرين، وتعتبر مجهودات الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في هذا المجال من خلال إعطاء المنح الدراسية للدارسين، وحملات التبشير لنشر الثقافة الأمريكية والتبشير باقتصاد وثقافة العولمة في مختلف الدول الأخرى (العيسوي ، 2005 : 64).

يعتبر تفريد الخصم في الحرب النفسية، من أساليب الحرب النفسية الموجهة بين الدول، وذلك بهدف عزله عن محيطه الخارجي. ومن الأمثلة التاريخية على ذلك، ادعاء بريطانيا أنها لا تحارب الشعب المصري وإنما تحارب الرئيس عبد الناصر، (العيسوي، 2005 :64). ويعتبر أيضا عزل وتفريد الرئيس ياسر عرفات عن محيطه الجماهيري والعربي والإسلامي مثال آخر على اعتبار أن الحرب النفسية التي وجهتها إسرائيل ضد الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى هي حرب نفسية بين دول فرضتها معاهدة السلام الفلسطينية الإسرائيلية على غرار استعمال القوة العسكرية من طائرات، ودبابات، وصواريخ، في قصف مناطق السلطة الفلسطينية التي هي بمثابة دولة لها جيشها وقيادتها، بعكس ما كان سائد في الانتفاضة الأولى. لقد استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية أيضا في حملتها التعبوية الخارجية بعد إحداث 11 أيلول 2001 بالاستفراد بالخصم وعزله، حيث عملت على الموازنة ما بين الحفاظ على تحالف وولاء الدول العربية والإسلامية من جهة، وما بين التركيبة المعقدة التي نقلتها الرسالة الإعلامية لحركة طالبان وأسامة بن لادن، وما تركته هذه الحملة من آثار لمواجهة العداء المستديم للولايات المتحدة من قبل أوساط واسعة من الرأي العام في العالم العربي والإسلامي، ولقد بلغ الاستفراد في الخصم في ذلك الوقت هدفا بالغ التعقيد، بالرغم من المساعدة التي قدمتها وسائل الإعلام الرسمية والأهلية في المهجر لذلك (السامرائي، 2002 :2).

يعتبر أسلوب التفرد في المواجهة، من الأساليب التي تلجأ إليها الدول في نزاعها مع الدول الأخرى ، وذلك بعدم مواجهة الدول المعادية مجتمعة، لإخافة وترهيب الدول الأخرى، وقد لجأت إسرائيل في سياق حربها النفسية ضد الدول العربية إلى الانفراد بالجبهات والجيوش العربية، حيث حرص الإسرائيليون على ذلك منذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي، ومن خلال ذلك تمكنت إسرائيل من تمرير دعاية مفادها أن الجيش الإسرائيلي قد هزم خمسة أو سبعة جيوش عربية، لاستخدامها كرصيد سابق للاستشهاد به في المعارك والمواجهات القادم، وكجزء من الحرب النفسية التي استخدمتها إسرائيل ضد العرب على مر الأجيال (نوفل، 1987 : 33

الفصل الثاني الحرب النفسية نشأتها تطورها، مفهومها أهدافها وأساليبها ووسائلها

2. 1 **تمهيد**

2. 2 مدخل عام إلى الحرب النفسية

2. 2 . 1 نشأة الحرب النفسية ومفهومها

2 . 2. 2 تطبيقات الحرب النفسية في مدارس علم النفس

2. 2 . 3 مفهوم الحرب النفسية في العمليات العقلية

2. 2 . 4 أهمية الحرب النفسي

2 . 2 . 5 أنواع الحرب النفسية

2 . 2 . 6 مجالات الحرب النفسية وأهدافها

2 . 3 أساليب الحرب النفسية

2 . 3. 1 الإشاعة

2 . 3. 2 الأسطورة

2 . 3 . 3 غسيل الدماغ

2 . 3 . 4 الدعاية

2 . 3 . 5 افتعال الأزمات والتخريب

2 . 3 . 6 إلقاء الرعب (التخويف والردع

2 . 3 . 7 التشكيك بقدرات الخصم

2 . 3 . 8 التهكم والسخرية والنكتة

2 . 4 الوسائل المستخدمة في الحرب النفسية

2 . 4. 1 الإذاعة والتلفاز

2 . 4. 2 الصحف والمجلات والكتب

2 . 4. 3 المنشورات والبيانات

2. 4. 4 مكبرات الصوت

2. 4. 5 الطابور الخامس

2. 4. 6 المواد المصورة والكاريكاتير

2. 4. 7 وسائل أخرى للحرب النفسية

2 . 1 تمهيد

للحرب النفسية أهمية كبيرة إذ تعتبر سلاحا لا يقل أثرها عن الحرب التقليدية. بل لقد كان لها الفضل في حسم كثير من الصراعات قديما وحديثا. قد تطور الاهتمام بالحرب النفسية، وأصبح يضاهي الاهتمام بالحرب التقليدية، بل أنها سارت جنبا إلى جنب معها. ولجأت كثير من الدول إلى الحرب النفسية لتعزيز القوة التقليدية، واستخدمت كسلاح لردع الخصم وخفض معنوياته لإجباره على الاستسلام. إلا أنه، وفي العصر الحديث، طرأ تطور نوعي على وسائل وأساليب الحرب النفسية، حيث اعتمدت على الأسس العلمية وخصوصا على مدارس علم النفس ومفاهيمه المختلفة التي شكلت أساسا للحرب النفسية الحديثة. وبذلك فقد نشأت أنواع جديدة للحرب النفسية، وأصبح لها أهداف ومجالات متعددة تهدف في نهاية الأمر إلى إلحاق الهزيمة بالخصم ومحاصرته وتثبيط عزائمه.

واعتمدت الحرب النفسية في تحقيق أهدافها على مجموعة من الأساليب النفسية المختلفة من دعاية وإشاعة وغسيل دماغ، وأساليب أخرى. ولكن ابرز هذه الأساليب كان الدعاية والتي باتت مرادفة للحرب النفسية.غير أن اختيار الوسيلة المناسبة للحرب النفسية يتوقف على عدة عوامل أبرزها الجهة أو الجمهور المستهدف بعد دراسة سلوك الأفراد والجماعات للتأثير على معتقداته وقيمه ونظامه السياسي والفكري والعقائدي. ومع التقدم والتطور الهائل الذي حدث على الثورة الإعلامية والتكنولوجية، تطورت وسائل الحرب النفسية بشكل ملحوظ في نهاية القرن العشرين وتعددت وسائلها تبعا لهذا التطور. وبذلك استبعد البعد المكاني في الحرب النفسية بشكل أصبح بمقدور الدول القدرة على التأثير على اتجاهات الآخرين، وتغيير سلوكهم بشكل يخدم مصالح هذه الدول وأهدافها.

رغم التفوق التقليدي وغير التقليدي للدول العظمى، فإن هذا التفوق لم يعد يكفل تحقيق النصر في المعركة، لذلك اعتمدت كثير من الدول في القرن الحادي والعشرين على خوض حرب نفسية بكل الوسائل والأساليب. وذلك لتحقيق النصر على الخصم أو ربما تحقيق هذا النصر دون اللجوء إلى قتال. وسنحاول في هذا الفصل التركيز على مفهوم وتطور وأهمية الحرب النفسية وقدرتها على حسم المعركة باستثمار اقل جهد ممكن للعمليات العسكرية وربما دون قتال. يتناول هذا الفصل الحديث عن أهم أنواع الحرب النفسية وأساليبها، والوسائل المستخدمة فيها.

2 . 2. 1 نشأة الحرب النفسية وتعريفها

لقد عرف العالم الحرب النفسية منذ العصور القديمة، دون أن يطلق عليها هذه التسمية، . وكانت عبارة عن صرخة توقع الرعب في قلوب الأعداء أو تثير الشجاعة وترفع الروح المعنوية للمهاجم. وعرفها الفراعنة المصريون واليونانيون القدماء وكذلك الصينيون، إذ أظهرت بعض المحفوظات الصينية القديمة التي يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، بعض الكتب التي توضح أهمية القوة المعنوية في الحروب والمعارك ووصف أساليب الحرب النفسية. نذكر منها كتاب القائد العسكري الصيني صن تزو Sun Tzu (*كتاب الحرب، The Book of War*)، الذي أكد فيه على أهمية استخدام الأساليب النفسية والقوة المعنوية في الحرب مثل المفاجأة، والضوضاء، والطبول، والأبواق، واللافتات، والأعلام، (رشتى، 1985 :279). بينما اعتمد اليونانيون على الخطابة كوسيلة لإقناع الشعوب.أما المصريون القدماء، فقد استخدموا الصحافة قبل سبع وثلاثين قرنا من الزمان(الدباغ، 1998 :15) وظهرت عندهم جريدة القصر كوسيلة للدعاية والحرب النفسية. في حين لجأ تحتمس الثالث إلى الحيلة والخديعة في حروبه خاصة عند دخوله يافا في فلسطين.

لقد اهتم الرومانييون بالصحافة كوسيلة من وسائل الدعاية والحرب النفسية، إضافة إلى استخدامهم للسب والشتائم والتشهير، للتأثير على الروح المعنوية للعدو (زهران، 1977:365). واستخدم المغول الجاسوسية كوسيلة للحرب النفسية، ولجأوا إلى الشائعات كوسيلة من وسائل المبالغة والتهويل، على نحو ما أحاط جنكيز خان نفسه بحالة من الرعب جعلت أعداءه يرهبونه، إضافة إلى تضخيم قوة جيشه أمام خصمه بواسطة الجواسيس (Rouse 1427 : 4,). فيما تحدثت المحفوظات التاريخية عن استخدام التتار والقراصنة للحرب النفسية التي أصبحوا أساتذة فيها.

أما الحرب النفسية في الإسلام، فقد جاءت واضحة في القرآن والسنة والمؤلفات الإسلامية. فهناك العديد من الآيات التي تحض على هذه الحرب ومنها "وأعدوا لهم **ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** "(الأنفال، 60). هذه الآية توضح أهمية امتلاك وسائل القتال المختلفة لدى المسلمين، لإلقاء الرعب على الأعداء قبل القتال وإثناؤه. كذلك استخدم الرسول الأساليب

النفسية في فتح مكة حينما أمر بإشعال عشرة آلاف شعلة من النار وذلك لإلقاء الرعب في قلوب قريش، فتنهار بذلك عزائمهم ويسهل على المسلمين فتح مكة (المصري، 2004 :52). وأخيرا، وفي السياق الإسلامي، فقد أفرد إبن قتيبة في كتابه *عيون الأخبار* فصلا كاملا للحرب النفسية أطلق عليه "مكايد الحروب وحيلها"تناول فيه مكايد الحرب وحيلها والأوقات التي تختار لها، وأخبار الجبناء والشجعان والفرسان وأشعارهم والعدة والسلاح وآداب الفروسية (تراث الإنسانية ، 335).

ولكن مع بداية القرن العشرين، وتحديدا في بداية الحرب العالمية الأولى، بدأ الاستخدام المنظم لهذه الحرب بكل ما تعنيه من وسائل وأساليب مباشرة وغير مباشرة. فقد استخدم الألمان المنشورات كوسيلة للحرب النفسية، حيث قامت الطائرات الألمانية بإلقاء هذه المنشورات خلف خطوط العدو وتحديدا في وسط مدينة لندن (شحاتة، 2004 :184). إلا أن الحلفاء تفوقوا في استخدام هذا الشكل من الحرب وتطبيقه ضد خصومهم، مقابل عدم فاعلية الاستخدام الألماني للمنشورات (رشتى، 19856: 224)،ـ مما أوصل شعوب دول المحور إلى حالة من الإرهاق النفسي والمعنوي سهل من مهمة الحلفاء في تحقيق النصر على خصومهم. وأظهرت بريطانيا اهتماما بالحرب النفسية من خلال إنشاء قسم الدعاية المعادية في عام 1918. بينما أنشا قسم الدعاية في أمريكا عام 1917، والذي كان موجها للأمريكيين والعالم الخارجي. وقد ركزت وسائل الدعاية في حينها على المنشورات، والصحف، والكتب، والمجلات، وتحددت أهدافها في خلق روح الكراهية وتوجيهها نحو الخصم، وتحطيم معنوياته، وإقناع الرأي العام المحلي بشرعية موقف الحلفاء وعدالته، وتعزيز الصداقة بين الأمم التي تحارب مع أمريكا (العيسوي، 1999 :74).

وقد شهد عدد من الشخصيات الألمانية على نجاعة الحرب النفسية من خلال الدعاية الناجحة لبريطانيا، كقول الجنرال الألماني لوندروف" لقد نومتنا دعاية العدو مغناطيسيا مثلما تفعل الأفعى بالأرنب "(تايلور، 2000 :272). وقد اعترفت ألمانيا بقصورها في مجال الحرب النفسية والدعاية حيث إن الدعاية الألمانية لم تمنح المعنويات المدنية إلا القليل من الاهتمام. وللتدليل على تطور الحرب النفسية في ذلك الوقت نورد قولا لصحيفة أخبار الجيش الثامن Nachrichten Blutt Der 18 Armee)) عشية اعتراف الألمان بالهزيمة في هذه الحرب ".

لقد أوقع العدو بنا الهزيمة في مجال دعاية المنشورات.فإن إطلاق السهام المسمومة من مخبأ أمن لم يكن أبدا فنا ألمانيا. ومع ذلك، فلقد تبين أن هذا النضال هو مسالة حياة أو موت، وانه يتعين على المرء أن يقاتل عدوه بأسلحته. ومع ذلك فإن روح منشورات العدو تحوم متسللة ممتنعة عن القتل"(تايلور، 2000 :276).

لقد تميزت الدعاية والحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى باعتمادها على التأثير في سياسة الخصم وسلوكه.يقول غوبلزفان "الدعاية تعتبر ذراع الحرب، ومن خلالها يمكن تدمير معنويات الخصم وإصابته بالذعر الشديد والشلل النفسي، وقد أكد غوبلزمان على القيمة الدعائية الهائلة للشعارات في مجال التأثير النفسي والفكري والمعنوي في الأطراف المعادية "(أبو هنطش، 1998: 185)،

أما في الحرب العالمية الثانية، فقد شهدت الحرب النفسية تطورا هائلا، وذلك نتيجة للتطور الكبير في مجالات الإعلام والاتصالات، والعلوم التقنية، وازدهار علم النفس والعلوم الأخرى ذات الصلة بالحرب النفسية. وقد خرجت في هذه الحقبة مدارس متخصصة في الحرب النفسية منها الحرب النفسية الأمريكية، والحرب النفسية الألمانية، والروسية، وأصبح هناك قانون تقاس به قوة الدولة، إذ يساوي هذا القانون بين الكتلة الحرجة والقدرة الاقتصادية والقوة العسكرية من جهة والأهداف الإستراتيجية للأمة والإرادة الوطنية من جهة أخرى (المصري، 2004: 54). إن ذلك يعني بشكل واضح أنه بدون الروح المعنوية العالية والإرادة القوية والعزيمة الصادقة فإن القوة العسكرية والاقتصادية لا تساوي شيئا، وتصبح قيمتها صفرا إذا لم تقترن بالإرادة والروح المعنوية العالية.

لقد لعبت الدعاية السوداء من خلال وسائل الإعلام المختلفة (وكانت تعني المادة التي تأتي من مصدر غير معلن والتي خاضتها بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا، وكانت هذه الدعاية تبدو صادرة من أوروبا) دورا كبيرا في الحرب النفسية والتي عملت يدا بيد مع القوة العسكرية. ونورد على سبيل المثال كيف عملت هذه الدعاية على التشهير بسمعة العسكريين. فقد كان أطقم الغواصات يجمعون المعلومات عن بيوت الدعارة، ثم تذاع هذه المعلومات عن بعض القادة العسكريين، مما يؤدي إلى إضعاف نفوذهم أو مكانتهم، وربما يقدم البعض من هؤلاء القادة على الانتحار بعد هذه الدعاية السوداء

(تايلور، 1998: 323). لقد كانت هذه الدعاية تبث عبر وسائل الإعلام المختلفة، والسينما، وأفلام هوليود في ذلك الوقت، ومن خلال البيانات والحرب الورقية التي قام بها سلاح الجو للدول المشاركة في هذه الحرب.

وقد تطور مفهوم الدعاية والحرب النفسية في عصر الحرب الباردة، وأصبح مرتبطا بقدرة الدول على ردع الطرف الآخر، إنه مفهوم الردع الذي استمر طيلة الحرب الباردة، وبقي حتى انهيار الاتحاد السوفييتي في العام 1990. وهنا، حاولت دول المعسكر الغربي في هذه الفترة احتواء الدول الشيوعية والاشتراكية بكافة وسائل الدعاية الحديثة. وبذلك تحدث ميلوش ماركو عن التكتيك الذي يجب إتباعه إزاء البلاد الاشتراكية بقوله " يمكن استغلال الحزازات الوطنية، والتحامل الديني، ونقطة الضعف الإنسانية، وكذلك حب الاستطلاع والغرور والرغبة في الترفيه، والمقاومة السلبية، والتخريب" (ماركو، 1973 ::35). وعن كيفية عمل ذلك، يشير ماركو إلى إمكانية عقد المؤتمرات والحوار والاتصالات الشخصية في إطار التبادل الثقافي، والتوجه إلى الشباب الراغبين في التعرف على العام الغربي. ويوضح ماركو ميلوش الهدف من ذلك وهو تحول الناس، مدركين وغير مدركين، إلى معتنقين للأفكار الغربية، واصفا ذلك بالشرط المسبق لحصول انقلاب في هذه البلاد(ماركو، 1973: 35).

أما بعد انتهاء الحرب الباردة، فقد تغيرت النظرة إلى الحرب النفسية وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي حيث غابت معادلة توازن الرعب، وبدأت أمريكا تبحث عن عدو محتمل يعيد هذا التوازن إلى وضعه السابق. وقد وجدت أمريكا ضالتها في أحداث الحادي عشر من أيلول حيث عملت على تجنيد الشعب الأمريكي، وتوحيد صفوفه ضد الخطر القادم من أسامة بن لادن، وتصويره كقوة عظمى تهدد الأمن القومي الأمريكي. وقد تركزت الحرب الدعائية الأمريكية وقسمت العالم إلى محورين: إما معها ضد الإرهاب الذي يقوده أسامة بن لادن والقوى المعارضة لها حسب مفهومها وهما "محور الخير" أو مع الإرهاب ضدها وهو "محور الشر".وقادت الإدارة الأمريكية أكبر حرب دعائية ونفسية موجهة تستهدف ثلاث فئات هي: المجتمع الأمريكي وذلك بحشد التأييد للحرب، والمجتمعات المستهدفة وتتمثل في كل من سوريا والعراق وإيران وأفغانستان وكوريا الجنوبية. والفئة الثالثة وهي شعوب العالم وقادته بهدف ضمان تأييدهم ووقوفهم إلى جانبها في الحرب على" الإرهاب".

أما بخصوص الحرب النفسية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني، فثمة مجموعة من الإجراءات التي طبقتها إسرائيل منذ تأسيس الدولة في العام 1948، وحتى انتفاضة الأقصى عام 2000، وقد هدفت الحرب النفسية في مجملها إلى قهر المواطن الفلسطيني وإذلاله، وإضعاف ثقته بنفسه، وطمس الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال أساليب الحرب النفسية المختلفة الموجهة للمجتمع والفرد على حد سواء. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال محاولة محو الشخصية الوطنية الفلسطينية في مختلف المجالات لدفع الفلسطيني إلى الهجرة. ومن هذه المجالات: ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، والهيمنة على المؤسسات التعليمية وغيرها. أما وسائل هذه الحرب، فقد اعتمدت على الدعاية المطبوعة من بيانات ونشرات وجرائد وإعلانات، وإذاعات، ونداءات، ومكاتب "الإدارة المدنية" التي كان لها الدور الأكبر في تطبيق هذه السياسة.

غير أن التطور الكبير في مجال الحرب النفسية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني كان على صعيد الإشاعة والعملاء، والتي اعتمدت عليها الدعاية والحرب النفسية الإسرائيلية منذ عام 1967، وقد زادت إسرائيل من الاعتماد على هاتين الوسيلتين منذ الانتفاضة الأولى 1987 وحتى العام 2007 وهو ما سنأتي على ذكره في الجزء الثاني من هذا البحث، وعند الحديث عن آليات الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى.

مفهوم الحرب النفسية

قبل الوصول إلى فهم لمدلولات الحرب النفسية، فإنه ينبغي لنا أن نعي الهدف من الحروب سواء كانت تقليدية أو غير تقليدية، وهو إجبار الخصم على الاستسلام وقبول الهزيمة، وعليه تصبح القوة التقليدية من طائرات وبوارج وأساطيل ليست هدفا، وإنما وسيلة لتحقيق الهدف وهو الاستسلام. ولو حدث هذا الاستسلام دونما قتال لما استخدمت القوة التقليدية. ولذلك نقول أن الهدف من الحروب هو قهر الخصم وإجباره على الاستسلام، وهو هدف نفسي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

وفي المعنى الاصطلاحي للحرب النفسية فإنه يشار إلى استخدام أساليب غير مادية للتأثير على الخصم، وإرغامه على الاعتراف بالهزيمة، والتوقف عن المقاومة.وقد يعني هذا الاصطلاح أيضا الحرب دون قتال، وتحطيم مقاومة العدو والقضاء على قدرته في القتال وتحطيم معنوياته (زهران، 1977: 354).

لقد قدم الباحث ليبنرجر، الذي عمل في مكتب المعلومات الحربية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، تعريفا للحرب النفسية انطلاقا من مفهومين: ضيق، وواسع. ففي المفهوم الضيق تم استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية ذات طبيعة عسكرية، أو اقتصادية، أو سياسية، مما تطلبه الدعاية. وفي المفهوم الواسع تم تطبيق بعض أجزاء علم النفس، لمعاونة المجهودات التي تبذل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية (الدباغ، 1998 :16). يلاحظ الباحث أن هذا التعريف ربما يكون الأقرب إلى ما اتبعته إسرائيل لتطبيق آليات الحرب النفسية المختلفة والإجراءات العملية على الأرض في انتفاضة الأقصى.

أما في القاموس الحربي الأمريكي الذي صدر في العام 1948، فإن مصطلح حرب نفسية يعني: "إجراءات دعاية مرسومة للتأثير على آراء ومشاعر وسلوك وموقف المجموعات الأجنبية المعادية أو الحيادية أو الصديقة، في إطار السياسة الوطنية والأهداف الوطنية". وقد عدل المفهوم في العام 1950 "بحيث أصبحت تعني قيام بلد أو جماعة من الدول بدعاية، أو وسائل إعلام أخرى ضد مناطق معادية، أو محايدة، أو صديقة، بهدف التأثير على وجهات نظرها وأرائها ومشاعرها ومواقفها على نحو يدعم أهداف الدولة المهاجمة وحلفائها" (ماركو، 1973 :38). وفي العام 1955، قدم القاموس الحرب الأمريكي تعريفا معدلا وذلك حين أوضح "إنها الاستخدام المدبر للدعاية أو لأية تأثيرات على أراء وعواطف وموقف وسلوك العدو والفئات المحايدة والصديقة في وقت الطوارئ أو الحرب بحيث يتم دعم الوصول للأهداف القومية " (الدباغ، 1998 : 17).

وتطور مفهوم الحرب النفسية وذلك تبعا لتطور عنصر الدعاية فيها حيث يعرفها الجنرال مارك كلارك " أنها تنطوي بشكل عام على أي عمل يجبر العدو على تحويل الرجال والمعدات من الجبهة النشطة. ويربط الرجال والأسلحة استعدادا للدفاع ضد هجوم لن يحدث أبدا ". ويضيف "أن الحرب النفسية تعني

الاستخدام المخطط له للدعاية والأعمال الأخرى التي تهدف للتأثير على أراء، وعواطف، واتجاهات، وسلوك العدو والمحايد (رشتى، 1985 :284). وكذلك ركز لوك هارت على عنصر الدعاية وعرف الحرب النفسية بأنها تطبيق للدعاية لتخدم حاجة الحرب، وغرضها الرئيس هو تعبيد الطرق أمام القوات المسلحة وتسهيل مهمتها(بني جابر، 2004: 304).

وقد تطور مفهوم الحرب النفسية ليصبح أكثر شمولية لقدرته على إحداث تغييرات مختلفة في الاتجاهات، وتشكيل السلوك. وهنا يشير عبد السلام زهران إلى أن الحرب النفسية هي تعديل للسلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، وهي حرب دعاية وكلمات وإشاعات تزلزل العقول وتذل إرادة الرجال، وتعمل على تقويض الروح المعنوية للعدو حكومة، وشعبا، وهي حرب ضروس طاحنة تستخدم أشد أنواع الأسلحة فتكا في تدمير التركيبية النفسية للشخصية، بحيث تجعلها غير قادرة على التقاط أنفاسها، لا حول لها ولا قوة. والحرب النفسية تعتبر أخطر أنواع الحروب كافة، لأن ميدانها الرئيس هو الإنسان نفسه، فإذا فسد أو دمر فلا يمكن إصلاح شيء في المجتمع (زهران، 1977 :353). أما أحمد نوفل، فيعرف الحرب النفسية بأنها مجموعة الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد غير المقاتلين بهدف خدمة أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب (الدباغ، 1998: 17).

وأخيرا، فقد أوضح رون شلايفر أن الحرب النفسية بصورة عامة، هي استخدام وسائل غير عنيفة خلال الحرب لتقريب أهدافها. ويشير إلى أن هذا المصطلح قابل للتغيير حسب الضرورة، وقد تكون الحرب النفسية قاعدة حديدية، وهذه القاعدة بحاجة للتنسيق الوطيد بين المستويين العسكري والسياسي (شلايفر، 2003). وفي ذلك يشير شلايفر إلى إمكانية استخدام وسائل عسكرية إلى جانب الحرب النفسية.

ومن التعريفات السابقة للحرب النفسية يلاحظ أنها عملية تعديل للسلوك الجمعي والفردي بشكل يناسب حاجة الطرف المهاجم أو الخصم سواء قبل المعركة أو بعدها. كذلك يلاحظ أنها تلجأ إلى إضعاف الروح المعنوية، وإضعاف الثقة بالذات تمهيدا لفرض الاستسلام، واستسهال الهزيمة وتبريرها. كما تشير

التعريفات السابقة إلى إمكانية استخدام مجموعة من الإجراءات والوسائل الدعائية، إلى جانب إجـــراءات القوة العسكرية بهدف فرض الاستسلام، واليأس، والإحباط على الطرف الآخر مما يخفف من اســـتخدام القوة العسكرية. وبعبارة أخرى، فإن الحرب النفسية تتضمن استخدام الدعاية ضد العدو، بالإضافة إلـــى استعمال وسائل أخرى لها طابع النشاط الحربي، أو الاقتصادي، أو السياسي، على النحو الـــذي يكـــون مكملا لنشاط الدعاية.

وتستعمل بعض الدراسات مصطلحات أخرى مرادفة للحرب النفسية، ولكن مصطلح الحرب النفسية والدعائية هو أشهر هذه المصطلحات وأكثرها تداولا في العالم. إلا أنه مـــن المفيـــد أن نـــذكر بعـــض المصطلحات الأخرى وذلك للتدليل على شمولية الحرب النفسية ومنها: "الحرب الباردة" التي تعبر عـــن العلاقات السيكولوجية بين الدول العظمى، وذلك من خلال ما أطلق عليه التـــوازن النـــووي أو تـــوازن الرعب بين الدولتين الأعظم وذلك بهدف ردع الطرف الأخر عن بدء الحرب.وبذلك ارتبطـــت الحـــرب الباردة بمفهوم الردع الذي يعني، ان الدولة التي ستستبق الضربة الأولى تعلم مقدما بمدى قدرة الخصـــم على الرد والمواجهة واستيعاب الضربة الأولى وبالتالي إلحاق خسائر مشابهة للطرف الأخـــر (تـــايلور، 2000: 358 وأبو خزام، 1999 :238). وكذلك "حرب الأفكار" التي تتحدث عن الدور الرئيسي للفكرة في تحقيق النصر. "والحرب من أجل السيطرة على عقول البشر"، "وحرب الأعصاب" التي تشـــتمل علـــى معنى سيكولوجي ضيق ويقتصر على المعلومات الموجهة ضد العدو في فـــترة الاشـــتباكات المباشـــرة، "والحرب السياسية"، "والحرب الدعائية"، وذلك للتأثير على سلوك الجماهير حيال القضايا الدولية المختلفة، "وحرب الكلمات"، وغيرها من المصطلحات.

2 . 2 . 2 تطبيقات الحرب النفسية في مدارس علم النفس

تعتمد الحرب النفسية " Psychological Warfare" في تطبيقها على مباديء وأسس هامة في علـــم النفس سواء ما تعلق بعلم نفس التعلم، وعلم نفس التحليلي من خلال العمليات العقلية المختلفة، وعلـــم النفـــس الاجتماعي، إضافة إلى اعتمادها على الدعاية والإعلان، حيث تعمل مجموعة كبيرة من الأخصائيين ســـواء للتخطيط قبل بداية الحرب أو أثنائها، أو بعدها(العيسوي، 1999:20).

مدرسة التحليل النفسي Psychological analysis

أعاد سيجموند فرويد(1958 –1856) ،(S. Freud) تفسير السلوك إلى أسس بيولوجية وافترض أن سلوك الإنسان محكوم بغرائز فطرية لا شعورية في معظمها، وهذه القوى التي تحكم سلوك الإنسان، بمثابة رغبات طفولية لم يرض عنها المجتمع. وبالتالي عاقبها الفرد عقابا شديدا فابتعدت إلى اللاشعور في حياة الفرد.وقسم فرويد الغرائز إلى مجموعتين هما: غرائز الموت، متمثلة في العدوان أو غريزة الموت والتي ينزع الإنسان إلى تدمير الأشياء ومقاتلة غيره لتحطيمه تجنبا لتهديد نفسه وذلك بالعود ة إلى حالة سابقة. وغريزة الحياة متمثلة في الجنس للمحافظة على النوع(فرويد، 1970 :18). وحياة الإنسان صراع ما بين غرائز الحياة وغرائز الموت. ويعتقد فرويد أن سلوك الإنسان غرضي وغالبا ما يكون هذا السلوك إرضاء لدافع لا شعوري مكبوت. وبذلك أوضح فرويد من خلال نظرية التحليل النفسي إلى أن كثير من أفعال البشر ترجع إلى الدوافع اللاشعورية في حقيقة الأمر، بينما يكون السلوك الظاهر مجرد تمويه وتغطية لدافع حقيقي أخر لا شعوري وتعبر عن النزعات والدوافع اللاشعورية عن نفسها بفلتات اللسان وزلات القلم ونسيان المواعيد وفقدان الأشياء وضياعها لأسباب لا شعورية والرسوم والأشكال التي يرسمها الفرد لا شعوريا والأعمال القهرية الو سواسية (عاقل ، 1971 :178).

وإذا ما عدنا إلى تعريفات الحرب النفسية السابقة، وأمعنا النظر في تعريف الحرب النفسية عند حامد عبد الماجد حيث يقول:

" إن هذه الحرب عبارة عن حملة شاملة تستخدم فيها مختلف الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة، أو الأمة، أو الفرد، أو الشعب المستهدف، وذلك بقصد تغيير أو تدمير مواقف أو اتجاهات سياسية معينة، وإحلال مواقف أخرى محلها بغرض تشكيل سلوك جديد يتفق ومصالح وأهداف الطرف الذي يشن الحرب (المصري، 2004 :81)".

فإن ذلك يقربنا من القول إن الحرب النفسية هي استدعاء للذاكرة اللاشعورية عند الإنسان. فالإنسان، هنا، يحاول الوصول إلى رغباته وحاجاته وفق مبدأ اللذة، وعندما تتفوق الضغوطات الخارجية المتمثلة في الحرب النفسية التي يديرها الخصم، على الضوابط النفسية والاجتماعية لدى الفرد، يضعف الفرد ويقع تحت تأثير الحرب النفسية. مما ينعكس بشكل كبير على المجتمع. إن ذلك يتفق مع مفهوم العصاب المرضي عند فرويد بأنه حينما تتنازع الإنسان قوى متعارضة وتتصارع رغباته أو تتصادم أفكاره مع البيئة

فإنه قد يتداعى بالعصاب، والتي هي عبارة عن حالة مرضية بحيث تشكل قوى النفس هنا دافعا إلى الإشـــباع ولو بطرق ملتوية أو رمزية أو بديلة، وذلك نتيجة ضعف ألانا نتيجة لهذا الصراع الذي وصفه فرويد بالحرب "الأهلية الداخلية" عند الفرد (فرويد، 1970: 46). ذلك ينطبق على الطابور الخامس الذين يحاولون تحقيق ذاتهم بدوافع مختلفة سواء كانت دوافع فسيولوجية أو دوافع غير فسيولوجية كتأكيد وتحقيق الذات (خضر، 2003 : 39).

2- المدرسة السلوكية Behavioral Approach

تحاول المدرسة السلوكية فهم السلوك الإنساني عن طريق فهم ما يجري خارج الجسم مـــن أحـــداث بيئية(العيسوي ، 2005: 64)، حيث قال عالم النفس الأمريكي) واطسن 1958 –1878 Watson: (إن السلوك يجب أن يدرس بموضوعية كسائر الظواهر الطبيعية الأخرى. إن تفسير السلوك يجب أن يكون فـــي قياس السلوك الظاهر وملاحظته فقط. وقد قال وطسن أيضا إن السلوكية: هي العلم الطبيعي الذي يدرس كل السلوك والتكيف البشريين، وذلك بطرائق تجريبية ويقصد ضبط سلوك الإنسان وفقا لمكتشفات العلم (عاقـــل 1971 :126). ولقد تطورت نظرية المثير والاستجابة، لعالم النفس الأمريكي سكنر 1904) Skinner) الذي ركز على دراسة المثيرات سواء كانت مثيرات مباشرة تحدث قبل السلوك، أو مثيرات حدثت في ماضي الفرد، وعلاقة هذه المثيرات بالاستجابات التي تصدر عنه، مع التركيز على أهمية المـــثيرات البيئيـــة الـــتي تحدث بعد السلوك وتعمل على التحكم فيه. ان ما يخلص إليه سكنر هو تعريض الكائن العضوي إلى مـــثير معين ثم ملاحظة الاستجابة، وقد تكون هذه الاستجابة لمـــثير معـــروف وهـــو مـــا اســـماه الارتكـــاس الاستجابي[1] ، وقد تكون الاستجابة لمثير غير معروف أطلق عليه سكنر الارتكاس الإجرائي[2]، والاستجابة هنا تكون صادرة عن الكائن العضوي بشكل عفوي قد تكون صادرة عن مثير داخلي (عاقل، 1971 : 139).

وعلى ذلك فإن الحرب النفسية تهتم بدراسة عوامل السلوك المختلفة كالدوافع، والإدراك والإحباط، والاتجاهات، ثم لمعرفة أساليب التأثير في انفعالات الجماهير، وأفكارها، واتجاهاتهـــا (الـــدباغ، 1998 :37)

[1] الارتكاس الاستجابي: هذا السلوك ناتج عن مثيرات بيئية، ويشترط ان يكون هناك مثير لتحدث استجابة، المثير يولد استجابة.

[2] الارتكاس الإجرائي: السلوك هنا لا يرتبط بمثيرات يمكن معرفتها ولا يمكن التنبؤ بها وتولد السلوكيات الإجرائية إحداثا واستجابات في البيئة، فلاستجابة هنا إذا لقيت تعزيز تكون بمثابة مثير لاستجابة جديدة.

تمهيدا إلى تحطيم معنويات الخصم وكسر إرادته. وبعبارة أخرى، فإن ما يتعرض له الفرد من مــــثيرات سلبية ضاغطة في زمن الحرب، هذه المثيرات تحدث نوعا من الاستجابة التي ربما تكون سلبية وفق أهداف الخصم وهنا نذكر أن ما تتعرض له الجماهير في الحرب من اعتقالات وهدم البيوت على أصحابها قــــد تدفع بالفرد إلى تغيير سلوكه بشكل سلبي يهدف إلى تدمير الذات لدى الفرد والجماعـــة، وقـــد تحـــدث استجابة ضاغطة تتمثل بالسلوك الرافض والمقاوم.

3-المدرسة الجشطالتية: GESTALT

تنسب المدرسة الجشتالتية إلى كل من (ورتيمر 1943- 1880 Wertheimer))وكوفكا 1941- 1886 Koffka و(كوللر Kohler1887 (وتركز على السلوك الكلي للفرد والذي يعتبر أكبر مـــن السلوك الجزئي. ويؤكد الجشطالتيون على الوحدة الكلية وعلى تنظيم البنية تنظيما نسقيا يخدم غاية ما ويفسر تركيبها البنيوي. وتوضح هذه النظرية أن الأجزاء المتقاربة والمتشابه في الزمان والمكان يتم إدراكها ســـوية مع استكمال الأشكال الناقصة، وتسوى الصورة النهائية في مجملها لتكون على ما يمكن أن تأتي عليه مـــن حيث انتظام الشكل والمضمون وانسجامها ومناسبة كل للآخر. وقد ركزت هذه المدرسة على الاستبصار في التعلم رافضة مبدأ التعلم عن طريق المحاولة والخطأ، إنما يتم التعلم من خلال التبصــــر بمجمـــوع الوضع الكلي، وذلك من خلال قانون الجشطالت الذي يعتمد على إكمال الشيء الناقص أو ما يسمى بسد الثغرة بين الوضع كشكل عام وذلك بشكل يشتمل على الهدف ويقود إليه (عاقل، 1971: 164).

وحسب هذه النظرية يشير محمد المصري أنه يمكن تناول الأبعاد الكلية للحرب النفسية كونها أول ما تستهدف عقل الإنسان ونفسيته لتحقيق السيطرة على إرادته من منطق كلي شامل، بحيث يمكن إدراك مجمـــل العوامل الكلية والطرق والوسائل المستخدمة لمحاربة هذا العقل الإنساني من مختلف الجـــوانب. ومـــن ثـــم التعرف على الأجزاء ومحاولة رصدها والتعرف عليها عبر دراسات مستفيضة، أي إن الحرب النفسية يمكن إدراكها من خلال المناخ النفسي الكلي للأمة ومن ثم محاولة التعرف على الأجزاء (المصـــري، 2004: 88). وقد ركز علماء النفس من هذه المدرسة على دور العمليات النفسية التي تعجل بصياغة أشكال، ووظيفة العقل تكمن في إيجاد فراغات ومن ثم العمل على تكميلها وتماسكها وذلك حسب الخبرة السابقة سواء كانت خبرات طبيعية ايجابية فعملية التكميل محبذه أو مؤيد، . أما السلبية فتنطوي على الكراهية والتشهير، ومن هنا فـــــان

الحرب في طبيعتها تعبر عن نكوص إلى السلوك البدائي.وبالتالي فإن الشائعات المتمشية مع هـذا السـلوك دون الإلتفات إلى سمعة الناس وأعراضهم (إمام، 1969 :270). إن الإشاعة وإطلاقها من قبل الخصم فـي الحرب النفسية وحسب هذه النظرية فإن الناس يميلون إلى ترديد هذه الإشاعة وإكمالهـا وفـق الانفعـالات والخبرات والميول والاتجاهات السابقة لدى الفرد أو الجماهير.

2 . 2. 3 مفهوم الحرب النفسية في العمليات العقلية

الحياة اللاشعورية والدوافع اللاشعورية

لقد أطلق فرويد اسم اللاشعور على منطقة مظلمة تعيش في حياة كل شخص، وتكمن بها عدد من الدوافع التي تولد مع الإنسان التي لا يعترف بها الفرد نتيجة للقيود والضوابط التي يضعها المجتمع على الفـرد، أو التي يضعها الفرد على نفسه مع نمو الضمير الذي يصبح بديلا عن سلطة المجتمـع. وبالتـالي تحـول دون إشباع الفرد لحاجاته ودوافعه. إلا أن هذه الدوافع لا تنعدم على الإطلاق، إنما تظهر ويحس الفرد بتأثيرهـا وتبدو في فلتات لسانه وأحلامه أو زلات القلم أو الرسوم والأشكال التي يرسمها الفرد لا شعوريا، أو الأعمال القهرية التي يقوم بها الفرد أو في شكل أمراض وانحرافات نفسـية كالسـرقة القهريـة. إن هـذه الـدوافع اللاشعورية والدوافع الدفينة قد تؤدي إلى سلوك يتصف بالعدوان، أو شعور الكراهية لدى الفرد نحـو زملائه للتشهير بهم والنيل منهم.

يستغل مخططو الحرب النفسية هذه الحاجات والدوافع اللاشعورية المكبوتة لدى الإنسان ويتـم العمـل على تنميتها واستغلالها وتوظيفها في طرق الحرب النفسية المختلفة بحيث يسعى القائمون على هذه الحـرب إلى تحديد الهدف والجهة المستهدفة وفهمها من كافة النواحي بقصد تحديد المطلوب ومعرفـة الاسـتجابات المطلوبة والمتوقعة مسبقا (الدباغ، 1998: 52). ذلك يعني أن الشخص الذي تتوفر لديه نزعات مكبوتة من حب السيطرة والتملك على سبيل المثال تعمل الجهات المختصة في الحرب النفسية على إمكانيـة اسـتغلالها واستخدامها من اجل خدمة أهدافها.

الإعلاء والتسامي Sublimation

يميل الفرد إلى التعبير عن الدوافع اللاشعورية السابقة والتي تحدثنا عنها وهي الدوافع المكبوتة إلى التعبير عنها بطريقة غير مباشرة، ولكن مقبولة اجتماعيا، فالفرد الذي يشعر بالرغبة في العدوان قد يعبر عنها بطريقة يرضى عنها المجتمع كالملاكمة، أو المصارعة، أو الصيد، وكذلك الدوافع الأخرى. وفي ذلك يوضح فرويد نظريته الخاصة بالتسامي، فيشير إلى إطلاق سراح الطاقة الحيوية، والتي تسمى اللبيدو التي تم كبتها والاستفادة منها في الأمور التي يرضى عنها المجتمع(العيسوي، 2004 :107).

التعويض Compensation

التعويض يعني الاستعاضة عن نوع من السلوك يصعب على الفرد القيام به بنوع آخر من السلوك، ومن شأن هذا السلوك الجديد أن يغطي على صفة أخرى غير مرغوب بها. وما نقصده هنا في الحرب النفسية على سبيل المثال لا الحصر أن هذا السلوك الجديد قد يؤدي إلى الإزعاج والإضرار بالآخرين. ويعطي نعيم رفاعي مثالا على ذلك فيقول حالة الطفل الذي أراد ان يلفت الأنظار إليه بعد أن تخلى عنه رفاقه، فأمعن في الاعتداء على غيره بالقول واليد (الرفاعي، 1982، 161).

الإيحاء Suggestion

تتلخص هذه العملية في غرس قضية أو فكرة معينة في عقلية الفرد تحت تأثير التنويم المغناطيسي دون أن يكون لهذه الفكرة أساس منطقي وما يعزز نجاحها هو القوة أو السلطة الاجتماعية التي تتمتع بها الجهة الموجهة لعملية الإيحاء.

وفي التطبيقات العملية للإيحاء في مجال الحرب النفسية والإقناع السياسي والدعاية فإن نجاح ذلك يتوقف على الفرد نفسه وميله إلى التصديق، حيث ان ذلك يرتبط بارتباط الفرد واندماجه في الجماعة، فإذا كان مستوى هذا الاندماج عاليا فإن الفرد يظهر ميلا قويا للتصديق، حيث لا تتوفر أي إمكانية للنقد (العيسوي، 2004 :112). كذلك فإن ميل الفرد إلى التصديق يظهر عندما يكون الفرد في حالة انفعال قوية، وهذا ما يحدث في حالات الحرب والإشاعة وغيرها. وتستغل عملية الإيحاء في أسلوب غسل المخ، فبعد أن يصبح الفرد معزولا اجتماعيا ومتخليا عن المبادئ والمعتقدات السابقة، تبدأ مرحلة الإيحاء النفسي له بالأفكار الجديدة المرغوب بها والتي تشكل شخصية جديدة للفرد تقوم بالأدوار المحددة لها (زهران، 1975 :364)

التبرير Rationalization

هي من العمليات العقلية والحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد عندما تخرج تصرفاته وسلوكياته عن الحد المعقول. وبالتالي يلجأ الفرد إلى تفسير سلوكه وتصرفاته تفسيرا يؤدي إلى رضا الفرد عن نفسه. وكذلك رضا المجتمع عنه، غير أن دوافع هذا السلوك هي لا شعورية وغير مقبولة اجتماعيا، . ويعتبر التبرير من الحيل الدفاعية المريحة للشخصية، إذ تبتعد بها عن الإحساس بتأنيب الضمير أو الإحساس بالإثم، إنه الفرد يلجا إلى ذلك اعتقادا منه ان يفعل ذلك من اجل الإنسانية والدين والمروءة. (مخيمر، 1972 :112).

الإسقاط أو الإضفاء: Projection

يتعلق الإسقاط بعملية عقلية دفاعية لا شعورية لدى الفرد ترمي إلى إسقاط صفات غير معقولة بعد أن يتم تضخيمها وإبعادها عن نفسه، وإلصاقها بغيره من الناس دون معرفة الفرد بالدافع الحقيقي للسلوك الاسقاطي. إن الفرد يبرر سلوكه عن طريق اتهام الآخرين بأنهم يتصرفون بالطريقة غير اللائقة التي نتصرف بها، أنه نوع من الدفاع عن الذات.ويمكن الكشف عن الدوافع اللاشعورية التي تسبب هذا السلوك، بواسطة الاختبارات الإسقاطية التي تكشف عن ميول الفرد واتجاهاته وانفعالاته دون أن يدري.

النكوص Regression

يعرف استرنج Strange عملية النكوص بأنها حيلة دفاعية أو آلية من آليات الدفاع التي يعود فيها الفرد إلى مرحلة سابقة، يعود في الغالب إلى نمط طفولي من السلوك في محاولة غير مجدية للتكيف مع المواقف الضاغطة، أو حالة الحصر التي يعاني منها (العيسوي، 2004 :131). والواقع ان النكوص يرجع إلى وجود شعور بالخوف، أو عند حدوث عوائق أمام الفرد تمنعه من تحقيق أهدافه فيعود إلى مرحلة البداية. ويربط صلاح مخيمر بين الإحباط والنكوص فيقول إنه عند الإحباط يبرز حنين إلى أنماط ماضية من الإشباع كانت أكثر اكتمالا وأن الغرائز عند إحباطها ومنعها من الإحباط المباشر تبحث عن بديل، إنه ضعف من نوع خاص، فيسود تنظيم ألانا (مخيمر، 1972 :123).

الصراعات النفسية: Psychological Conflicts

لا شك أن الصراع هو أهم مصادر الإحباط، وذلك لأنه الوضع الناجم عن إثارة دافعين أو حافزين معا وبنفس الوقت بحيث لا يمكن أن يتعايشا معا أو يشبعا معا، إن إشباع أحد الدافعين يؤدي إلى إحباط الآخر،

ويتوقف ذلك الأمر على شخصية الفرد فالشخص السوي غالبا ما يحل الإشكال ويختار أحد الأمرين، بينما الشخص العصابي فإنه يعجز عن التضحية وعلى ذلك يبقى في حالة صراع دائم (العيسوي، 2004: 134). وهناك أشكال متعددة للصراع وهي صراع الإقدام إحجام والذي يحدث بالنسبة للفرد أن يكون لديه هدفان ايجابيان جذابان ولكن يستحيل على الفرد تحقيقيهما معا، وهذا النوع لا يمثل خطورة على الفرد. أما صراع الإحجام إحجام فيتمثل في رغبة الفرد في تجنب موقفين كلاهما غير مرغوب فيه لدى الفرد، ولكنه لا يستطيع تجنبهما معا، ومثال ذلك الجندي الذي يخاف من المعركة ويرغب في المحافظة على حياته فإنه يفكر بالهروب، ولكن الهروب يجلب له وصمة عار ويتهم بالخيانة وإذا توجه للقتال فإنه يواجه خطر الموت. وعلى ذلك تلعب الدعاية والإشاعة في الحرب النفسية دورا كبيرا في التأثير على الفرد الذي يتصف بمثل هذا النوع من الصراع. ومن إشكال الصراع النفسي أيضا صراع الإقدام إحجام إنه رغبة الفرد في هدفين أحدهما له جاذبية سلبية والآخر ايجابية، إنه رغبة الفرد في تحقيق دافع معين ولكنه يحاول تجنب المخاطر المترتبة على ذلك. وأخيرا نشير إلى صراع الإقدام الإحجام المزدوج والذي يعد من أصعب أنواع الصراعات، فعلى سبيل المثال إن الإقدام على الزواج تحركه عدة عوامل، مثل الرغبة في العشرة وإشباع الدافع الجنسي، وإنجاب الأطفال، والرغبة في الإحجام تحركه عدة عوامل أخرى مثل عدم الرغبة في تحمل المسؤولية، والمتاعب المالية المصاحبة للزواج، وفقدان الحرية.

2 . 2. 4 أهمية الحرب النفسية

لا شك أن للحرب النفسية أهمية كبيرة على الروح المعنوية، وذلك فيما يتعلق برفع الروح المعنوية، أو تثبيطها عند الخصم. فقد نسب نابليون أنه قال بأن القوة المعنوية تساوي ثلاث أرباع القوة عامة في المجهود الحربي(الدباغ، 1998: 47).وقد أثبتت الوقائع والحروب التي أشرنا إليها في سياق الحديث عن تطور مفهوم الحرب النفسية عبر التاريخ، أن هذه الحرب هي سلاح فعال وشديد التأثير في حسم المعركة.حتى أنه يمكننا القول، إنها باتت تشكل جزءا من النشاطات السياسية والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية.وأصبحت في الجيوش الحديثة سلاحا مكملا للحرب العسكرية والسياسية، حتى أن بعض الجيوش الحديثة تهتم بتطوير هذه الحرب جنبا إلى جنب مع القوة العسكرية التقليدية.وفي هذا المجال نوه الجنرال ديغول إلى أهمية الحرب النفسية بقوله " لكي تنتصر دولة ما في حربها، عليها أن تتحرك قواتها على شن الحرب النفسية قبل أن

تتحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها (غرانت، 2003: 28).

وأهمية الحرب النفسية ليست مقصورة أثناء الحرب العسكرية والقتال، بل إنها أصبحت سلاحا في السلم والحرب الباردة. فقد استعملها الطرفان الرأسمالي والشيوعي، فبالإضافة إلى العوامل الاقتصادية، حققت الدعاية والحرب النفسية الغربية انتصارا ضد الأنظمة الشيوعية، والذي انتهى بالقضاء على المنظومة الشيوعية، حيث انهارت معنويات الدول الشرقية دون قتال، وذلك يوضح أهمية الحرب النفسية في السلم وإثناء الحرب الباردة.

وإضافة إلى أهمية الحرب النفسية في تقوية الجبهة الداخلية ورفع المعنويات والتأثير على الخصم فإن أهميتها تتعدى ذلك إلى ما هو أشمل من ذلك من خلال التوجه إلى كسب الرأي العام العالمي، وكسب صداقتهم وتأييدهم وتعبئة الرأي العام العالمي بالكراهية ضد الخصم (العيسوي، 2004 :26). بل إن الحرب النفسية قد تهدف إلى ضمان حيادية الأطراف الأخرى التي تعتبر نفسها صديقة للطرف الخصم أو العدو، ومن ثم تتضح أهمية الحرب النفسية في ضمان تأييد، وحياد البعض والذي يؤدي إلى عزلة كبيرة للعدو بشكل يدفعه إلى التراجع والاستسلام.

وبذلك، يمكننا القول إن الحرب النفسية هي حرب هجومية ودفاعية في وقت واحد وهو ما يضيف لها أهمية كبرى.ونورد هنا ما ذكره ابن خلدون للتدليل على أهمية هذه الحرب، حيث يبين أن النصر لا يتوقف على الأسلحة الحديثة والعتاد، بل يتعدى ذلك إلى وسائل أخرى حيث يقول "

" وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة، وهي الجيوش ووفورها وكما أن الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب ألمصاف ومنها صدق القتال، وما جرى مجرى ذلك من أمور خفية، وهي إما خداع البشر وحيلهم في الإرجاف، والتشانيع التي يقع بها التخذيل، وفي التقدم إلى ألاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفي الكمون في الفياض ومطمئن الأرض والتواري بالكد حول العدو حتى يتداولهمالعسكر دفعة وقد أتوا فيتلممون إلى النجاة "(ابن خلدون ، 2002 :277)

وأخيرا، وفي مجال استعراض أهمية الحرب النفسية على اختلاف أنواعها فتجدر الإشارة إلى أن

هذه الحرب قد تحولت من وسيلة هامشية عرضية مساعدة في الحرب إلى وسيلة وأداة عسكرية رئيسه (، أحمد أبو الشباب، 1999 : 354). وقد تحولت نظرية الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية إلى فكرة الضربة القاضية معنويا، والتي يجب أن تؤدي إلى النصر النهائي في الحرب بأقصر وقت ممكن. وقد طبق هتلر هذه الفكرة في حروب الجيش الألماني في أوروبا الغربية مما أوقع الرعب والهلع في مؤخرة الجيوش الحليفة لبريطانيا في كل من فرنسا وبلجيكا (عطايا، 1992: 143)، وهو الأمر الذي مكن هتلر، في المراحل الأولى للحرب، من احتلال أوروبا الغربية بأكملها.

2 . 2. 5 أنواع الحرب النفسية

تتضمن الحرب النفسية أنواعا مختلفة، تهدف في نهاية الأمر إلى إلحاق الهزيمة بالخصم، ولكن هذه الأنواع تعمل فيما بينها بشكل متكامل وبشكل تؤدي إلى تغيير الاتجاهات، وتعديل السلوك، ورفع الروح المعنوية، أو تثبيطها سواء ما تعلق بالنسبة للجنود أو الشعوب. ومن أنواع هذه الحروب، الحرب النفسية الاستراتيجية والتي تهدف إلى تحقيق أغراض وأهداف تتصف بالشمولية من حيث الزمان والمكان (الدباغ، 1998 :48). وتتميز باعتمادها لخطط حربية موضوعة، قد تمتد لفترات طويلة، وقد تكون مرتبطة بالأهداف الاستراتيجية للدولة. وعادة ما تكون هذه الدعاية موجهة ضد قوات الخصم والشعوب المعادية بأكملها، وتهدف هذه الحرب إلى بث روح الاستسلام واليأس، وتحطيم معنويات العدو. وقد يشتمل هذا النوع من الحرب على قطاعات متعلقة بالاقتصاد، والشؤون العسكرية، إضافة إلى استغلال مكامن الضعف النفسية والسياسية لدى الخصم. وتستعمل هذه الحرب وسائل الإعلام المختلفة، إضافة إلى وسائل الحرب النفسية المختلفة كالإشاعة والبيانات والدعاية.

وتتضمن الحرب النفسية التكتيكية خططا موضوعة لمجموعة معينة من المستمعين وتكون موضوعة تدعيما لتعليمات حربية محددة. وعادة ما يكون الهدف من هذه الدعاية تحقيق إغراض مؤقتة، ومباشرة في زمن محدد، وضمن موقف محدد (شفيق، 2004 :291). ومنها الحصول على معلومات عن العدو، وعن عملياته، ومعرفة مدى إلمامه بعمليات القوى الصديقة والعمل على تقليل كفاءته القتالية.

نوع آخر من الحرب النفسية يتسم بان بسفور مصدره وعدم عمله بالخفاء، وعادة ما يوضح المسؤول عن هذا النوع من الحرب أهدافه، وقد يمثل هذا المسؤول الأوساط الحكومية، أو رجل الدين، أو رجل فكر.

أنها الحرب النفسية البيضاء، وتتحمل الدولة مسؤولية هذه الحرب النفسية، وتستخدم وسائل الإعلام المختلفة من أجل تحقيق أهدافها (زهران، 1977: 359). وهذا النوع من الحرب النفسية يمكن أن يقترب من الإعلام الرسمي الذي يصدر عن الدولة.ومثال ذلك، برامج التوجيه السياسي، أو النشرات والتعليقات الإخبارية، سواء في الصحف أو البرامج التي تبثها أجهزة الدولة المختلفة والتي تكون موجهة للخارج أو الداخل.

وقد يسعى القائمون على الحرب النفسية إلى العمل من مكان سري مقنع، وغير واضح الأهداف، ويطلق عليه اسم الحرب النفسية السوداء. وتهدف هذه الحرب إلى التشويه، والاختلاق، والمبالغة، والسخرية(شفيق، 2004: 289). وتنطلق هذه الحرب بأسماء وهمية غير صحيحة، ولا تتمتع بمصداقية عالية، إنما تنطلق هذه الحرب وقت الأزمات والفوضى وعدم استقرار الأمور، لإحداث البلبلة والتشكيك. وتستخدم هذه الحرب جانبا من الحقائق دون ذكر بقية الحقائق، وذلك لخدمة غرضها فقط، وتستخدم الكاريكاتير، والتهكم والسخرية، والتكرار. إضافة إلى الإذاعات السرية التي تبث برامجها من أماكن مجهولة، والنشرات السرية والصور المزيفة والشائعات.

وما بين الحرب النفسية البيضاء والسوداء تختص الحرب النفسية الرمادية والتي تلجأ للأكاذيب والمبالغة والتهويل (شفيق، 2004:289) وتختفي هذه الدعاية وراء هدف معين، وتعمل بطريقة غير مباشرة، ومن خلال مصادر منوعة.وتتميز هذه الحرب بعدم وضوح الأهداف، غير أنها تختص في زرع الفتن والتشكيك فقط وخلق حالة من الفوضى والفراغ.

وإلى جانب العمليات العسكرية التعرضية أو الهجومية في المعركة، تعمل الحرب النفسية التعرضية الهجومية، حيث تقوم وحدات العمليات النفسية بتحليل العوامل النفسية وتقديم توصياتها، مع تقويم نتائج الحملات النفسية السابقة. ويتحمل هذا النوع من الحرب المسؤولية عن توزيع المنشورات، والبيانات، واستخدام مكبرات الصوت، لتمهيد الطريق لعمل القوة العسكرية، وإقناع الخصم بضرورة تغيير سياساته، والتهيئة للهجمات الجديدة من خلال وسائل الدعاية. وتتحمل وحدة الحرب النفسية الهجومية المسؤولية عن خفض معنويات العدو، وتقليل كفاءته القتالية، وإقناعه بزيف القضية التي يحارب من أجلها، وتشجيعه على الفرار والاستسلام، وتسهيل احتلال المدن بإعلان بلاغات الاستسلام والتشكيك بالقيادة (الدباغ، 1998: 49).

وفي مقابل هذه الحرب وعلى صعيد الجبهة الداخلية تختص الحرب النفسية الدفاعية في رفع جاهزية ودافعية الجنود أثناء الحرب. وتتحمل المسؤولية عن تقوية وإعداد الجبهة الداخلية برفع الروح المعنوية عند الشعب، وهذه الحرب هي المسؤولة عن مقاومة الشائعات والقضاء على الجاسوسية والقيام بالتعبئة المضـــادة والتصدي للدعاية الهجومية من قبل الخصم وبيان زيف حقيقتها وفضحها(زهران، 1977: 365).

ولتعزيز المكاسب والانتصارات التي أحرزتها الحرب النفسية الاستراتيجية والهجومية تقع على عاتق الحرب النفسية التعزيزية مهمة الحفاظ وتثبيت ما تم تحقيقه من إنجازات وتقوم بتقديم المســـاعدة للعمليـــات العسكرية عن طريق تأمين خطوط المواصلات، ومنع حدوث الذعر لدى المواطنين، والحصول علـــى تأييـــد السكان المحليين، وحفظ الأمن والاستقرار، ومنع انتشار الشائعات، وإقناع الخصم بضـــرورة التعـــاون مـــع الجانب المنتصر، وأن هزيمته أصبحت نهائية وحتمية، ولا مجال لتغيير النتيجة.(الدباغ، 1998: 49).

وأخيرا تعد الحرب النفسية الانقسامية أخطر أنواع الحرب النفسية التي تستخدم في العصر الحديث، والتي تؤدي إلى حدوث انقسامات داخل المجتمع، أو تحدث تصدعا في جبهة معينة بالجيش. مثـــال ذلك الحملة التي قام بها الحلفاء حين أوعزوا إلى الجنود الكاثوليك في ألمانيا بأن يثوروا على القومية الألمانية (حاتم، 1993: 497). وفي العصر الحديث استخدم هذا النوع من الحرب النفسية أثناء الغزو الأمريكي للعراق. فقد أدت هذه الحرب إلى تحييد أو استسلام قطاعات واسعة من الجيش العراقي في العـــام 2001. وحـــاولت إسرائيل تحقيق هذا الهدف من خلال غزوها للجنوب اللبناني في آب 2006، من خلال تحريض مجموعـــات من الجيش والحكومة اللبنانية، وذلك عبر تدمير الممتلكات بصورة كبيرة جدا بشكل يحرض على حزب اللهـــ ويجعله في حالة من العزلة.وكذلك الحال في الحرب النفسية الإسرائيلية التي ما زالت مستمرة لغاية الآن على الشعب الفلسطيني والتي سنتناولها في القسم الثاني من هذا البحث.

2 . 2. 6 مجالات الحرب النفسية وأهدافها

الحرب النفسية لها مجالات متعددة، ولكنها في نهاية الأمر تسعى إلى محاصـــرة العـــدو وتثـــبيط عزيمته، وإلقاء الرعب في قلبه، ودفعه للاستسلام. فهناك المجال العالمي، حيث تشن الحرب النفســـية إلـــى العالم الخارجي الصديق والمحايد ويكون هدف هذه الحرب تضليل الرأي العام العالمي، والحصول على الدعم والتأييد، لتبرير دخول المعركة، وإظهار الصورة الوحشية للخصم. ويهدف ذلك إلى محاصرة العدو وعزلـــه

عن أصدقائه، وبالتالي عدم حصوله على مساعدات عسكرية واقتصادية. أما في المجال المباشر الموجه للعدو في المعركة، فإن الهدف هو دفع العدو إلى الاستسلام أو خفض الروح المعنوية، وذلك عن طريق خلق نوع من الصراع النفسي يقترب من شكل صراع الإقدام –الإحجام، الصراع ما بين النجاة والحياة أو القتل والتدمير (شحاتة، 2004: 194). وهناك المجال الموجه إلى عمق العدو وتحديدا جبهته الداخلية من الشعب والعسكريين، بهدف إضعاف وحدته وتماسكه. وقد تمتد هذه الحرب إلى النواحي الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والتربوية(زهران ، 1977 :256)، بشكل يؤدي إلى إثارة البلبلة، وبالتالي إضعاف الجبهة الداخلية التي من مهامها إسناد ودعم الجبهة ألرئيسه في الحرب، وفي نهاية الأمر تؤدي إلى إجبار الدولة إلى إتباع سلوك معين يخدم أهداف الدولة المخططة.

ومن مجالات الحرب النفسية أيضا: العمل على إسقاط الأفراد ودفعهم إلى التعامل والجاسوسية ضد أبناء وطنهم، وذلك تحت مجموعة من الإغراءات المختلفة، التي تقوم عبر استغلال الفروق الفردية الموجودة بين الأفراد من الشعب الواحد. وأخيرا، تعمل الحرب النفسية أيضا من خلال التحقيق مع المعتقلين السياسيين، واستخدام أساليب الحرب النفسية المختلفة من خداع، ووسائل ضغط نفسي أخرى. بهدف الحصول على معلومات واعترافات وتوظيف هذه المعلومات في إحراز تقدم عسكري أو سياسي على أرض المعركة.

من الأهداف التي ترمي إليها الحرب النفسية إظهار عجز النظم الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، عن القيام بواجباتها نحو الجماهير، وتقسيم وحدة المجتمع، من خلال إثارة النعرات الطائفية، واستغلال الأقليات في الداخل، وخلق التناقضات بين فئاتها المختلفة، والتفرقة بين الأحزاب وبين القوات العسكرية وباقي قطاعات الشعب المدنية (العيسوي، 2004 :44). إن ذلك يعني تشجيع بعض الطوائف على مقاومة الأهداف القومية والوطنية. إنها ما يطلق عليها الأهداف التي تتعلق بالروح المعنوية، والتي تعمل أيضا على تشكيك الجماهير في قادتها، والتعامل مع مختلف القوى في داخل المجتمع المستهدف من منطلق مصلحة العدو، بشكل يؤدي إلى تقويض معالم الوحدة الوطنية في المجتمع. وقد تتم عملية التأثير على المعنويات بطريقة مباشرة وغير مباشره، فالطريقة المباشرة تتم من خلال الحوار، والإعلام والفتنة، وقد تستعين باللغة المحكية أو المكتوبة أو الصور.وقد تتم بطريقة غير

مباشرة مثل مهاجمة خطوط المواصلات والمباغتة وعمليات الخداع والحصار والقصف الكثيف(شانديسي، 1983 : 123) كما هو في الحالة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى. وهناك أهداف تتعلق بالنواحي العسكرية وتتضح هذه الأهداف من خلال تحطيم معنوية وإرادة جيش العدو، سواء ما تعلق بتضخيم خسائره، والمبالغة في وصف الانتصارات التي تحققت في الاتجاه المقابل، وتصوير الوسائل العسكرية التي يملكها العدو بأنها لا فائدة منها، أو ما تعلق من تشجيع أفراد القوات المعادية للفرار أو الاستسلام، وذلك استنادا إلى سلسلة من الأكاذيب الملفقة وبشكل يوقع الهزيمة المحققة بالطرف الآخر(الدباغ، 1998: 50).

ثمة أهداف أخرى تتعلق بالنواحي السياسية والنواحي الفكرية والعقائدية. وتشتمل الأهداف في النواحي السياسية محاولة شل عمل القيادة السياسية، والتشكيك في القادة العسكريين والسياسيين، وتوجيه الاتهامات إلى النظام الحاكم ووصفه بالديكتاتورية، وذلك لإيقاع الفتنة بين الشعب والنظام، والوصول إلى حالة من الإرباك لدى صانعي القرار، مما يؤثر على إرادة الخصم، وبالتالي التحول من الأعمال العسكرية وتغيير الخطط والأهداف وجهة أخرى (شفيق، 2004 :286). بينما تهدف مجموعة الأهداف الفكرية والعقائدية إلى إحداث تغيير للسلوك الجمعي والفردي داخل المجتمع، كما تهدف إلى تغيير الفكر والاتجاهات والقيم والمعتقدات، والرأي العام الداخلي، بما يتناسب وأهداف الدولة المخططة لهذا التغيير. فقد يتم من خلال زرع بذور الشك بالعقيدة والقيم الدينية والمبادئ.ومن أثار هذا النوع من الحرب النفسية أن هذا التغيير في الأهداف الفكرية والعقائدية من شأنه أن يمهد للنصر للدولة المخططة والتمهيد لإلحاق الهزيمة للدولة المستهدفة (زهران، 1977 :359).

وقد تسعى بعض الدول إلى استعمال الحرب النفسية كسياسة وسلاح للردع لمنع الدول الأخرى من تهديد أمنها، ومن خلال إظهار وعرض القوة سواء، في النواحي العسكرية، أو السياسية، أو الدعائية، وحشد القوات والمعدات العسكرية والتلويح بالتفوق العلمي والتقني(بني جابر، 2004: 306). ففي عهد الحرب الباردة اعتمد القطبان العملاقان في ذلك الوقت، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، على توازن الرعب النووي من أجل الردع عن استعمال هذا السلاح. وقد تستخدم الحرب النفسية كسلاح على المدى الاستراتيجي والذي يهدف إلى طمس الحقائق وأسباب النزاع، عن طريق إخفاء الحقائق وتشويهها واقتلاعها من الوجود. كذلك تتم عن طريق العزل.وهو الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري (عطايا، 1992 :144). ويرى

الباحث أن ذلك يتفق والسياسة العسكرية الإسرائيلية فيما بعد تأسيس دولة إسرائيل في العـــام 1948 والـــذي سيتم ذكرها في الفصل الرابع من هذا البحث.

2. 3 أساليب الحرب النفسية

كان ينظر إلى أساليب الحرب النفسية في الماضي، وقبل الحرب العالمية الأولى تحديدا نظرة لا تتفق والشجاعة والرجولة، بل اعتبرت وسيلة للحيلة والخداع. إذ أن الرجل المحارب يجب أن يعتمد على أســـلحته ولا يعتمد على الكلمة(حاتم، 1978: 187). إلا أنه وبعد الحرب العالمية الأولى وكما تحدثنا سابقا، بدأ العالم يدرك أهمية هذه الحرب، وبدأ ينظر إليها نظرة متميزة لما أدركه الجميع من فائدتها في كسب الحرب.

وحتى يتم تحقيق الأهداف المحددة للحرب النفسية، فإنه لا بد من الاعتماد على الأساليب المناسبة لذلك. وعادة ما يتم اختيار الأسلوب المناسب للهدف بعد الدراسة العلمية والموضوعية للعوامل المؤثرة على الهدف بشكل إيجابي من قبل المختصين بالحرب النفسية. إن ذلك يعتمد على دراسة موضوع علم النفس الاجتمـــاعي من قبل المختصين. ذلك العلم الذي يدرس الجماعة، واتجاهاتها، وخصائصها، وتماسكها، وقيمها، والأقليات، والطوائف، والتناقضات الموجودة في المجتمع، والعوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية مـــن ثقافـــة، ووسائل إعلام وأسرة، وجماعة وغيرها.إن ذلك من شأنه مساعدة أخصائيي الحرب النفسية في استغلال هـــذه التناقضات والتركيبة الاجتماعيـــة، لإختيـــار الوســـيلة المناســـبة لشـــن الحـــرب النفســـية علـــى الخصـــم المستهدف.ويمكننا فيما يلي الحديث عن بعض الأساليب المستخدمة في الحرب النفسية بشكل رئيس مع التنويه إلى تعدد هذه الأساليب والحيل واختلافها تبعا لطبيعة المجتمع الذي تستهدفه الحرب النفسية.

2. 3 . 1 الإشاعة Rumour

تحتل الإشاعات مكانة خاصة في الحرب النفسية وذلك لإمكانية انطلاقها من بؤرة مجهولة، ومـــن أي مكان، وإنها تنطلق في وقت عصيب يسهل تصديقها، ذلك أن انطلاقها في أوقات الأمن والاستقرار، قد تكون مثيرة للضحك والسخرية والبساطة. وتعتبر الإشاعات من أهم وسائل الحرب النفسية، وذلك نظـــرا لاتســـاع دائرتها وسرعة انتشارها بين الناس. وتهدف إلى تدمير القوى المعنوية وتفتيتها، إضافة إلى قـــدرة الإشـــاعة على إثارة عواطف الجماهير، وبلبلة الأفكار وبالتالي التأثير في سلوكهم واتجاهاتهم.

ويعرف ريبر "Reber الشائعة بأنها " تقرير غامض أو غير دقيق أو قصة أو وصف يتم تناقله بين أفراد المجتمع عن طريق الكلمة المنطوقة غالبا(عبدالله، 2001: 59). وقد أوضح ريبر أن الشائعة تنتشر سريعا عند حدوث الأزمات وتتعلق بأشخاص يحتلون مراكز قيادية في مجتمعاتهم، أو نتيجة لأحداث هامة، ذلك يحدث في ظل نقص المعلومات عن هؤلاء الأشخاص أو الأحداث. بينما يعرفها دريفر بأنها " تقرير غامض أو غير دقيق، قصة أو وصف غير محقق من صدقها تنتشر في المجتمع ويزعم فيها حدوث واقعة معينة" (عبدالله، 2001:591). فيما ذهب كوستا إلى وصف الشائعة بالهواء، وموج البحر، وذلك للتدليل على عدم وضوحها وسرعة انتشارها. حيث يقول " إن الشائعة تشبه إلى حد كبير الهواء الذي لا نراه ولكن نشعر به. وهي تشبه موج البحر الذي يعلو فجأة على سطحه، ثم يغطس ثانية إلى قاعدة ليعاود الظهور إذا ما تهيأت له الظروف المناسبة " (الزبيدي، 2003: 187).

أما البورت وليوبوستمان فيعرفا الإشاعة بأنها " كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى شخص دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق (البورت، 1964: 17).

ويعرف حامد زهران الإشاعة بأنها "موضوع خاص يتناوله الأفراد بواسطة الكلمات بقصد تصديقه أو الاعتقاد بصحته دون توافر الأدلة اللازمة على حقيقته"(زهران، 1977 :360).ويتفق في ذلك مع محمد عثمان نجاتي الذي أوضح بأن الشائعات يقصد بها الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها بل دون التحقق من صدقها(حاتم، 1993:499).

وبالرغم من تعدد تعريف الإشاعة إلا إن كافة التعريفات المختلفة تتفق على أن الإشاعة هي جزء حيوي من الحرب النفسية ترمي إلى إحداث بلبلة فكرية في الحرب والسلم، وتنتشر في غياب معايير أكيدة للصدق أو دون التحقق والتيقن من صحتها. ولكنها في الغالب تنقل شيئا من الحقيقة، وذلك حتى يسهل انتشارها، أو أنه يتم ربطها بموضوع قد ثبت صحته وواقعيته. وتنتقل هذه الشائعات في ظروف غير مستقرة ولها أهمية في حياة الأفراد. وتعتمد الإشاعة على الكلمة المنطوقة كأداة للنقل بشكل رئيس مع إمكانية انتقالها بوسائل أخرى كالصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز.

وحتى تنتشر الإشاعة بشكل كبير، فإنه يجب أن تكون لها أساليب نفسية محكمة، وأن تكون مستساغة، وقابلة للاستهلاك، والاستمتاع. ويجب التركيز على عنصر الوقت المناسب لترويج الإشاعة، حيث يجب أن يكون مستقبل الإشاعة مهيئا ومتلهفا لتقبلها. وتمر الإشاعة بعدة خطوات أهمها: أن الإشـــاعة تبـــدأ بشكل خبر قصصي فيه شيء من التفصيل. إنها ذات علاقة وأهمية بالنسبة إلى الشخص الذي يستمع للإشاعة والشخص الذي يرددها، وأن تتصف هذه الإشاعة بالغموض الذي يحجب الحقيقة. كذلك يفترض وجود الأفراد في حالة من القلق والتوتر الانفعالي، والناتج عن الأزمات الاقتصادية أو العســكرية أو الأحــداث السياســية الهامة. ومما يسهل انتشار الإشاعة، وجود مجموعة من الأفراد لها أهداف خاصة من انتشار هــذه الإشـــاعة (بني جابر، 2004:315). ويسهل انتشار الإشاعة عندما تكون موجهة إلى جماعة، أو فئة، أو مــذهب أو طائفة.و كذلك الحال فإن الإشاعة يسهل انتشارها عندما يكون هناك نقص في المعلومات، والإشـــاعة تغــذى وتعزز عندما يكون هناك تعبير عن الإحباط بمختلف صوره عند الفرد، فيجد في لباس الخداع اللفظي وسيلة للتعويض (عدس وتوق، 1986 :353).

ويعرض البورت وبوستمان قانونا أساسيا للإشاعة وهو ان شدة الإشاعة تقـــاس بمـــدى أهميتهـــا وغموضها (البورت، 1964: 27). إن هذا القانون يعني أن انتشار الإشاعة وشدتها يتوقف على عاملين مهمين: الأول، يتعلق بمقدار أهمية الإشاعة بالنسبة إلى مجموعة أو فئة من النـــاس، ومـــا تعنـــي هـــذه الإشاعة بالنسبة لهم. أما العامل الثاني، فهو ما تحمله هذه الإشاعة من غموض وعدم وضـــوح بالدرجـــة التي يكون بمقدارها حجب الحقيقة عن الناس.

وبشكل عام يمكن الحديث عن عدة أنواع من الشائعات والتي تشترك في هدف واحد، كمـــا ذكرنـــا سابقا، وهو إثارة البلبلة وإلقاء الرعب في قلوب الناس، والتأثير على سلوك الأفراد والجماعات. واهم هذه الشائعات هي الشائعات الزاحفة التي تنتشر ببطء شديد وهمسا، وبطريقة سرية، حيث يتم نسج القصـــص الوهمية الزائفة ويتم العمل على استمراريتها وتغذيتها باستمرار. ويطلق البعض على هـــذا النـــوع مـــن الإشاعات بالحابية وترتبط بالمشاهير والشخصيات الرسمية (الزغلول:2004 ، 170).

وهناك الشائعات العنيفة أو ما يطلق عليها الشائعات الاندفاعية أو الجامحة: وتتصف بسرعة انتشارها بحيث تغطي مجموعات كبيرة وبأقصر وقت ممكن، وتستند إلى انفعالات الغضب، والسرور، والفـــرح، والفزع، وتنتشر في أوقات الكوارث والانتصارات الباهرة أو الهزائم الساحقة (الدباغ، 1998: 94).

بعض الشائعات تظهر وتختفي من وقت لأخر عندما تتهيأ لها الظروف، وهو ما يطلق عليهـــا الشـــائعات الغاطسة أو الغائصة، إن هذا النوع من الإشاعات تبقى هادئة ومستقرة في نفوس وعقول مروجيها ثم يقومون بترويجها مرة أخرى عندما تتشابه الظروف التي سمعوا فيها الإشاعة في المرة الأولى. ويشير البعض إلـــى أن هذه الشائعة تكون موجهة في غالبيتها ضد رجال الحكم، والشخصيات البارزة للنيل من سمعتهم والتشكيك في نزاهتهم (شفيق، 2004 :298). وحسب البورت وبوستمان فإنهما لم يجدا أي فرق بين إشاعات الحرب العالمية الأولى، وإشاعات الحرب العالمية الثانية، ذلك ما يؤكد استقرار هذه الإشاعات في نفـــوس وعقـــول مروجيها، حتى تتوفر الظروف المواتية والمتشابهة لتعود مرة أخرى (الزغلول، 2004 :171).

وقد يتم توجيه الشائعات نحو الخصم في المعركة ويطلق عليها اسم الشائعات الهجومية. وتبث هذه الإشاعات بغية تحقيق هدف معين. وذلك وفق قاعدة تقول، أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وذلك مـــن أجل القيام بتحويل اهتمام الخصم وجهة أخرى. وبالمقابل فهناك الشائعات الدفاعيـــة وهـــي الإشـــاعات المقاومة لإشاعات العدو، والتي تقوم على أساس مواجهة العدو بنفس الأسلوب وتهدف إلى رفع الـــروح المعنوية، والإيحاء بأن الأمور تسير على ما يرام. وهذه الإشاعات غالبا ما تبشر بالنصر القادم، وبالتالي ارتفاع مستوى المعيشة وقرب انتهاء البطالة.

وعندما يتعلق الأمر بالتأكيد على إشاعات سابقة والتي ويكون الهدف منها تثبيت وضع تـــم تحقيقه في الماضي فإن هذا النوع من الإشاعات يسمى بالإشاعات التعزيزية، وهـــي إشـــاعات تعطـــى انطباعا صادقا وتأكيدا لإشاعات سابقة. وقد يعتني نوع من الإشاعات ببـــذر الفتنـــة بيـــن الجماعـــات، والطوائف، والمذاهب المختلفة وهو ما يطلق عليها اسم شائعات الفرقة، وفي الحروب يكون الهدف منها، نشر الحروب الأهلية بين هذه الطوائف، وذلك بشكل يساعد على تسهيل مهمة اختراق الجبهة الداخليـــة. ويطلق البعض على هذا النوع من الشائعات باسم " إشاعات دق الإسفين. ومثال ذلك الإشاعة التي سادت

ونشرت في روسيا بأن الروس يشحمون البنادق والأسلحة بالسمن. والإشاعات التي أطلقت ضد الزنـــوج في الولايات المتحدة الأمريكي (الزغلول، 2004: 171).

وتستغل الحرب النفسية عادة الدوافع الشعورية والحاجات الفسيولوجية للإنسان حيث تنتشر شائعات الوهم والخوف التي تنتشر وقت الحروب، وفي أوقات القلق، والخوف، والذعر، والتوتر. والهدف منهـــا إضعاف الثقة بالذات والنفس. وتنتشر الشائعات في ظل هذه الأوضاع بشكل سريع بين الناس، مما يؤثر على سلوكهم. ومن أمثلة هذه الشائعات ما يتعلق بتعذيب الأسرى، أو قطع أعضاء الجســم، أو الاعتــداء الجنسي(الزغلول، 2004: 171). وقد انتشر هذا النوع من الشائعات بصورة كبيرة خلال انتفاضة الأقصى والانتفاضة الأولى، وسوف نحاول الوقوف على عدد من هذه الإشاعات في الجزء الثاني من هذا البحث. وقد تعمل الحرب النفسية على نشر إشاعات الإسقاط التي ترتبط بالعمليات العقلية اللاشعورية. ذلك أنه في زمن الحرب يشعر الناس بعدم الاتزان والقلق والتوتر النفســي المصــاحب للعمليــات العســكرية. وبالتالي، فإن النفس تفقد اتزانها، مما يمهد الطريق لإسقاط هذه المخاوف على مواضيع خارجية بشـــكل يعيد إلى النفس اتزانها وهدوءها. وأخيرا قد تلجا الدول، في كثير من الأحيان، إلى بث إشاعة بحيـــث تجعل العدو المستهدف يقع في شراكها. وبعد ذلك تعمل هذه الدول على التنصل من هذه الإشاعة، وذلــك بهدف إحراج الجهة المستهدفة ويطلق على هذا النوع من الإشاعات اسم إشاعات المصيدة. ومثال ذلك ما حدث في الحرب العالمية الثانية، حينما نشر وأشاع الألمان أن الإنجليز نجحوا في تدمير محطة حديد بوتسدام، فصدق الإنجليز ذلك وأذاعوا الخبر رسميا، فما كان من وزارة الدعاية الألمانيــة إلا أن رتبــت للصحفيين الأمريكيين زيارة للمحطة المذكورة، لإثبات كذب الإذاعة البريطانية (الدباغ، 1998 : 97).

تعمل الإشاعة في زمن الحرب على تقويض الروح المعنوية والأمن القومي، كما أنها تعمل علـــى الفتنة وإثارة النعرات بين أبناء المجتمع الواحد. إضافة إلى ما تقوم به من إرهاب، وبــث الرعــب فــي النفوس، وتشكيك الخصم في عدالة القضية، ومشروعية الهدف الذي يقاتل من أجله. وهي تعمــل علـــى زعزعة ثقة الخصم بقدراته المادية، والمعنوية، وتنعكس الإشاعة على الأفراد والجماعات. وقــد تهــدف الإشاعة في زمن الحرب إلى تحقيق أهداف نفسية، وذلك عبر بث الرعب النفسي لدى الأفــراد ودفعهــم

للعجز والضعف. وقد تكون للإشاعة أهداف اقتصادية، تقتضي إحداث البلبلة لضرب المركز الاقتصادي للخصم، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وتفشي البطالة، ونقص المواد التموينية (المصري، 2004 :151)

ونظرا لأن الحرب تتسبب في مزيد من القلق والخوف والتوتر، لذلك فهي تعتبر الوقت الذهبي لرواج الإشاعة وانتشارها، حيث يستغلها العدو لبث سمومه بسيل عارم من الإشاعات المدمرة، مستعينا بعملائه وجواسيسه أو من خلال خطب القادة العسكريين والسياسيين، أو عن طريق المنشورات، ووكالات الإنباء المختلفة أو النكتة ورسوم الكاريكاتير.

وتوصف الإشاعة في زمن الحرب والقتال بعدة سمات منها: التصميم على مواجهة الهدف، والخداع، واعتماد الإشاعة على أنها حقيقة، واستغلال النواحي الإنسانية ونقاط الضعف والخلافات في صفوف العدو، والعمل على تضخيمها (بشكل يدفع في نهاية الأمر إلى إلحاق الهزيمة والاستسلام(الدباغ، 1998: 110).

2. 3. 2 الأسطورة

وجدت الأساطير لتخدم أهدافا وقيما عليا تساعد على بناء الإنسانية وتقدمها ورقيها، ويصدق ذلك على كثير من الأمثلة في التاريخ القديم، ومنها على سبيل المثال المهاباراهاتا التي يطرح الأمير أرجونا في خضم معركة كوروكشيترا عن معنى الحياة، ومعنى صراعا ته. إنها تمثل عظمة الإنسان وتطوره وتعبر عن انتصاراته. وفي أسطورة الإلياذة يتضح لنا كيف وهب هوميروس صورة راقية ومشرقة لشخصية هكتور، وهو يضحي من أجل شعبه، سائرا نحو الموت بخطى ثابتة فداء لشعبه. غير أنه وفي المقابل وجد من استخدم الأساطير ووظفها سياسيا، ودينيا، لتبرير إعادة تجميع شعب على حساب الآخرين وتوطينه في أراضيهم، واختزلت هذه الأساطير في تبرير جميع أنواع السيطرة والاستعمار والمجازر سواء في العلاقة مع الله، أو العلاقة مع البشر من سائر الأمم، ومع دخول الألفية الثالثة لا تزال هذه الأساطير توظف لخدمة الهدف القديم الجديد من سيطرة، ومجازر، ونفي الأخر تاريخيا.

وفي الحرب النفسية استخدمت الأساطير على نطاق واسع، ذلك أن الأساطير عبارة عن إشـــاعة يطلقها الخصم، وذلك لتبرير عدوانه على الآخرين، ولكن هذه الإشاعة يمكن وضـــعها مـــن الإشـــاعات الخالدة التي تعمر وتستمر طويلا وعلى امتداد أجيال متعاقبة، يتناقلها جيل بعد جيل حيث يتعلمها الإنسان منذ نعومة أظفاره، إلى أن تصبح هذه الأسطورة جزءا من تراث الأمة ومعتقداتها (أمـــام، 1969: 271). ولذلك، يرى الباحث أن هذه الأساطير هي عبارة عن إشاعة مستديمة على مدى الأجيال المتعاقبة تعمل من خلال تقوية دوافع الثقة بالنفس، وبث روح العزيمة، وتقوية الإيمان الراسخ العميـــق. وقـــد ذهـــب البعض إلى اعتبار تلاوة الأسطورة بمثابة فعل السحر القوي عند السامع لتحقيق الغلبـــة فـــي ســـاحات الوغى (ايلياد، 1995: 17). والأساطير في الحرب النفسية يمكن استخدامها في اتجاهين، يتعلق الاتجاه الأول بمهمة تصوير الأعداء بالشياطين، وإلصاق الطابع الشيطاني والصفات السيئة والقبيحة بهم، بينما يتعلق الاتجاه الثاني بوصف وتصوير جميع صفات وسمات البطولة والشجاعة والصفات الحميدة على الأصدقاء. ومن أمثلة ذلك تحويل الجنرال "جوفر" بطل معركة المارن إلى أسطورة حيث انهـــال الناس عليه بالهدايا، ونحتت له التماثيل وتسابق الرسامون لتصويره وانطبعت في ذهن كل مـــن كـــان يكره الألمان بأنه البطل الذي هزم الوحش، وقضى على التنين وأصبح رمزا للفضـــيلة الـــتي ســـحقت الرذيلة (إمام، 19969 : 274).

ومن الأمثلة الأخرى أيضا استخدام إسرائيل لأسطورة الجيش الذي لا يقهر، تلك الصورة التي صنعها الجيش الإسرائيلي لنفسه بعد حرب 1967 بعد هزيمة الجيوش العربية مجتمعة، مع أن الحقيقـــة الواضحة أن العرب لم يخوضوا حربا حقيقية ضد الجيش الإسرائيلي، فقد اعتمدت إسرائيل علـــى هـــذه الأسطورة في تخويف وإرهاب الجيوش العربية، ولعل ما كشفت عنه الحرب الأخيـــرة فـــي العـــام 2006 بين عناصر من حزب الله والجيش– الأسطورة، هو دليل على وهن وضـــعف هـــذه الأســـطورة المبنية على نسيج من الخيال. إن ما يمكن ملاحظته من هذه الأساطير السابقة هو أن الجماهير لا تعلم الحقيقة إلا من خلال ما يتم تصويره لها من قبل الأشخاص المعنيين بصورة مباشـــرة، دون إن يكـــون هناك معلومات وطرق اتصال مباشرة.

أخيرا تجدر الإشارة إلى الفرق بين الكذبة والأسطورة، حسب قاموس أكسفورد. ففي حين عرف قاموس أكسفورد الكذبة بأنها: بيان زائف عمدا أو أنها عملية خداع متعمد. فأن الأسطورة مفهوم ذائع الانتشار، ولكنه مزيف. مع فارق واحد أنها قد لا تكون متعمدة. (روز، 2006:13) وبغض النظر عن اتفاقنا مع هذا التعريف إلا أنه من الواضح أن الكذبة والأسطورة قد تجتمعان في نتيجة واحدة، وهو تعرض الناس الآخرين للظلم والاضطهاد. وبالتالي، فإن الضرر حاصل بغض النظر عن كونه خداع متعمد عمد أم لا.

2. 3 . 3 غسيل الدماغ Brain Washing

يعرف مصطفى الدباغ مفهوم غسيل الدماغ بأنه اسلوب من أساليب الحرب النفسية يستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد متبعا وسيلة تقنية محددة، وذلك عن طريق الإقناع ألقسري المقنن (الدباغ، 1998 :127).

فكرة غسيل الدماغ تقوم إذن على أساس تخلي الفرد عن معتقداته، واتجاهاته، وقيمه، ومبادئه التي يؤمن بها وإحلال قيم ومبادئ جديدة مكانها، أو أنها عملية تطويع للمخ وإعادة لعملية التعلم من جديد وفق شروط وتأثيرات بيئية جديدة تجبر الفرد على تغيير سلوكه. بعبارة أخرى، فغسل الدماغ هو عملية إقناع جبري تهدف إلى تحطيم الشخصية الفردية.

لقد عرفت عملية غسيل الدماغ عبر التاريخ واستخدمها الصينيون لتخليص الأفراد من الأفكار والمعتقدات القديمة، كي يتمكنوا من التكيف والعيش وفق الحياة الجديدة في ظل النظام الشيوعي في ذلك الوقت. وتستخدم عملية غسيل الدماغ أسلوب الإقناع وضغط الجماعة على الفرد بعيدا عن التعذيب.. وكما يقول براون "إن البرامج الصينية الشيوعية كانت تستهدف الإصلاح الايدولوجي، أي إصلاح الفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع، وتغيير أفكار الناس أو إعادة صياغة الايدولوجية الاجتماعية أو تغيير الأفكار والعقائد (العيسوي ، 2004 : 150).وفي واقع الأمر فقد كانت عملية غسيل الدماغ عند الصينيين بمثابة إعادة تثقيف سياسي للمواطنين، وهي جزء من التربية الاشتراكية للمواطنين أنفسهم.

وفي العصر الحديث فقد طور الصحفي الأمريكي هنتر Hunter في العام 1951 مفهوم غسيل الدماغ الصيني الذي تحدثنا عنه، وأصبح يستعمل كوسيلة من وسائل الحرب النفسية، تهدف إلى

تغيير آراء واتجاهات السجناء ومحاولة إقناعهم بآراء وأهداف ومعتقدات جديدة، وألف كتابا جديدا حول الحرب مع كوريا، تحدث فيه عن تغيرات في اتجاهات بعض الأسرى الأمريكيين الذين عادوا من الحرب مع كوريا حيث تغيرت اتجاهاتهم وأصبحوا من المؤمنين بالاشتراكية، وتبنوا اتجاها جديدا ضد وطنهم, وذلك بفضل الأسلوب الذي اتبعه الكوريون مع الأسرى الأمريكيين(بني جابر، 2004 : 312)، ولكن العالم النفسي البريطاني براون خرج إلى أن الأسرى الأمريكيين تعرضوا إلى تمذهب وتثقيف سياسي صارم متواصل وفق منهج منسق) الدباغ ، 1998 :131).

تستند عملية غسيل المخ إلى الفكرة التي جاء بها عالم النفس الروسي ايفان بافلوف 184)Baflof 1936- 9) في دراسته حول طبيعة التعلم الشرطي الكلاسيكي. تفسر نظرية بافلوف كيف يتعلم الإنسان مئات الأفكار والعادات والاتجاهات المبنية كلها على عمليات الانعكاسات الشرطية، بمفعول التكرار والمصاحبة أو الاقتران(الدباغ، فخري، 1982 :26).إن ذلك يعني إلغاء دور العقل من الوجود ووضعه تحت نظام سلطوي، وخضوع العقل لا إراديا إلى قوة وسلطة أخرى بحيث تتغير طبيعة الإنسان النهائية وذلك استنادا واشراطا لتغير بيئة الإنسان (المصري، 2004 :76).

ويتحدث البعض عن نوعين من غسيل الدماغ الأول إلي طبيعي، والثاني مبرمج اصطناعي(الدباغ، 1998 :131). يتميز النوع الأول بأنه يحدث أليا بتهيئة الظروف المناسبة دون التدخل بعملية الإقناع. ويتلخص في ترك الدماغ في حالة من الإنهاك الطبيعي يتقبل معه الإيحاء بفضل الضغوط الخارجية التي تزداد شيئا فشيئا حتى يدخل التعب والإعياء، وينخفض مقدار الجهد الذي يبذله الدماغ المبذول لإعادة التوازن، إلى أن يصبح الجهد عديم الجدوى، عندها تزول الفاعلية ليحل محلها جمود تام. أما النوع الثاني، المبرمج الاصطناعي، فإن حالة الإنهاك السابقة ترافقها عملية الإقناع المقنن، وذلك بوضع الفرد بظروف اصطناعية تنهك عقله وتجعله جاهزا للاقتناع بضرورة التغيير.

وتمر عملية غسل الدماغ بمراحل مختلفة وهي: مرحلة تشكيك الفرد في هويته وقيمه أو ذاتيته، وتتم عن طريق عزل الفرد في مكان انفرادي مع استغلال عوامل الضغط المختلفة من حاجات فسيولوجية مثل العزل، والحرمان، والتهديد، والإذلال، والتعذيب بأشكاله المختلفة مثل التعذيب بالنار،

والتعذيب بالماء البارد والساخن معا، والشبح والصلب، والاعتداء الجنسي(الزغلول، 2003 :184) ويكون الهدف من هذه المرحلة هو تشكيل شخصية إعتمادية على الآخرين وزعزعة الفرد في انتمائه الوطني. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة تقبل التغيير، والتي يبدأ بها الفرد بالتأثر بما يقدم له من محاضـــرات أو مقابلات شخصية ومن ثم القيام بعملية الإقناع. أما مرحلة إعادة التجميد فتهدف إلى تثبيت الوضع الجديد بحيث يبدو معقولا وسليما، وبالتالي يتحقق الانسجام مع الوضع الجديد(عدس وتوق، 1982 ، 352).

وتستعمل عادة عمليات غسيل المخ لأسرى الحرب. حيث يتم إخضاع الأسرى للظروف البيئيـــة المختلفة، وبالتالي يتأثر بها دون أن يؤثر بهذه الظروف، مما يؤدي إلى تغلب الظروف المـــؤثرة علـــى الأسير، ويهدد ذاته ويتقبل الظروف البيئية الجديدة. ولكن من الجدير ملاحظته أن الاستجابة تتوقف على مبدأ الفروق الفردية (العيسوي، 2004: 163)، فتجد بعض الأسرى من يصاب بإضطراب ولوثة عقلية. الأمر الذي يمكن ملاحظته عند بعض المعتقلين بعد خروجهم من السجن. وقد يقتنع ويعتنق البعض الآخر الأفكار الجديدة بسهولة، بينما تجد من يقاوم هذه الأفكار بعناد وقوة.

وقد تضح مؤخرا أن عملية غسل الدماغ ليست مقصورة على الفرد، إنما قد تمتد آثارها لتصل إلى الجماهير أو إلى مجموعة معينة من الناس، وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، حيث يتم العمل على تغيير أفكار الجمهور وقناعاته واتجاهاته من خلال عملية غسيل دماغ مخطط لها إعلاميا، عبر جرعـــات يومية متكررة في الأشكال المختلفة للإعلام. وقد تستخدم أشكالا أدبية وثقافية ولوحات فنية. وقد أطلـــق البعض على هذا النوع من غسيل الدماغ اسم عملية غسيل الدماغ الجماهيري(الدباغ، 1998 :146)، والتي يعمل إلى جانبها عدد من وسائل الحرب النفسية المختلفة من غزو ثقافي، وتضليل إعلامـــي، ودعايـــة، وإشاعة، اضافة إلى أساليب التفتيت النفسي، والتخريب الفكري، والتي تؤدي بمجملها إلى إحداث تغييـــر في القيم والاتجاهات لدى الجماهير والأفراد على حد سواء.

2. 3. 4 الدعاية Propaganda

عرفت الدعاية في مجالات مختلفة، فمن الدعاية في مجال الصحافة والإعلام إلى الدعاية في مجال العلوم السياسية، إلى الدعاية كنشاط تجاري يؤدي إلى زيادة المبيعات وتحقيق فائض من الربح.أما الدعاية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية فقد ذهب البعض إلى اعتبارها مرادفة للحرب النفسية.

عرفت الدعاية في القرن الخامس عشر وتحديدا في العام 1622، عندما أنشأ البابا جرجوري الخامس عشر هيئة الدعاية الدينية لمواجهة الأحداث والتطورات الجديدة المتعلقة بالإصلاح الديني البروتستنتي وأطلق عليها اسم Congregatio De Propaganda Field (Young، 1956 :457) و قد كان من أهدافها نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية عن طريق السلم وبعيدا عن الحرب. أما نابليون، فقد ثبت أنه كان قد استخدم الصحافة لأهداف دعائية، مستغلا بذلك الصحف المختلفة لمهاجمة الحكومة البريطانية. وقد قيل إن نابليون نظم جهازا دعائيا معقدا كان يواليه أو يشرف عليه بنفسه (رشتى، 1985: 16 (.وفي القرن العشرين تغير مفهوم الدعاية حيث كانت كل دولة من الدول الكبرى قد أنشأت هيئة للدعاية، حيث أقرت هذه الدول بأهمية الدعاية كسلاح سياسي من أسلحة السياسة.وقد ربط الكتاب الإسرائيليون مصطلح Propaganda بالدعاية النازية لذلك، اختاروا مصطلح استعلامات كبديل لمصطلح الدعاية، بينما اختار البريطانيون مصطلح آخر وهو الحرب السياسية بعد أن أدركوا أهمية استخدام المعلومات بهدف النصر (شلايفر، 2003).أما في الحرب العالمية الثانية، فقد تطور وتزايد الاهتمام بالدعاية، حيث تم إنشاء وزارة للإعلام ولجنة للحرب النفسية في بريطانيا. واستخدمت القيادات العسكرية الدعاية على نطاق واسع في ميادين القتال (العبد، 2003: 12). أما الدعاية في زمن الحرب الباردة، فقد استخدمت الدول الكبرى الدعاية على نطاق واسع من خلال القنوات الفضائية وشبكات الانترنت، وانتقلت من خلال السياسة الخارجية لهذه الدول وبشكل قانوني.ولكن وفي أعقاب أحداث 11 أيلول 2001، عادت الولايات المتحدة وبشكل مفاجي وبدأت حربا عسكرية ودعائية قسمت العالم إلى شطرين، إما "مع الإرهاب" أو "ضد الإرهاب".

و يعرف فيليب تايلور الدعاية بأنها "المحاولة المتعمدة المدبرة لإقناع الناس بأن يفكـــروا ويســـلكوا بالطريقة المطلوبة، إنها وسيلة لغاية، وتتنوع الأساليب المستخدمة تبعا للتكنولوجية المتاحـــة " (تـــايلور، 1978 : 24). بينما يعرفها ليونارد دوب بأنها محاولة منتظمة للسيطرة على اتجاهات جماعات الأفراد من خلال استخدام الإيحاء (حاتم ، 1978 :140).

ووفق قاموس المصطلحات العسكرية، فقد تم تعريف الدعاية بأنها معلومـــات أو أراء أو نـــداءات خاصة لدعم الهدف القومي، مصممة للتأثير على الآراء أو وجهات النظر أو الانفعالات أو ســـلوك أيـــة جماعة خاصة لصالح المسؤول سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة (الدباغ ، 1998 :63).

أما حامد زهران فيعرف الدعاية العسكرية بأنها الاستخدام المخطط لأي نوع من وســـائل الإعلام بقصد التأثير في عقول وعواطف جماعة معادية معينة أو جماعة محايدة أو جماعة صديقة أجنبية لغرض استراتيجي أو تكتيكي معين، ويضيف زهران أن الدعاية لها أثرها على المـــدنيين والعســـكريين.وتبنـــى الدعاية الحديثة على أساس علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي (زهران، 1984: 358).

ومن خلال التعريفات السابقة، يمكننا ملاحظة أن الدعاية هي أحد أساليب الحرب النفســـية يلجـــأ إليها المخطط لهذه الحرب لمساندة خطط العمليات العسكرية، وذلك بهدف التأثير فـــي ســـلوك وعقـــول وانفعالات واتجاهات الفئة المستهدفة، سواء كان ذلك في صفوف العسكريين أو المدنيين، مستخدمة بذلك وسائل الإعلام المختلفة والعمليات العقلية المختلفة كالإيحاء مثلا بهدف إقناع الناس بوجهة نظـــر معينـــة تخدم أهداف المخطط لهذه الحرب.

وفي الحديث عن أنواع الدعاية فإننا نشير إلى أنها تندرج تحت أنواع الحرب النفسية حيـــث قـــد أشرنا سابقا إلى أن البعض يعرف الدعاية على أنها هي الحرب النفسية، ولذلك تتشابه أنواع الدعاية مـــع أنواع الحرب النفسية. ولكن يجب أن تراعي الدعاية الناجحة عددا من المبادئ أهمها القدرة على تحليـــل شخصية ونفسية الجماعة المستهدفة. وبعبارة أخرى، القدرة على تحديد أفكار العـــدو. إضـــافة إلـــى أن الدعاية يجب أن تتصف بعامل التكرار، وأن تكون ذات طابع هجومي خشن، وأن تركز على إظهار القوة والنجاح والنصر. وأن تتصف هذه الدعاية بالتجديد إذ إن التكرار الممل يؤدي إلى ضعف الدعايـــة، وأن

تراعى البساطة والوضوح (حسونة، 2001 :16) والدعاية الناجحة يجب أن تراعي عامل الدين، وعاملي التحريف والحذف يستند عامل التحريف إلى تعمد تحريف بسيط في أقوال بعض المسؤولين، في حين يستند عامل الحذف إلى حذف أخبار الزعماء المستهدفين وذلك لنسيانهم. ومن ميزات الدعاية أيضا اعتمادها على أسلوبي التهويل والتضخيم، (العبد، 2003 :58).

تستخدم الدعاية عددا من وسائل الإعلام المختلفة أهمها الإذاعة والتلفزيون والسينما وذلك من خلال البرامج الهادفة وكذلك الصحف والمجلات، والكتيبات، والنشرات، واللافتات، ومكبرات الصوت، والأحاديث الفردية والجماعية، والمهرجانات، والاجتماعات، والمعارض والاستعراضات العسكرية، والمؤتمرات الوطنية، ويمكن أن يكون الزوار وسيلة للدعاية، وذلك من خلال المعاملة الحسنة. ويذكر زهران وسيلة أخرى وهو ما أقدمت عليه بعض جيوش العالم إلى استخدام دبابات الدعاية التي لا تفتح نيران المدافع، بل تفتح أفواه مكبرات الصوت والطائرات التي تقوم بإلقاء المنشورات بدلا من القنابل(زهران، 1977: 360).وأمكن حديثا استخدام العلامات التجارية، والإشارات والأزياء، والتماثيل، وكذلك الدعاية من خلال المؤسسات الثقافية والرياضية والمستشفيات وغيرها (الزبيدي، 2003: 185).

أما الدعاية المضادة فتعرف بأنها مجمل الحملات النفسية التي تقوم بها الأجهزة المختلفة للحرب النفسية، بهدف مقاومة الحملات المعادية، حيث تعتمد الدعاية المضادة على الدراسة التحليلية للحملات النفسية المعادية، وتحديد أفضل الطرق للرد على هذه الحملات ووسائل نشرها.وهناك عدة مبادئ لخطة الدعاية المضادة وأهمها: دحض أفكار العدو من خلال معرفة أفكاره ومهاجمة نقاط الضعف في دعايته، وعدم الرد على دعاية العدو وهي في عنفوانها، يجب التأني حتى يخف اثر هذه الدعاية تدريجيا، كما أنه يجب عند عملية الرد على الدعاية، الاستناد إلى الوقائع بالحجة والمنطق، كذلك من مبادئ الدعاية المضادة العمل استعمال اسلوب السخرية من دعاية الخصم، وتشويه رموزه وشعاراته أو تمحوها أينما وجدت. وأخيرا اعتماد عنصر المبادأة في الدعاية(حسونة، 2001 :17، الزبيدي ، 2003 :184).

هذا وترمي الدعاية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف سواء ما تعلق منها بالخصم أو ما تعلق منها بالجبهة الداخلية.ومن الأهداف المراد تحقيقها على صعيد الخصم: العمل على نشر التخاذل، وتثبيط

معنويات العدو، وزعزعة إيمانه بمبادئه ومعتقداته وأفكاره، والتشكيك بقدرته على تحقيق النصر، وإظهار مدى ضعفه، وبث الرعب، والخوف، والتذمر، واليأس بين صفوفه. ومن أهداف الدعاية الخداع، والتمويه، وتشجيع الآمال الزائفة والتي لا وجود لها، والتقليل من شأن انتصارات الخصم والتهويل من شان هزائمه. أما على صعيد الجبهة الداخلية، فتتلخص في رفع الروح المعنوية بالنسبة للسكان المحليين. وكذلك الحال بالنسبة للمقاتلين المحافظة وتقوية الروح المعنوية لديهم، والتصدي إلى دعاية العدو أو ما يمكن تسميتها بالدعاية المضادة التي تحدثنا عنها. وهناك هدف خارجي للدعاية يتمثل في القدرة على تحقيق مساندة دول وشعوب العالم ووقوف الرأي العام العالمي موقفا مؤيدا ومناصرا أو موقفا محايدا، وإظهار عدالة القضية التي يدافع من أجلها. ومنع العدو من القدرة على مساندة ووقوف الدول الصديقة إلى جانبه(الزبيدي، 2003: 175، والزغلول، 2003 :174).

2. 3. 5 افتعال ألازمات والتخريب

إن أحد أساليب الحرب النفسية التي عرفها العالم هو أسلوب افتعال الأزمات المختلفة من خلال استغلال بعض ألازمات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، والعمل على تضخيمها من أجل خلق أزمة تؤثر في نفسية ومعنويات الخصم. والمقصود من هذه الأزمات خلق حالة من القلق، والخوف والتوتر، وذلك من أجل الضغط على الرأي العام، لمصلحة الجهة التي تستخدم هذا الأسلوب. فقد تلجأ بعض الجهات إلى اسلوب طبع العملات المزيفة على سبيل المثال لإحداث اضطراب في النظم المالية. وبالتالي زعزعة الاستقرار الاقتصادي لفرض الضغط على الدولة ودفعها إلى الاستسلام (الدباغ، 1998: 182). ومن الأمثلة على ذلك في التاريخ ما قامت به الإذاعة السرية الموجهة إلى كوبا باسم راديو الأمريكيتين، إذ قامت هذه الإذاعة بتحريض المعارضين لحكم كاسترو على إشعال الحرائق في مزارع القصب التي تمثل ثروة البلاد الرئيسة، كما حرضت على انتزاع أسلاك التلفون وذلك لإحداث اضطراب في الاتصالات التلفونية وغيرها. وكان الهدف هو إقناع الرأي العام بوجود معارضة كبيرة لنظام كاسترو، ليكون ذلك ذريعة للتدخل ضد نظامه (العبد، 2003 :73). كذلك خصصت الولايات المتحدة الأمريكية دائرة أمنية متخصصة لافتعال ألازمات وتضخيم الأحداث بهدف محاصرة الخصم ودفعه إلى الاستسلام أو إضعاف معنوياته (ألزغلول، 2004، 183). ومن أمثلة ذلك افتعال أزمة الصواريخ مع كوبا في العام 1958 لمحاصرة كوبا

وعزل الاتحاد السوفييتي دوليا. وافتعال أزمة المفتشين الدوليين في العراق بهدف توفير الدعم الدولي لاحتلال العراق وافتعال أزمة الإرهاب بعد أحداث 11 أيلول 2001، وذلك بهدف التدخل في الشؤون الداخلية لدول العالم والسيطرة على ثرواتها.

وخلف سياسة التخريب وافتعال الأزمات تقف أهداف عديدة، تتمثل في إسقاط النظام السياسي القائم، وذلك بدافع الاحتلال والسيطرة على الموارد الاقتصادية، أو تنصيب حكومة عميلة موالية للدولة التي تمارس سياسة التخريب وافتعال الأزمات، (أبو هنطش، 1998 :240). وقد تتحقق هذه الأهداف من خلال عمليات التخريب وافتعال الأزمات التي يتم إسنادها إلى مجموعات المعارضة في الداخل، وذلك بتشجيعهم على التمرد ضد السلطة الشرعية في البلاد. وقد تهدف عمليات افتعال ألازمات والتخريب إلى إقناع دولة من الدول بالانضمام إلى إحد الأحلاف أو معارضتها.وقد تحقق سياسة إثارة ألازمات على اختلاف صورها أهدافا أخرى مثل صرف الانتباه نحو قضايا أقل أهمية، وبالتالي إبعاد الأنظار عن القضايا المركزية التي تسعى إلى تحقيقها الدولة المستهدفة. وأخيرا، تهدف عمليات التخريب النفسي وافتعال الأزمات إلى رصد ردود الأفعال، وتحليلها، وذلك من أجل معرفة مدى تماسك الجبهة الداخلية أو ضعفها، من خلال ما يعرف ببالونات الاختبار التي تقيس ردود الأفعال، وذلك لوضع الوسائل اللازمة والمناسبة للتأثير على الجمهور المستهدف (شحاتة 2004 :195).

ومن الملاحظ أن سياسة افتعال ألازمات والتخريب النفسي فقد تلجأ لها بعض الجهات وذلك من خلال التلاعب بمشاعر الأفراد وأحاسيسهم وتوجهاتهم، واللعب بالعواطف والانفعالات والتوسع في استخدام في استخدام الآراء الزائفة، وذلك للتأثير في الاتجاهات والسلوكيات ودفع الأفراد إلى القيام بالإضطرابات ونشر الذعر والفوضى والتقاعس. وتعمل عمليات التخريب من خلال الدعاية والتجسس واستعمال الضغوط الاقتصادية والسياسة ومن خلال أساليب عسكرية تتعلق بتسليح عصابات مسلحة داخل الدولة المستهدفة (أبو هنطش، 2003 :241).

2 . 3 . 6 إلقاء الرعب والفوضى (الردع والتخويف)

من الأساليب الأخرى للحرب النفسية إلقاء الرعب من خلال التهديد والتخويف والوعيد واستغلال دوافع الخوف لدى الأفراد وذلك لإلقاء الرعب في قلوب الخصم، وتحقيق سياسة الردع وخلق حالة من الذعر والفوضى. وقد يتم استغلال بعض الأحداث أو القيام بمجموعة من الأعمال بهدف إلقاء الرعب على الناس أو من خلال إقناع الخصم بامتلاك الأسلحة التقليدية وغيرها.وقد استعمل التهديد والوعيد والتخويف في زمن النبي محمد وذلك عندما كتب أبو سفيان إلى الرسول قائلا

> نريد منك نصف نخل المدينة، فإن أجبتنا إلى ذلك، وإلا أبشر بخراب الديار وقلع الآثار. فأجابه النبي بكتاب جاء فيه وصل كتاب أهل الشرك والنفاق، فوالله ما لكم عندي جواب إلا أطراف الرماح وأشفار الصفاح، فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام، وأبشروا بضرب الحسام، وبفلق الهام وحراب الديار وقلع الآثار(أبو الشباب، 1999 397).

ويستغل أسلوب إلقاء الرعب الحاجات الأساسية لدى الإنسان كالرغبة في الأمان، وذلك عبر إثارة موجات من القلق والخوف والفزع، تؤدي إلى حالة من الذعر والفوضى، وقد تحدث هتلر عن ذلك واصفا دور المخابرات الألمانية قائلا " إن أسلحتنا هي اضطراب الذهن وتناقص المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذي ندخله في قلوب الأعداء، فعندما يتخاذلون في الداخل ويقفون على حافة الثورة، وتهددهم الفوضى الاجتماعية، عندها تحين الساعة لنفتك بهم بضربة واحدة " (الزغلول:2004، 181). ولعل أوضح مثال على أسلوب إثارة الرعب بعد الحرب العالمية الثانية ما اتبعته الدعاية الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية حين عمدت إلى المبالغة وإلقاء الرعب بين شعوب دول العالم الزحف الشيوعي القادم من المجتمعات الشيوعية (العبد، 2003 :74). كذلك ما أقدم عليه اليابانيون من أساليب متعددة لإثارة الرعب والفوضى في صفوف القوات الأمريكية منها: القيام بتحركات غريبة للجيش الياباني توحي بهجوم وشيك ثم الارتداد إلى حالة من الهدوء، ثم يقع الهجوم مما يربك الأمريكان ويوقع في قلوبهم الرعب، وبالتالي الوقوع في فخ الجيش الياباني الذي يكون قد أعد كمائن للقوات الأمريكية التي تكون قد اضطرت للهجوم تحسبا للمفاجأة (الزغلول:2004، 182).

في عملية الردع وإلقاء الرعب ثمة عامل بالغ الأهمية، وهو ما يجب أن يفهم من ضمن عامل الاحتواء، وهي سياسة قد تؤدي إلى ردع الخصم عن القيام بأية عمليات من شأنها أن تضر بالطرف الآخر، وفي كلا الحالتين، فإن الأمر يتطلب دراسة مصادر سلوك الخصم, حتى يصبح امتلاك مفاتيح التحكم بسلوكه ممكنا(محفوظ، 1999 :167).

وتتوقف عملية الردع على عدد من العوامل التي تساعد على فكرة عاملي التخويف وإلقاء الرعب، ومنها: أن يتأكد الخصم ويدرك تفوق الطرف الآخر بالأسلحة التقليدية وغيرها عبر رسالة واضحة. اضافة إلى ذلك، فيجب أن يفهم الخصم جدية الطرف الآخر في استعمال هذه الأسلحة إذا تم تجاوز الخطوط الحمراء. وأخيرا، عدم التردد في استعمال هذه الأسلحة إذا تطلب الأمر ذلك(أبو خزام، 1999 :112).تلك أهم العوامل للمحافظة على ثبات سياسة الردع تجاه الخصم وإبقائه ضمن حالة من الخوف والقلق الدائمين بشكل يمنعه من استنهاض قواه من جديد.

ويتم إلقاء الرعب في مختلف المجالات سواء كانت اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، كالتحذير من تأثير نظام اقتصادي معين اشتراكي أو رأسمالي، أو أن تهدد إحدى الدول جاراتها من خلال عمليتي الردع والتخويف بإمتلاكها أسلحة الدمار الشامل. وعلى سبيل المثال، فإن إسرائيل ومن خلال سياسة تخويف وردع الدول العربية عن مهاجمتها فإنها تعلن عن امتلاكها السلاح النووي، أو أنها تعود لتذكير الدول العربية بامتلاكها لهذا السلاح إذا اقتضت الضرورة ذلك، وكذلك الحملات المستمرة بين الهند والباكستان وسياسة الردع المباشر لكل منهما بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل.ومن المجالات التي تستخدمها الدولة للردع والتخويف، أسلوب القوة وعرض الأسلحة سواء ما تعلق الأمر بالقيام بعروض بشرية عسكرية أو عروض المعدات العسكرية والأسلحة الحديثة(الدباغ، 1998: 182).والمقصود بذلك هو إلقاء الرعب، وتخويف الآخرين، وتحطيم معنوياتهم وزعزعة ثقتهم بأنفسهم، وقد تتم هذه العملية من خلال القيام بعمليات استعراضية في الشارع، ودعوة قادة الدول وزعمائها من أجل مشاهدة هذا الاستعراض أو من خلال نشرها في وسائل الإعلام المختلفة، وذلك عبر نشر آخر المخترعات العسكرية الحديثة والوسائل العسكرية التي تمتلكها الدولة.

وإحدى الأهداف الرئيسة لسياسة إلقاء الرعب والتهديد والتخويف التي تمارس على الخصم هو إبقاؤه في حالة من الخوف والقلق الدائم، وذلك من خلال التهديد المستمر بالبطش، وبشكل يمنعه من المواجهة، أو حتى مجرد الحصول على مقومات المواجهة.ولكن الزيادة في هذا التهديد والإفراط به قد يشجع الخصم على قبول التحدي والصراع من أجل البقاء حتى ولو كان الموت إلى ذلك سبيلا (بني جابر، 2004 :307).

2. 3 . 7 التشكيك بقدرات الخصم، وإضعاف الثقة بالنفس

من أساليب الحرب النفسية الحديثة المحاولات التي تلجأ إليها أطراف من الصراع إلى فرض حالة من التشكيك بقدرات الخصم وإضعاف ثقته بنفسه، وبالتالي تحطيم معنوياته وثقته بأسلحته، التي يمتلكها مما يهدف إلى إقناع الخصم بعجزه، وعدم قدرته على تحقيق النصر في المعركة والوصول به إلى حالة من الإحباط. وهو ما يعني الاستسلام وانتصار الطرف الأخر دون قتال، وعلى أساسها يتم حقن الدماء في كلا الطرفين (الزغلول:2004، 163، أبو الشباب، 1999: 399.).

وإضعاف الثقة بالنفس والتشكيك بقدرات الخصم يتم أيضا عن طريق إضعاف ثقة الأفراد في قدرة الدولة للقيام بواجباتها ومهماتها المختلفة سواء من الناحية العسكرية، أو الناحية السياسية أو والاقتصادية، وإظهار عجزها عن تحقيق وتلبية حاجات المواطنين في مختلف النواحي، سواء ما تعلق بتدمير معنويات الخصم أو رفع الروح المعنوية الداخلية. فعلى سبيل المثال، كان من وسائل هتلر في حربه النفسية ضد إنجلترا ما أقدم عليه من تشجيع فكرة Encouragement" Of Factoids " والتي تعني اختراع مقاطع وصور ذهنية للتأثير على الناس، للإيحاء بأن إنجلترا في حالة ضعف متزايد في الفوضى الاقتصادية والسياسية (العيسوي 2004 ، 30).ومن مظاهر التشكيك وإضعاف الثقة بالنفس أيضا، بث عدم الثقة بين الجنود والضباط، والتشكيك في قدرة الأسلحة التي يمتلكها على تحقيق النصر في المعركة. كذلك من مظاهر إضعاف الثقة أيضا إضعاف الثقة بالنفس لدى الفرد نفسه، وإظهاره بالشخص العاجز الواهن، إذا ما قورن بالفرد في الجانب الأخر.

وعملية إضعاف الثقة بالنفس والتشكيك بقدرات الخصم، قد تتم من خلال استعراض أهم المنجزات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي تم تحقيقها في بلد ما من خلال

نشرها في وسائل الإعلام المختلفة سواء المحلية أو العالمية. الأمر الذي من شأنه يحاول الخصم مقارنة نفسه بالطرف الآخر، مما يؤدي إلى الإحباط وإضعاف الثقة بالنفس إذا لم يكن الخصم على قدر متفوق أو مواز للقدرات والمنجزات في الجانب الآخر.

2. 3 . 8 –أسلوب التهكم – النكتة والاستهزاء والسخرية

النكتة قد تصبح أسلوبا من أساليب الحرب النفسية التي يلجأ إليها الخصم، إذا اعتمدت خطة موضوعة، وتم تنفيذها بين الناس لهدف محدد وضمن توقيت محدد، وإذا خرجت عن دور التسلية. أو إذا استغل ميل الناس إلى الفكاهة والنكت، وتم توظيفها بشكل متعمد في تدمير نظام الحكم أو النظام السياسي والاقتصادي وبعض الجوانب الأخرى للحياة، (زهران، 1977: 364)، وذلك نظرا لما تحتويه النكتة من سموم بلبلة الأفكار وتشتتها، أو توجيهها بالشكل الذي يرضى ويحقق رغبات الخصم.وفي ذلك يوضح هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في كتابه دولة اليهود، أسلوب النكات والكاريكاتير في الحرب النفسية بقوله: "ذكر لي أن الشائعات تسري في لندن وتقول أن أحد المصارف وضع تحت تصرفي مليوني جنيه إسترليني للعمل، ولن أحتج على هذا الآن، ذلك أن السخف والأساطير والنكات والكاريكاتير هي كلها وسائل نشر فكرة ما(الدباغ، 1998 :167)

إن أسلوب التهكم والسخرية والنكتة كأسلوب من أساليب الحرب النفسية، يقوم على أساس عملية التحويل كوسيلة أولية للدفاع. فيلجأ العدو إلى استغلال النكتة والسخرية، وذلك لتحويل حالة الاحتقان، والحزن، والقهر التي يعاني منها المجتمع جراء عدم القدرة على مجابهة العدو إلى جماعة أو فئة أو سلطة، فتكون قد أحدثت النكتة عملية جلد الذات (الدباغ، 1998: 167) بدلا من تحويل الشعور إلى مصدر الحزن، والقهر، الذي يتمثل بالعدو.

وتعمل النكتة خلف ستار الضحك في مستويين الأول قد يكون موجها نحو الخصم فتعمل على تحطيم بنيانه، وإضعاف الروح المعنوية، وإضعاف عزيمته وإرادته، وفي نفس الوقت فقد تعمل هذه النكتة على النيل من شخصيات عسكرية، أو اقتصادية أو سياسية، أو من فئات وطوائف داخل المجتمع،

مما يعني تحطيم كبريائها وتحقيرها وتجريحها.مما يتسبب في إحراجها أمام شعوبها، وبالتالي، تحقيق هدف العدو بخلق حالة من اليأس والإحباط مما يسهل العمليات العسكرية.

2. 4 وسائل الحرب النفسية

يعتبر الإعلام أحد وسائل الحرب النفسية في عملية التأثير وإقناع الجمهور المستهدف، سواء كان عدوا أو صديقا أو محايدا. وفي مطلع القرن 21 حدث تطور كبير على وسائل الإعلام بشكل عام، مما انعكس إيجابا على تطور الحرب النفسية عما كانت عليه في الماضي. فقد اقتصرت الوسائل سابقا على استخدام الأهازيج، والشعارات الهجومية، لرفع معنويات المقاتلين، واستخدام الشعر الحماسي في المعركة، وقرع الطبول والأبواق، وإشعال النار، واستخدام الخطابة والكلام في بداية المعركة، وذلك لإرهاب العدو (النوروزي، 1427: 7-8). ثم استخدمت الوسائل المطبوعة من صحف، ومطبوعات، ومنشورات، وبيانات وإذاعات مسموعة. وتبعا للتقدم التكنولوجي في مجال الإعلام والاتصالات، فقد حصل تقدم أيضا على وسائل الإعلام المستخدمة في الحرب النفسية، حيث أصبح الحدث يصل حال وقوعه بشكل فوري ومباشر، بفضل التقدم الذي تم إحرازه في مجالات الفضائيات والانترنت والاتصالات اللاسلكية والتي أصبحت متوفرة في جميع أنحاء العالم.

وبالرغم من تعدد الوسائل الإعلامية المستخدمة في الحرب النفسية وتقدمها، إلا أن الاعتماد على الوسائل القديمة ما زال له عدد من المزايا، إذ إن لكل وسيلة من هذه الوسائل خصائص ومميزات، ونقاط ضعف يجب أن يأخذها بالحسبان القائم على عملية التخطيط للحرب النفسية.ولا بد من اختيار الوسيلة المناسبة لشن الحرب النفسية، وتوصيل الرسالة الإعلامية والنفسية إلى الهدف المراد التأثير عليه، لإجباره على تغيير سلوكه بالطريقة التي تناسب المخطط لهذه الحرب النفسية. وقد قيل إن للأعلام قوة لا يستهان بها في الحرب النفسية، خاصة إذا كان هناك أخصائيون وخبراء وأشخاص بارعون في التوجه الإعلامي والدعائي في استخدام الوسائل المختلفة للحرب النفسية من مواد مقروءة ومسموعة ومرئية (أبو الشباب، 1999: 387).

لقد أثبتت الوقائع والحروب التي وقعت في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، أن لوسائل الإعلام والحرب النفسية دوراً كبيراً في حسم المعركة، وأن الاستخدام الجيد المنظم للإعلام والحرب

النفسية يؤدي إلى نتائج ايجابية في المعركة.فقد كتب شارل حلو " إن وسائل الإعلام هي الـــتي تقـــوم، الآن، بمهمة الجيوش. لأنها غدت أدوات الحرب الباردة أو الحرب النفسية، وهي الحرب العالمية الجديدة التي تطبع النصف الثاني من العصر العشرين بطابعها، بعد أن أمست حرب الكلام هذه بديلا عن الحرب الكبرى المدمرة" (طه، 1973 :72). وفي حرب الخليج الأخيرة يقول هربرت شـــيلر " أن المتلاعـــبين بالأخبار وبالمشاهد المصورة قد أدوا مهمتهم على أكمل وجه من خلال الهجوم الإخباري على المجتمـــع الأمريكي، حيث عملت التقنيات المبهرة على إخفاء الوقائع الملموسة" وعلق أحد الصحفيين على ذلك " لقد نجح بوش والعسكريون نجاحا تاما في السيطرة على وسائل الإعلام حتى أنهم تمكنوا من أن يقولوا للرأي العام ما يرغبون هم وحدهم بأن يعرفه (شيلر، 1994 :42).

تعمل وسائل الإعلام في الحرب النفسية إذن من خلال القدرة على التعامل مع عقول الجماهير بهدف القيام بعملية الإقناع نحو وجهة وهدف معين، إلا أن ما يحدد قدرة وسائل الإعلام على مخاطبة الجماهير وجود عاملين أساسيين:العامل الأول، يتوقف على وجود أشخاص، تكون طبيعة تكوينهم الشخصية قابلـــة للتأثر أكثر من غيرهم، أطلق عليهم ديفيد ويسمان اسم "لموجهون من قبل الآخرين"، وهؤلاء الأشـــخاص يتم اصطيادهم، من خلال التدخل لدى المختصين في إعداد المضـــمون الإعلامـــي، بهـــدف إقنـــاع الجهـــة المستهدفة.وبالتالي تغيير أنماط السلوك والاتجاهات لدى مستقبل الرسالة الإعلامية(يرو،1998 :241).

تتفق أهداف الإعلام الرئيسة مع أهداف الحرب النفسية في محاولة التأثير على سلوك الجهـــة المستهدفة من أفراد وجماعات، وقد يتعدى ذلك إحداث تغيير في سلوك الجهة المستهدفة، اضافة إلـــى نقل وتوصيل المعلومات للجهة المستهدفة باختلاف توجهاتها. وفي الحرب النفسية يختار القائمون عليها الوقت والوسيلة المناسبة لشن الحرب النفسية حتى من خلال برامج الترفيه والتسلية، التي هي أيضا من وظائف وأهداف الإعلام الرئيسة(الكسان ، 1992 :111).

وتشير معظم الدراسات التي أجراها علماء الاجتماع على وســـائل الإعلام المختلفـــة أن وســـائل الإعلام هذه لا تلتزم بالنقل الموضوعي لوصف الأحداث كما هي، بل إنها في كثير من الأحيان تقوم بنقل الوقائع والأحداث بشكل متحيز تلبية لموقف معين يتم نقله. وذلك من خلال التركيز على بعض الجوانب

الرئيسة في الخبر والتشدد في إبراز هذه الجوانب، وإهمال بعض الجوانب الأخرى التي قد تكون أكثر أهمية، وأكثر صدقا لظاهرة معينة(غدنز:509). إن ذلك يحدث في غالبية وسائل الإعلام المتلفزة، والمسموعة، والمقروءة، بشكل يؤدي إلى تغيير اتجاهات وقناعات الأفراد.

2 . 4 . 1 الإذاعة والتلفاز

تعتبر الإذاعة والتلفاز من الوسائل الأساسية المهمة التي تعتمد عليها الحرب النفسية، وذلك بما تقدمه من تغطية مباشرة للإحداث، وما تتميز به من سرعة في النشر، وسهولة الاستخدام، والبث المتواصل بانتظام، وسهولة استقبال برامج الإذاعة والتلفاز، واعتماد عمليتي التكرار، واجتذاب جمهور المشاهدين والمستمعين، إضافة إلى الجمهور العريض لكل من الإذاعة والتلفاز، ولما تحويه من برامج إخبارية، وترفيهية، ورياضية، واجتماعية، وبرامج منوعة.لذلك، يمكننا القول إن الإذاعة والتلفاز وسيلة أساسية للحرب النفسية يعمل من خلالها الأخصائيون والمخططون على تغيير الاتجاهات والقيم والمبادئ، وتعديل السلوك بالطريقة التي يريدونها.

وتعتبر الإذاعة من الوسائل المهمة في الحرب النفسية، حيث تعمل هذه الحرب من خلال عدة أنواع أهمها : الإذاعة الاستراتيجية حيث توظف في خدمة الحرب النفسية الاستراتيجية التي تم الحديث عنها سابقا، وذلك بالتنسيق مع وزارة الإعلام والدول الصديقة. وقد تستخدم الإذاعات الاستراتيجية في معاونة العناصر السرية، أو العملاء داخل الدولة المستهدفة، وتعمل هذه الإذاعة من خلال البرامج الإخبارية الاعتيادية والعاجلة، وما تحويه من تعليق وخبر إعلامي وحوار وحديث مباشر مع المعنيين، وريبورتاجات وغيرها. ويحتل هذا النوع من الإذاعات المرتبة الأولى في الحرب النفسية لما تتمتع به من قدرة على الإقناع والتأثير على المدى الطويل، وتقديم مواد إعلامية بصوره موجهة، مع أنها في حقيقة الأمر قد تدعي الموضوعية (شفيق، 2004:292). أما بخصوص الإذاعات التكتيكية، فيتم توظيفها في خدمة الحرب النفسية التكتيكية، بحيث تعمل محطات إذاعية متنقلة على تغطية العمليات العسكرية داخل المعركة، وتستخدم هذه الإذاعات في رفع الروح المعنوية للقوات، وإضعاف الروح المعنوية لقوات الخصم وتحريضه على الاستسلام، (رشتى، 1985: 305). أما الإذاعات السرية والتي قد تعمل من داخل

الدولة المستهدفة فيتم توظيفها في إثارة القلق بين قيادات الدولة نتيجة تشجيعها للانشقاق عنها، وغالبا ما تقوم هذه الإذاعات ببث المواد الدعائية المستهدفة بشكل غير شرعي(شفيق 2004 :292). ويناسب هذا النوع من الإذاعات الحرب النفسية السوداء.

ويتميز البث التلفزيوني والإذاعي الفضائي بالقدرة على الوصول إلى جميع أنحاء العالم بغض النظر عن الصعوبات الطبيعية، والصعوبات الاصطناعية في البث الناتجة عن التشويش على المحطات الإذاعية والتلفزيونية، كما يتميز البث الفضائي بالوصول إلى مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية، بشكل يمكن هذه الفئات من المشاهدة والاستماع للبرامج المنوعة للإذاعة والتلفزيون دون أن يكون هناك اعتبار لمستوى القراءة والكتابة عند الجمهور (العبد 2003 :86-103). ويتفوق التلفاز على الإذاعة وذلك لاعتماده حاستي السمع والبصر مما يعطيه أفضلية في الصدق وجذب انتباه المشاهد بسبب اقتران الصورة واللون بالصوت، مما يجسم أبعاد الاتصال المرئي. ولكن، وفي الوقت نفسه، فقد تكون الصورة أداة للكذب والتضليل من خلال عملية دبلجة فنية تستخدم لإقناع المشاهد ولبث السموم المعادية للخصم، حيث إن استثمار المؤثرات السمعية والبصرية تمكن التلفاز من تقديم الواقع والخيال (الحديدي، 2004 :90)

2 . 4 . 2 الصحف والكتب والمجلات

تعتبر الصحافة من أقدم وأهم وسائل الحرب النفسية التي استعملت في وصف العمليات العسكرية على مر التاريخ، سواء أكان ذلك في عهد الرومان، أو عهد المصريين القدماء على نحو ما تم الحديث عنه سابقاّ عند الحديث عن تاريخ الحرب النفسية. أما في الحرب العالمية الأولى فكانت الدول تعمل على تقديم الرشاوى، أو الهبات للصحف، وذلك من أجل القيام بالدعاية في الدول المحايدة (رشتى، 1985 : 94). وتحولت الكلمة المكتوبة التي هي أهم عنصر من عناصر الصحافة إلى سلاح فعال وجبار في حسم المعارك. وللتدليل على أهمية الصحافة تكفي الإشارة إلى أنها قد تسببت في انهيار الجيش الإيطالي على جبهة كوربيرتو في الحرب العالمية الأولى، وهو ما أدى إلى خسارة ايطاليا لربع مليون جندي من قواتها ما بين" السلطة الرابعة"، نظراّ لما تحدثه من أثار دعائية سواء في الحرب أو السلم. ولقد كتب كاغانوفيتش في صحيفة البرافدا في العام 1930 " الصحافة هي منظمة الجماهير، وأداة الثقافة وسلاح للدعاوة أي الدعاية في الحرب النفسية، وهي أيضا سلاح للآثار السياسية " (طه، 1973: 47 -48).

تتميز الصحافة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية بعدة مزايا من أهمها: إمكانية النشر والتوزيع على أكبر عدد ممكن من قطاعات المجتمع، وإمكانية الظهور بالمظهر المحايد، وذلك نظرا لما تعرضه من تحليلات وتعليقات من مصادر متعددة، لا تعبر عن رأي الصحيفة في كثير من الأحيان. ومن خلال الصحافة والمجلات والكتب فإن القارئ يمكنه التحكم بعدة أمور منها: اختيار الطريقة الملائمة التي تكسب القارئ بميزتي الإعادة والمراجعة، واختيار الوقت المناسب والسرعة المناسبة. كذلك، فإن وسيلة الصحافة تلائم الموضوعات المعقدة الصعبة الطويلة ذات التفاصيل الكثيرة الدقيقة، والبيانات الرقمية، إضافة إلى إمكانية النقد من خلال هذه الوسيلة.(الحديدي، 2004 :91 و زهران ، 1977 : 305).

وحتى تحقق الصحافة والكتب والمجلات أهدافها في الحرب النفسية، فثمة شروط متعددة ينبغي مراعاتها، ومن أهم هذه الشروط، مقدرة الصحافة على معالجة المواضيع التي ترتبط ارتباطا وثيقا باهتمامات الجمهور، وبدرجة تتناسب والثقافة السائدة لدى هذا الجمهور، ويجب أن تحاول الصحافة تحقيق التوازن فيما يتعلق بغالبية اهتمامات الأفراد، بحيث لا تهمل مواد إعلامية على حساب مواد أخرى. وأخيرا، يجب أن تتمتع الصحافة بالمرونة وذلك بالتكيف مع المستجدات التي تطرأ في زمن الحرب، وتحقيق السبق الصحفي، والقدرة على توجيه الجمهور وجهة معينة لتحقيق الهدف المنشود في الحرب النفسية (الدباغ، 1998: 194).

وتعد الكتب من وسائل الحرب النفسية التي يلجأ إليها المختصون للتأثير في سلوك الأفراد واتجاهاتهم على المدى الطويل سواء ما تعلق الأمر بالكتب المدرسية أو المقالات والقصص والمسرحيات والشعر، وقد تمارس هذا النوع من الحرب النفسية دولة الاحتلال، أو من خلال الدول المستعمرة التي تلجا إلى هذا الأسلوب لتحقيق التبعية التعليمية والاجتماعية والثقافية للسيطرة على الشعوب.

وقد تطورت الصحافة في عصرنا الحاضر إذ أنه بات بالامكان استعراض مختلف ألوان الصحافة والمجلات والكتب عبر الانترنت وما أطلق عليه اسم الصحافة الالكترونية. لقد تصاعدت وتيرة الحرب النفسية من خلال هذه الوسيلة بشكل كبير، فلم يعد بإمكان الدول حجب الصحافة المعادية من دخول أماكن

العمل والبيوت وتوجيه أساليب الحرب النفسية المختلفة من إشاعة ودعاية ورسوم كاريكاتيرية ونكتة من خلال الصحافة الالكترونية.

2 . 4. 3 المنشورات والبيانات

تعتبر المنشورات والبيانات من الوسائل الهامة التي يلجأ إليها مخططو الحرب النفسية بشكل خاص، سواء ما تعلق بالمنشورات والبيانات الموجهة إلى جنود وعسكر الخصم، أو ما يوجه إلى الجماهير بمختلف فئاته. أو ما يستخدم من هذه المناشير للرد على الدعاية المعادية، ورفع الروح المعنوية، .وذلك من أجل توجيه الفئة المستهدفة وجهة معينة، بحيث تخدم سياسة مروجي هذه البيانات وبالتالي خلق حالة من الفوضى والبلبلة في صفوف قوات الخصم وجبهته الداخلية. وقد يقوم بتوزيع هذه البيانات والمنشورات حركة أو حزب أو فصيل معين، بهدف توجيه التعليمات والفعاليات للشعب من أجل تلجأ إليها الأطراف المعادية من أجل تقويض حركة الشعوب إلى الحرية والاستقلال، سواء ما وجه منها للعسكريين والمدنيين على حد سواء.

غير أن هناك مجموعة من الأسس النفسية ينبغي مراعاتها وذلك حتى تحقق المنشورات والبيانات أهدافها ومنها: البساطة، والوضوح، والإيجاز، والتدرج المنطقي، وتقمص ثقافة الفئة المستهدفة، من مستوى تعليم، ولهجة، وتقاليد.ومن الأسس النفسية الأخرى الواجب مراعاتها عند واضعي هذه البيانات والمنشورات هو استغلال الدوافع والحاجات، وأن تكون معبرة وتعمل على إثارة الاهتمام، ومرتبطة بحدث معين، وأن تحافظ على قوانين الدعاية من تحويل وتكرار وإجماع وتبسيط وتغليط (الدباغ، 1998: 195)

وقد لعبت المنشورات دورًا أساسيًا في الحرب النفسية ضد الخصم وألحقت الهزائم بدول كثيرة ، وأثرت على صمود البعض الأخر.ففي الحرب العالمية الأولى أدت المنشورات التي أسقطتها قوات الحلفاء على النمسا والمجر، والتي بلغت 60 مليون نسخة من 643 منشور كتبت بلغات مختلفة إلى استسلام مئات الألوف من الجنود دون قتال، وهو ما أدى إلى خروج النمسا من الحرب وبالتالي ادعاء ألمانيا على لسان الإمبراطور تشارلز: أن ألمانيا طعنت في الظهر وأن الطعنة جاءت من حليفاتها(تايلور، 2000: 275).

وقد أشار صالح عبد الجواد إلى الأهداف التي سعت إسرائيل لتحقيقها من خلال نشر البيانات المزورة في الانتفاضة الأولى، وأهمها تحقيق سياسة فرق تسد بين الفئات الاجتماعية والسياسية، ومحاولة دق إسفين بين الشعب وقيادته، وإشعال وإذكاء الصراع بين التيارات السياسية المختلفة، وإثارة البلبلة في مواعيد وبرامج الانتفاضة، وزعزعة الثقة بالذات، وإثارة المخاوف في صفوف المجتمع الفلسطيني، واستغلال التناقضات الذاتية داخل التنظيم، ودق إسفين بين الداخل والخارج من أبناء الشعب الفلسطيني وإثارة المشاكل الاجتماعية والفتنة الطائفية وغيرها(عبد الجواد، 1989 10-29)

والمنشورات كوسيلة من وسائل الحرب النفسية تحمل في ثناياها مشاعر الخوف واليأس وبث الرعب والبلبلة، وغالبا ما تأتي في ظروف الحصار والأوقات الحرجة مما يساعد على سرعة انتشارها وتصديقها بين الناس. وقد وجهت إسرائيل في العام 1982 مجموعة من التعليمات إلى سكان منطقة الجنوب اللبناني أثناء غزوها للبنان في العام 1982، من خلال المنشورات التي ألقيت على سكان الجنوب كان أهمها ما تعلق بفقرة "علقوا على الشبابيك وعلى الشرفات قطعة من القماش بصورة يمكن رؤيتها بوضوح من الشارع"، وهو الأمر الذي يعمل على إثارة الخوف والاستسلام (عطايا 1992: 149).

أما عن توزيع المنشورات فقد يتم عن طريق البريد أو الحقائب المدرسية أو بالحدائق والأماكن العامة، وقد يتم إسقاطها من الطائرات كما حدث خلال الحرب التي شنتها إسرائيل على حزب الله في العام 2006، حيث قامت بإسقاط منشورات تحض على التمرد والالتفاف على حزب الله. وقد يتم إسقاط هذه المناشير من السيارات لتوزيعها في الشارع العام، وقد استحدثت وسيلة أخرى في الحرب العالمية الثانية لتوزيع المنشورات وهي اختراع قنبلة مونرو: وهي عبارة عن جهاز يحمل أكثر من 80 ألف منشور تنطلق في الهواء وتهبط القنبلة إلى ارتفاع ألف قدم (تايلور، 2000: 325).

وقد قسم الدباغ عملية توزيع المنشورات إلى عدة أساليب وهي التوزيع السطحي، والتوزيع أرض –أرض بواسطة المدفعية، وتوزيع جو–أرض بواسطة الطائرة بقذائف محشوة بالمناشير أو بواسطة صناديق، وهناك طريقة أخرى وهي طريقة التعويم المائي بواسطة استخدام الحوافظ البلاستيكية(الدباغ

1998: 196). وقد يتم توزيع هذه المنشورات بوساطة طابور من العملاء يسعى إلى. إلى إحداث البلبلة والفزع في الصفوف كما حصل في الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى 2001.

2 . 4 . 4 مكبرات الصوت

إلى جانب الوسائل السابقة، تعتبر مكبرات الصوت وسيلة هامة من وسائل الحرب النفسية سواء ما تعلق منها بالمعركة والموجهة للجنود أو من خلال مكبرات الصوت الموجهة للشعوب بهدف التأثير على معنويات الجنود، ودفعهم للاستسلام والفرار من أرض المعركة.أو من خلال توجيه مجموعة من النداءات والتعليمات والإرشادات للسكان المحليين للعمل بموجبها وبما يخدم ويحقق أهداف الدولة المعادية.

ففي الجانب العسكري تستخدم هذه الوسيلة للسيطرة على أسرى الحرب، وتوجيههم إلى نقاط جمع الأسرى، وتنفيذ إجراءات الخداع التكتيكي، وذلك عبر تضخيم أصوات جنازير الدبابات والمركبات المدرعة، وتحريض أفراد العدو على الاستسلام، وإزعاج القوات المعادية. وتعمل مكبرات الصوت على بث رسائل النداءات المباشرة مثل: نداءات التحذير، والإنذار النهائي، ودعوة المقاتلين إلى الاستسلام وترك المنطقة دون قتال، وقد استخدمت أمريكا مكبرات الصوت المحمولة على الطائرات في منطقة المحيط الهادي فوق اليابان، واستخدمت كذلك أثناء إنزال الحلفاء لقواتهم في النورماندي (**الدباغ، 1998، 192**). واستخدمت إسرائيل هذه مكبرات الصوت في العام 1973 وكان من أبرزها ادعاء إسرائيل من خلال النداءات أن المواقع الأمامية للجيش السوري خالية من الضباط ومقتصرة على الجنود فقط، وذلك لإثارة الفتنة بين الضباط وبالجنود (عطايا، 1992 ، 150).

إلى جانب ذلك تستخدم مكبرات الصوت، لإضعاف الروح المعنوية بين الجمهور، وكأداة للفصل ما بين القيادة العسكرية والجماهير، حيث تبث مكبرات الصوت نداءات الاستسلام للمواطنين وتحثهم على تسليم ما لديهم من أسلحة للسلطات، ومنع تعاونهم مع المقاتلين، وتدعوهم إلى التمرد والعصيان، ونداءات تجميع المواطنين لتقييدهم بالتعليمات الجديدة التي عليهم مراعاتها، إذا أرادوا الحفاظ على حياتهم وحياة أولادهم، أو للخروج من المنطقة لإفساح المجال للعمليات الحربية.

إن أهم ما يميز وسيلة مكبرات الصوت هو مقدرتها وسرعتها في التكيف مع المتغيرات المستجدة على ساحة المعركة، وإمكانية قياس مدى التغذية الراجعة من جراء استخدام هذه الوسيلة بشكل أسرع من الوسائل الأخرى، وبالتالي إحداث عملية التغيير المطلوبة. إلا أنه يجب الإشارة إلى ضرورة إجراء عمليات مسح اجتماعي للسكان والجمهور المستهدف قبل استعمال هذه الوسيلة، وذلك لتحديد، عاداتها، وتقاليدها، ولغتها، والظروف القتالية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من أجل استخدام هذه الوسيلة بفعالية(الدباغ، 1998: 190). لقد استخدمت إسرائيل هذا النوع من وسائل الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى، وانتفاضة 1987، كذلك استخدمت الفصائل الفلسطينية هذه الوسيلة أيضا في الانتفاضة الأولى والثانية وذلكم لشحذ الهمم، وإذاعة النداءات والتوجيهات من القيادة إلى الجماهير، لإذاعة البيانات التي تصدر عن القيادة، ونداءات التحذير والترهيب للعملاء وحثهم على العودة إلى صفوف الجماهير.

2 . 4 . 5 الطابور الخامس

"الجدران لها آذان"، " احترس حتى من أقرب الناس إليك"، "لا ثلاثة إلا وبينهم عين للعدو" ، " لو تنفس الإنسان في بيته لخشي أن يبلغ ذلك للعدو".تلك هي الثقافة التي يغذيها ويهدف إليها الخصم من الطابور الخامس، كوسيلة من وسائل الحرب النفسية، والتي تعتبر أشد فتكا من الأمراض، أنها وسيلة للتفكك الاجتماعي، وعدم ثقة الناس بعضهم بالبعض الأخر.ويعود أصل تسمية الطابور الخامس بهذا الاسم إلى الجنرال فرانكو، وذلك أثناء زحفه إلى أسبانيا في الحرب الأهلية الأسبانية 1936-1939، حيث قيل أنه يتقدم إلى مدريد بخمسة طوابير، أربعة منها خلفه والطابور الخامس موجود في مدريد العاصمة الذي يعمل مع الثوار ولكنه من داخل العاصمة، (مبيض، 2000: 889). لقد كان يعني مجموعة المتعاونين مع هذا الجنرال من اجل إحداث تصدع في الجبهة الداخلية.

وبذلك يمكن القول أن الطابور الخامس يقصد به جيش من العملاء يعمل ضمن وسائل الحرب النفسية التي تلجأ إليها الدول لنشر الإشاعات، والأقاويل الهدامة، والدعاية المحطمة للروح المعنوية، التي تخلق حالة من البلبلة والرعب والفوضى، والفزع، وبشكل يثير النعرات الطائفية بشكل خفي يؤثر على صمود الجبهة الداخلية. وطبقا لذلك، وحسب قاموس وستر الذي يعرف العملاء بأنه التعاون مع العدو أو المحتل برغبة المساندة والمساعدة. ونشير في هذا المجال إلى الكلمة العبرية (سيانيم) والتي تعني

مساعدين، وهي كلمة تعرفها السلطات الإسرائيلية وتطلقها على الفلسطينيين المسجلين رسمياً بأن لهم ارتباطاً استخبارياً مع إحدى أفرع الأمن العاملة في المناطق المحتلة، وبجهاز الأمن العام والشرطة الإسرائيلية وجيش الدفاع الإسرائيلي والإدارة المدنية (عباس، 2004 ، 6).

وتتضح أهمية الطابور الخامس أو ما يطلق عليه عادة اسم العملاء والجواسيس، وذلك من خلال قدرته على حسم المعركة بأسرع وقت ممكن، إذ أنه غالبا ما يتم حسمها قبل أن تبدأ وذلك من خلال خفض المعنويات وبث اليأس والرعب في صفوف المواطنين. وللتدليل على أهمية هذه الحرب نورد ما ذكره المؤرخ المشهور ارنولد توينبي " إن تسع عشرة حضارة من أصل إحدى وعشرين، قد تقوضت من الداخل بواسطة شبكات التجسس والمخبرين "(عباس، 2004: 11). وفي هذا المجال، تحدث صن تزى عن خمسة أنواع من العملاء هم عملاء الصفوة الذين يتم تجنيدهم من علية القوم لدى العدو، والعملا ء المحليون الذين يتم تجنيدهم من داخل العدو، والعملاء المزدوجون والذين يتم زرعهم بين عملاء العدو، والمضحى بهم الذين ينقلون معلومات يخدعون بها العدو ويتم قتلهم عند انكشاف أو افتضاح أمرهم، والعملاء الايابون الذين يتسللون خلف خطوط العدو دون افتضاح أمرهم (تزى، 2005، 98).

2 . 4 . 6 المواد المصورة والكاريكاتير

اقتبس مصطلح الكاريكاتير من اللفظة الإيطالية (كاريكار) وتعني التضخيم لإثارة الانتباه والتركيز على ما يراد إيصاله إلى المستقبل، وكان أول من طورها واستخدمها كسلاح سياسي هو الرسام " شارل فيليون" في فرنسا، وذلك من أجل الضغط والنقد بينما عبر يعقوب صنوع عن الكاريكاتير في المجلة التي أطلق عليها " أبو نظاره"، لنقد سياسة الحكومة في مصر، وذلك في الفترة ما بين 1839 – 1912.(الدباغ، 1998: 170). أما على صعيد القضية الفلسطينية فكان الرسام ناجي العلي من اشهر الرسامين الذين وظفوا الكاريكاتير للتعبير عن المعاناة التي يعانيها الشعب الفلسطيني وما يزال، إضافة إلى الدور الذي وظفه ناجي العلي للكاريكاتير في تأجيج المشاعر الوطنية الفلسطينية، مكرسا في الوقت نفسه جزءا من هذا الكاريكاتير للتعبير عن آمال الشعب الفلسطيني وحقه في الحرية والاستقلال.

تعمل المواد المصورة والكاريكاتير على ترويج بعض آليات الحرب النفسية المختلفة مثل الإشاعة أو الدعاية أو عمليات التخريب النفسي المتعمدة أو التعليق على الأخبار أو الخطب السياسية للقادة والزعماء، وذلك بأسلوب هزلي ساخر وهادف. إن ذلك يتجلى في التعليق على الحدث مختفيا تحت ستار من الضحك وتقبل الجماهير العفوي لها، إلا أن هذه السخرية تعمل في إطار الحرب النفسية الموجهة للخصم وتحطيم بنيانه وإضعاف الروح المعنوية عنده، وتثبيط عزيمته وإرادته، وذلك عبر الأساليب المختلفة من دعاية وإشاعة وتضليل إعلامي وتخريب نفسي وإضعاف الثقة بالنفس والذات. إنها ضحكة تختفي خلف خنجر مسموم. وبذلك يتفق الباحث فيما ذهب إليه عبد المجيد نوسي في تحليله لرسوم الكاريكاتير عند ناجي العلي وذلك عبر اشتغال السخرية في لوحات ناجي العلي من خلال التعليق على الخبر، وكشف ما هو سلبي بانتقاد وضعية سياسية، وبخلخلة تقاليد التفكير والتقييم المتعلقة بالسياق السياسي، بوضع هذه العناصر موضع السخرية، والتي تعبر عن رفض الحلول القطرية والاستسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي (نوسي، 1989:82).

ولم تقتصر الرسوم الكاريكاتيرية على الصحافة والمجلات، فقد تعدت ذلك إلى وسائل أخرى مثل التلفاز والانترنت والمحاضرات والمهرجانات وغرف الطلبة في المدارس والجامعات، مما أصبح لها

حضور وتأثير فاعلان في المجتمع، وخاصة رسامو الكاريكاتير السياسي الـذين يعـبرون عـن همـوم المجتمع بشكل خاص.

2 . 4 . 7 وسائل أخرى للحرب النفسية

هناك وسائل أخرى للحرب النفسية، ولكن تم التركيز على الوسائل السـابقة نظـرا لأهميتهـا فـي موضوع هذه البحث. إلا أننا سنحاول استعراض عدد من الوسائل الأخرى المستخدمة فـي هـذه الحـرب وأهمها: وسائل الاتصال الشخصي، والتي تتم من خلال الاجتماعات أو الندوات والخطب والمحاضرات على اختلاف أنواعها، سواء ما عرض منها على الإذاعة والتلفاز أو اللقاءات المباشرة التي تنظمها المؤسسـات المختلفة. وتخضع هذه الوسائل لعدد من المعايير النفسية التي يجب على القائمين عليها مراعاتها ومن أهمها: مستوى الاقتناع التام للمتحدث فيما يقوله، وبالقدرة على الجاذبية وإثارة الاهتمام، في المواضيع التي يتحـدث عنها، والتركيز على نقاط الاتفاق بينه وبين الجمهور، وتجنب الاختلافات الصغيرة، والقدرة علـى إيصـال الجمهور إلى نتيجة محددة مسبقا (الدباغ، 1998: 207).

لقد كان للسينما والمسرح دورا في التأثير على المجتمع من خلال القدرة على تغيير الاتجاهات والأفكار لرفع الروح المعنوية للجبهة الداخلية. فقد نشطت هذه الوسائل خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، سواء ما تعلق بالتأثير على المدنيين أو العسكريين في زمن الحرب. فعلى سبيل المثال أنفقت وزارة الحرب الأمريكية في زمن الحرب العالمية الثانية 50 مليون دولار سنويا على إنتاج الأفلام السينمائية بهدف صـهر ودمج وتدريب جيش قادر على إنزال الهزيمة بالعدو (تايلور، 2000: 331)، فيما ركزت أفلام هوليود على الجبهة الداخلية وذلك من خلال التوضيح للشعب الأمريكي الهدف الذي يحارب من أجله الأمريكيون، وتشجيع العمل والإنتاج ورفع معنويات الجبهة الداخلية وتصوير بطولات القوات المسلحة (تايور، 2000 :329).

ويعتبر الأسرى وسيلة من وسائل الحرب النفسية يلجا إليها الخصم بهدف التأثير على الآخرين، وذلـك من خلال المقابلات مع الأسرى في وسائل الإعلام، واستخدامهم كوسيلة لبث الروح الانهزامية، وإضـعاف الروح المعنوية لزملائهم من المقاتلين، ومن جانب آخر يستغل الأسرى في الروح المعنوية الداخلية للجبهـة الداخلية والإفادة منهم في معرفة مواطن القوة والضعف عن العدو، وقد لاحظنا كيف تـم اسـتغلال هـؤلاء

الأسرى من على شاشات التلفاز على نطاق واسع في الحرب العراقية الإيرانية في العام 1982 –1990.من خلال مشاهدة البث التلفزيوني لكلا الطرفين يمكن معرفة كيف كان البث يحض الأسرى من كلا الطرفين زملاءهم بالعمل على وقف الحرب.وكذلك الحال ي حرب الخليج الأولى والثانية.

أما بخصوص الموسيقى والغناء كوسائل أخرى للحرب النفسية، حيث تعمل الموسيقى من الناحية النفسية على الوصول إلى أغوار الحياة النفسية الكاملة، من خلال تحريك الغرائز والميول المشتركة بين الناس، والتأثير في الوجدان العام والعواطف، وبشكل خاص الموسيقى الحماسية. إن أصداء الآلات القارعة والطبول والدفوف تحدث تأثيرا روحانيا، يشبه إلى حد ما تحدثه الاحتفالات الصوفية، وكأنها حلقات ذكر، ويعمل النشيد الذي يتبع الموسيقى ما يشبه التراتيل الدينية في التأثير وبشكل جمعي فسيولوجي ونفسي على الأفراد، بشكل تصعب فيه المقاومة. وقد أشار أفلاطون إلى أهمية الموسيقى بعد ان طرد الشعراء من جمهوريته إلى أهمية الموسيقى في تشكيل اتجاهات الجماهير (أمام، 1969: 309).

الفصل الثالث

الأساطير الصهيونية والمجازر لنفي الآخر

3 . 1 تمهيد

3 . 2 ألأساطير وأفضلية الشعب اليهودي لتحقيق حلم العودة.

3 . 2 . 1 أسطورة ارض بلا شعب

3 . 2 . 2 أسطورة الشعب المختار

3 . 2 . 3 أسطورة الهولوكست

3 . 2 . 4 أسطورة الأرض الموعودة

3 . 2 . 5 أسطورة العنف وتشريع القتل

3. 3المجازر لنفي وجود الفلسطيني تاريخياً

3. 4 نحو طمس الهوية الوطنية الفلسطينية بعد إنشاء الدولة العبرية

3 . 4 . 1 قانون أملاك الغائبين

3 . 4 . 2 الحصار على المؤسسات التعليمية والتجهيل

3 . 4 . 3 تدمير الاقتصاد الفلسطيني

3 . 4. 4 تدمير المؤسسات الفلسطينية

3 . 4 . 5 تحطيم البناء الثقافي

3. 1 تمهيد

تستخدم الشعوب الأساطير لخلع صفة الشياطين على الأعداء، أو قد تستخدمها لإلصاق صفات الشجاعة والبطولة على الأصدقاء، ولم تخل أمة في هذه المعمورة إلا وصورت لها رجالا تمتعوا بقوى خارقة تمكنت من تحويل الخيال إلى واقع، مستخدمة بذلك أساليب مختلفة وصولا إلى المعجزة التي لا قدرة للآخرين على الإتيان بمثلها، وقد تكون هذه الأساطير خرافية لا علاقة لها بالواقع، وقد تتصف بالحيلة والدهاء، أو تكون مستمدة من الدين أو التاريخ تتناقلها الأجيال المتعاقبة، عبر التهويل للحقيقة، وقد تكون أخيرا جزءا من أحلام اليقظة لشعب من الشعوب.

في هذا الفصل سيتم التركيز على الجانب الديني والتاريخي للأساطير التي وظفتها الحركة الصهيونية من أجل الاستيطان في فلسطين، وكيف استعملت هذه الأساطير كحرب نفسية هدفت إلى تعبئة يهود العالم للهجرة إلى فلسطين أولا، ورسالة إلى العرب الفلسطينيين أن عليهم الاستعداد للرحيل من أرض إسرائيل ثانيا، ومحاولة إقناع العالم بأحقية اليهود لامتلاك أرض فلسطين ثالثا. وسيتم الحديث في هذا الفصل أيضا عن المجازر والمذابح التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني عبر التاريخ، سواء ما كان منها قبيل نشوء الدولة اليهودية، أو المجازر التي حدثت بعد ذلك، لدفعهم إلى الهجرة عن وطنهم لتحقيق المقولات التاريخية والدينية للأساطير الصهيونية التي ظهرت في بداية القرن الماضي.

أما الجزء الثالث من هذا الفصل فسيتناول آليات طمس الهوية الوطنية الفلسطينية التي اتبعتها الحركة الصهيونية من تدمير القرى العربية، التي هجر أهلها عنوة، وإزالة معالم الأرض، واستحداث قوانين سلب الأراضي، وإجراءات تهويد الأرض، وتدمير البناء الثقافي والحضاري، والاجتماعي، والاقتصادي، والسيطرة على المؤسسات التعليمة ومحاصرتها، ذلك ما يسمى سياسة الترانسفير الزاحف التي عملت إسرائيل على تطبيقها بعد احتلال الأراضي العربية في عام 1948 وتوسعت هذه السياسة فيما بعد احتلال إسرائيل لما تبقى من الأراضي العربية بعد العام 1967.

3. 2 الأساطير" وأفضلية" الشعب اليهودي لتحقيق حلم العودة

يرى الصهاينة، أن الأسطورة تضاهي الحقيقة. فهذا بيزهار من هيئة مكتب بن جوريون الداخلية، خرج مدافعا عن الزعيم الصهيوني بن جوريون، لاتهامه بالتلاعب بالحقيقة لحساب تشكيل الأساطير، حيث يقول: (إن الأسطورة ليست أقل من التاريخ من حيث كونها حقيقة إضافية، حقيقة مختلفة، حقيقة موجودة إزاء الحقيقة، حقيقة إنسانية غير موضوعية، بيد أنها حقيقة تشق طريقها صوب الحقيقة التاريخية (روز، 2006 : 24). ذلك، يعكس وجهة نظر الحركة الصهيونية نحو الأسطورة التي قد يصل معامل صدقها إلى الحقيقة. ولذلك، اعتبرت الأسطورة في الثقافة العبرية القوة الوحيدة المحركة للناس، وأن الأسطورة متماثلة مع معتقدات الجماعة، والتعبير عن هذه المعتقدات بلغة الحركة. ومن خلال الأسطورة يستطيع المرء مخاطبة قلوب الناس وعواطفهم، وهو منطق ضد العقلانية استند إليه فكر "بيرك كاتسنيلسن" من الحركة العمالية الصهيونية، الذي اشتقه من المفكر الفرنسي جورج سورل، والذي بدوره جاء بهذه الأفكار متحديا الماركسية، والعقلانية، والليبرالية (ستيرنهل، 1987:151). وبذلك تم تبرير اعتماد الحركة الصهيونية على الأساطير لتجميع اليهود من أرض الشتات .

لقد عملت إسرائيل على نبش الوثائق التاريخية، واستغلال قصص التوراة الدينية وذلك، لإعادة بنائها وصوغها وفق أساطير جديدة تقوم بإعدادها وتلقينها للتلاميذ اليهود من خلال المناهج التعليمية، لإذكاء العزيمة الصلبة، والثقة بالنفس، وتوحيد القلوب نحو هدف واحد، وجمع الشتات اليهودي وفق مجموعة من الأساطير المستمدة إما تاريخيا أو دينيا. ولعل في قصة داود وجوليات المستمدة من التوراة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ما يدل على ذلك، تشير هذه الأسطورة إلى المواجهة التي تمت بين داود اليهودي وجوليات الفلسطيني بين جبلين للقتال، فقد شتم جوليات داود وسخر من جيش إسرائيل، وارتعد منه الإسرائيليون، فتصدى له داود بالعصا باسم الإله الحي، وانتصر عليه داود. وبذلك تم نشر هذه الأسطورة تعبيرا عن الذكاء والعزيمة والثقة بالنفس والتي تتناقلها الأجيال المتعاقبة في إسرائيل لتبث فيهم روح العزيمة. (إمام، 1969 : 272). كما تصور هذه الأسطورة إسرائيل بمظهر ديفيد المسكين والصغير، الذي يواجه عملاقا عربيا. واستغلت إسرائيل ذلك في حروبها مع الدول العربية، في حين كان هناك تفوقا إسرائيليا واضحا، ففي حرب عام 1948 كان جيش الهاجاناه مكون من 60 ألف جندي مزودين بأسلحة من أوروبا الشرقية والغربية،

بينما كان عدد الجيوش العربية لا يتجاوز أكثر من 30 ألف جندي ولا يتمتعون بـــأي اســـتراتيجية قتاليـــة (جارودي ، 1998 ، 114).

3 . 2 . 1 أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

في تصريح لجريدة الصنداي تايمز اللندنية بتاريخ 15 أيار 1969، ذكرت جولدا مـــائير " لا يوجـــد شعب فلسطين وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده، فهم أي [الفلسطينيون] لا وجود لهم " (جارودي ، 1996 :155). ولم يأت هذا التصريح من فراغ، ففي سفر التكوين (15—18) جاء ما يلي " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلـــى النهـــر الكبير نهر الفرات " وقد أجمع اليهود سواء كانوا متدينين أو غير متدينين على أن هذه الأرض هي فلسطين.

تستند هذه الأسطورة الصهيونية على وجود أرض خاويـــة قاحلـــة جـــرداء، وأرض خـــراب مليئة بالمستنقعات والملاريا، وقد أهمل الفلاحون هذه الأرض وتركوها دون عناية. وفي ذلك ربط غوردون أحقية الأرض بالعمل حيث يقول:

[إن الأرض تبقى ملكية أولئك الذين يعيشون عليها ويعملون فيهـــا، الأرض تكتســـب بـــالعيش عليهـــا بالعمل والإنتاج. إن أرضنا التي كانت في غابر الأيام تفيض باللبن والعسل، وكانت مـــوطن ثقافـــة عاليـــة أصبحت فقيرة متروكة ومهجورة أكثر من أي بلد متحضر آخر وهي تقريبا غير مأهولة، وأن الأرض فـــي انتظارنا و تكتسب بالعيش عليها[(ستيرنهل، 1987 : 83).

لقد فند الكثيرين مقولة شعب بلا ارض لأرض بلا شعب ومنهم جون روز، وروجيه جارودي، وحتى رموز الحركة الصهيونية عادوا إلى الحق التاريخي في امتلاكهم للأرض. ولكن اليهود زعموا أن فلســـطين هي أرض الآباء والأجداد، أرض الشعب الذي يعيش في الشتات من ليتوانيا في الشمال، إلى البحر الأسود في الجنوب، ومن بولندا في الغرب، إلى روسيا البيضاء واكرانيا في الشرق والتي عرفـــت بنطـــاق الاســـتيطان اليهودي وأن هذا الشعب لا يوجد له أرض يعيش عليها(روز، 2006 : 135). وطبعت في أذهان العالم أجمع أنه يوجد شعب بلا أرض، وهم اليهود، وبموجب الحق الإلهي فإن اليهود هم أصحاب الأرض المقدسة وهذه الأرض خالية من أصحابها الشرعيين. ويشير عبد الوهاب المســـيري أنـــه وبحســـب مفهـــوم هـــذه

الأسطورة عند اليهود يصبح السكان الفلسطينيون مجرد مادة استعمالية للأرض لا تتمتع بملكية هذه الأرض. وفي المقابل فإن اليهود في العالم الغربي لا ينتمون للحضارة الغربية، وبالتالي لا أرض لهم. وأن الأمر يستدعي تحريك الشعب اليهودي إلى الأرض التي هي بلا شعب، وتحريك السكان الفلسطينيين من الأرض إلى المنفى(المسيري :الموسوعة :21).

لقد فعلت أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، من خلال الأدب الروائي الإسرائيلي، حيث كشف ذلك عن نزعة نابعة من الأعماق، من أجل أن تكون فلسطين دون سكانها الأصليين وأن يعود هؤلاء السكان العرب إلى الصحراء التي أتوا منها، ويقصد بذلك العرب الفلسطينيون. وقد كتب أحد الروائيين الإسرائيليين وهو عاموس عوز يقول :

(حين كنت طفلا، علمني بعض أساتذتي أنه بعد دمار الهيكل وحين أبعدنا عن بلدنا، جاء غرباء إلى ما كان إرثنا وعبثوا به. العرب الذين ولدوا في الصحراء جعلوا الأرض خرابا، ودمروا صفوف المنازل من على التلال، أما قطعان الماشية فقد دمرت الغابات الجميلة، وحين جاء الرواد الأوائل إلى الأرض لإعادة بنائها وتخليصها من الدمار، وجدوا أرضا بورا مهجورة، ويصح القول أن عددا قليلا من البدو المتخلفين الأفظاظ كانوا يتجولون بها"(مصالحة ، 2003 : 20).

وقد روج السياسيون والمتحدثون الرسميون الإسرائيليون، أسطورة الأرض الخالية من الشعب والتي سوف يتم تطويرها وإثراؤها بالحياة من قبل القادمين أو العائدين من المنفى حسب تعبيرهم. فإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق يقول في مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 مقتبسا هذه الكلمات عن كتاب" أبرياء في الخارج" لمؤلفه مارك توين الذي زار فلسطين في العام 1967 " بلد مهجور يتربع في كيس من الرماد – مساحة صامتة حزينة لا يستطيع حتى الخيال أن يزينها، بأنها الحياة " (مصالحة، 2003 :21). ذلك يصور فلسطين بلدا مهجورا وخرابا جاء المستوطنون اليهود لكي يعيدوا الحياة إلى هذه الأرض، ولن يتم ذلك إلا بجهد غير عادي من اليهود. ولعل في هذا خاصية وأسطورة أخرى ترتبط بالتفوق النوعي لليهود.

لقد تحدثت الحركة الصهيونية عن سكان البلاد الأصليين، بأنهم قد أهملوا الأرض، وتركت بلا عناية وأصبحت خرابا وبذلك، لا يستحقونها ويجب طردهم منها. وتم وصفهم بالمتآمرين والخونة والكسالى

والماكرين والسفّاحين والنازيين من أجل طردهم (مصالحة ، 2003 :22). إنها إحدى أهم أساليب الحرب النفسية في إسرائيل، وهي نزع الصفة الإنسانية عن الخصم، والتي تطبقها إسرائيل في جميع حروبها مع العرب، وخصوصا مع الشعب الفلسطيني.

تشير هذه الأسطورة في الحرب النفسية إلى اتجاهين الأول، يتعلق بالتعبئة المعنوية للشعب اليهودي، وتجميعهم، وتهيئتهم للاستعداد للهجرة إلى وطن الآباء والأجداد فلسطين. وذلك بنصوص دينية مستمدة من التوراة فسرها السياسيون، والكتّاب الإسرائيليون، على أنها فلسطين. وأن الأمر يتطلب استعدادا نفسيا للمواجهة مع السكان المحليين، الذين هم موجودون على أرض ليست لهم ولا يستحقونها بعد أن عاثوا فيها خرابا. أما الاتجاه الثاني، فهي رسالة للتهديد والوعيد موجهة إلى السكان الأصليين، بأن عليهم الرحيل من أرض إسرائيل التي هي أرض الآباء والأجداد للشعب اليهودي، وهو ما يثبت أن مفهوم الترانسفير سواء كان طوعيا، أو متفقا عليه، أو إجباريا، كان له أساس في الفكر الصهيوني السائد واليشوف (مصالحة، 2003 : 26)ورسالة أخرى موجهة إلى العالم الخارجي وهو أن الأرض هي خاربة وقاحلة أهملها الشعب الفلسطيني لأنها ليست أرضه، وقد جاء من يحافظ على أرضه بموجب الوعد الإلهي لليهود في التوراة. وإذا ما عدنا إلى مفهوم رون شلايفر في تعريفه للجمهور المستهدف في الحرب النفسية، فيمكننا فهم هذا الجمهور في هذه الأسطورة وهم جمهور الداخل الإسرائيليون المراد تجميعهم على الأرض، وجمهور العدو المراد إخلاؤهم من هذه الأرض، والجمهور الحيادي وهو العالم الخارجي بهدف كسب ودهم وتأييدهم.

3 . 2 . 2 أسطورة الشعب المختار

تستند الحركة الصهيونية على مجموعة من النصوص الدينية، وذلك لإثبات أن اليهود هم شعب الله المختار، مستغلة بذلك العامل النفسي الديني، وتوظيفه في خدمة "شعب الله المختار". وذلك من خلال خرافة التفوق النوعي اليهودي، التي تستند إلى خرافة النقاء العرقي للجنس اليهودي. وقد تحدث شاحاك عن ذلك بقوله : إن لهذه الأسطورة خصائص غير بادية للعيان لكنها مهيمنة داخل اليهود، بمعزل عن التاريخ أو الدور الاجتماعي أو أي شيء آخر وهذا ما يعطي علامة فارقة تميز اللاسامية الحديثة (شاحاك، 1994 : 117). ومن هذه النصوص التوراتية التي يتعلمها الطفل اليهودي في البيت والمدرسة والمعبد "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه

الأرض "(التثنية ،7—6)، فلتكونوا عندئذ شعبي الخاص بين الشعوب (الخروج ، 19–5)، اتخذكم لي شعبا وأكون لكم آلهة(الخروج 19—5). إن المقصود من ذلك هو الاصطفاء من بين الشعوب الأخرى، والسيطرة عليها من خلال هذه الأسطورة. ولعل الأمر واضح بصورة أكثر فيما جاء به سفر التثنية، بما أوصي به من خلال فتح المدن. فتحت شعار الصلح، يسخر الشعب للاستعباد وخدمة اليهود، أما إذا اختاروا الحرب فالقتل لجميع الذكور والنساء والأطفال، والبهائم هي غنائم(عماد، 2001 :27) أما الحاخام كوهين في كتابه التلمود فقد ذكر " يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى، فإن شعب إسرائيل هو الشعب المختار وهو ركن أساسي من أركان العقيدة "(جار ودي، 1996 :47).

وتذكر عدد من نصوص التوراة أو العهد القديم، مجموعة من النصوص التي تصف اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأن من عداهم "غوييم"، وقد أكسبتهم هذه الصفة مجموعة من الصفات الاعتبارية الأخرى ومنها أن هذا الشعب قد تم اصطفاؤه على الناس، وأنهم شعب استثنائي ليس كغيره من الشعوب، وبالتالي فإنه يتمتع بصفة الاستعلاء على الآخرين، وأنه أصبح مدعاة للقدسية. تشير هذه الصفات السابقة إلى حتمية الصدام والعداء مع الآخرين، وذلك على نحو ما جاء على لسان آلهتهم يهوه " فلا تقطعوا عهدا مع سكان هذه الأرض (عماد، 2001 :19).

وبذلك تحمل هذه الأسطورة مكوناتها النفسية الواضحة، فقد حملت النصوص السابقة في نفوس اليهود أفكار التميز والتفوق والاختيار، وانغرست في العقلية اليهودية، بحيث رسخت معاني التعصب والعنصرية، والسيد، والعبد، والطاهر، والنجس، (وأصبحت تقوم على نظرة الاستعلائية، واستعباد الآخرين، وتجاهلهم تماما، وبالتالي النظرة العنصرية تجاه الآخر. وقد بدا ذلك واضحا عند الحديث عن صفاء العرق اليهودي حين يطلب موسى أن لا يتزوج شعبه من بنات الشعوب الأخرى (سفر الخروج :16)، بل اعتقدوا أنهم خلقوا من عناصر الله ففي المزمور 82 " أنا قلت أنكم آلهة، وبنوا العلي كلكم ". وهنا تصبح بقية الشعوب جاءت من زرائب الحيوانات، فهل يعقل أن ينسجم الحيوان مع إنسان مخلوق على صورة الآلهة (عماد، 2001 :19). وبالتالي، فإن هذه الأسطورة وما تبعها من صفات اعتبارية لا يتمتع بها الآخرون، تشكل أساسا للدافع العدواني اليهودي ضد الآخرين.

وضمن عمليات التبرير في العمليات العقلية التي تم الحديث عنها سابقا، تشكل أسطورة شـــعب اللهـــ المختار تبريرا دينيا لعمليات القتل والتدمير والمجازر والسيطرة التي قامت عليها الحركة الصهيونية وذلـــك بما ينسجم مع أسطورة التفوق النوعي لشعب الله المختار. (دراج: 1427 :5).

3 . 2 . 3 أسطورة الهولوكست

تتحدث الحركة الصهيونية عن أسطورة المحرقة، وإبادة اليهود من قبل النازية من خلال تجميعهم في أفران الغاز والذين تقدر أعدادهم حسب الروايات الإسرائيلية بستة ملايين يهودي. حيث قـــامت الحركـــة الصهيونية بتحويل المذابح اليهودية إلى أسطورة، ورفضت في نفس الوقت البحوث العلمية حول موضـــوع المذابح، بل إنها أصدرت قوانين تجرم كل من يحاول التشكيك في رقم الستة مليون يهودي، وقامت بملاحقة العديد من الكتاب الذين فندوا هذه الادعاءات وأوضحوا أن العدد اقل من ذلك بكثير، وقد تعـــرض بعضـــهم للاعتقال والقتل نتيجة ذلك، ونذكر هنا الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الذي تعرض للمحاكمـــة بســـبب تحديه للقوانين التي تجرم التشكيك بمن ينكر المحرقة (علوش، 1998: 12). ولعل الهجوم الذي شنته الحركة الصهيونية والإعلام الإسرائيلي على المؤتمر المنعقد في طهران في كانون ثاني من العام 2006 لتكـــذيب ادعاءات إسرائيل بشأن الهولوكست هو أكبر دليل على رفض الحركة الصهيونية البحث في هذا الموضوع.

ورغم أن الإبادة لم تكن موجهة ضد اليهود وحدهم، فقد وجهت إلى مختلف الشعوب والعناصر الـــتي اعتبرت من قبل النازية غير نافعة، وتشير بعض الدراسات والأبحاث أنه لو انتصرت آلة النازية في معركة العلمين لوصلت إلى شعوب أخرى ومنها العرب (ألمسيري، الموسوعة : 96).

وحسب عملية التبرير كإحدى العمليات العقلية في علم النفس، فإن أسطورة الهولوكست قد اقترنت بالبطولة، وسارت جنبا إلى جنب في الثقافة الإسرائيلية (سيغف، 1993 :424). ثم وظفت هذه الأسطورة من ضمن عناصر تبرير قيام دولة إسرائيل، وفي ذلك يذكر توم سيغف الكاتب الإسرائيلي في كتابه المليـــون الســـابع " وعلى غرار الوعد الإلهي الوارد في التوراة، فإن الأبادة الجماعية هـــي عنصـــر مـــن عناصـــر التـــبرير الايدولوجي لإنشاء دولة إسرائيل (جارودي ، 1996 :136، سيغف، 1993 :514). وفي الحرب النفسية أيضا التي ارتكزت عليها الحركة الصهيونية، استغلت هذه الأسطورة كإشاعة، وذلك حسب مـــا ذهـــب إليـــه جارودي حيث اقترح إبدال مصطلح الأساطير عند الحركة الصهيونية، بمصطلح الإشاعات، حيث أن الإشاعة

هي طرح راهن يمكن التحري والتحقق من صحته، في حين أن الأسطورة قناعة تاريخية لا يحتاج إلى إثباتها (النابلسي 2004 :3) واستنادا إلى قول جارودي، فإن الأسطورة هنا تصبح إشاعة من النوع الغاطس، حيث تعود للظهور وفق ما ترتئيه الحركة الصهيونية من خطر على وجودها، وذلك لغرس عقدة الشعور بالذنب لدى العالم تجاه اليهود لصمتهم عن هذه الإبادة، والحصول على تعويضات مالية. و قد استغلت هذه الإشاعة لتوجيه اليهود وجهة أخرى إلى فلسطين فرارا من حملات الأبادة. كما تعمل هذه الإشاعة على زرع الخوف بين اليهود أنفسهم من جيرانهم العرب، ويعتبر ما حصل قبيل حرب العام 1967 من توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين كل من مصر والسعودية والأردن وسوريا مثال على ذلك، إذ تنامى الشعور بالخوف لدى اليهود من هولوكست جديدة ضدهم من قبل العرب، (Bar-on:1993:24-25) وتم تصوير العرب بالنازية التي تحاول إبادة إسرائيل وإلقائهم في البحر، ذلك ما تتولاه الأجهزة التربوية، والاجتماعية، والتعليمية، والثقافية، في المجتمع الإسرائيلي. وأخيرا فقد ذكر توم سيغف في كتابه المليون السابع أيضا أن هذه الأسطورة قد شكلت عنصرا وعاملا أساسيا في تعرف الشعب اليهودي على هويته وقدمت دافعا مهما للحركة الصهيونية لبناء دولة إسرائيل (سيغف، 1993 427–428).

3 . 2 . 4 اسطور الأرض الموعودة

تستند هذه الأسطورة إلى مجموعة من النصوص التوراتية، التي تحاول ربط أرض كنعان قديما أي فلسطين حديثا، بالقبائل العبرية والإسرائيلية. فقد جاء في سفر التكوين "لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات" (سفر التكوين 15—18)، وجاء في سفر العدد" وكلم الرب موسى قائلا: قل لبني إسرائيل أنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم..." وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذي تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جنوبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أني فاعل بكم كما هممت أن افعل بهم " (غارودي، : 1991، 154).

لقد حاول الساسة الإسرائيليون إقناع الشعب اليهودي بهذه الأسطورة، وذلك لتبرير وإقناع اليهود بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد، أرض فلسطين التاريخية، أو ما يسمونه "يرتس إسرائيل " وأن وجود اليهود في البلاد التي يقيمون فيها هي إقامة مؤقتة ناتجة عن المنفى أو المهجر، وأنهم في حالة شتات أو ما

أطلق عليها كلمة الدياسبورا، وهي الحالة التي يشعر بها اليهود منذ هدم الهيكل على يد تيتوس (ألمسيري، الموسوعة: 24). وتأكيدا على ذلك من قبل الساسة الإسرائيليين فقد طرحت غولدا مائير بديهية تقول" لقد قام هذا الوطن إنجازا لوعد قطعه لنا الله نفسه، ومن المضحك أن يطلب أحد تبريرا شرعيا لوجود هذا الوطن "ويضيف موشى ديان "إذا كنا نملك التوراة ونعد أنفسنا شعب التوراة فلا بد إذن أن نملك الأراضي التوراتية، أي أرض القضاة والآباء الروحيين وأورشليم وحبرون وأريحا وغيرها"(غارودي،1991 : 154).

لقد حاولت الصهيونية عن طريق هذه الأسطورة العمل على تعزيز الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وذلك بعد أن أتضح للصهيونية أن فكرة تجميع اليهود على أرض إسرائيل، كحل لانعدام الأمن الجسدي والاقتصادي في أوروبا لا تكفي. وبالتالي كان لا بد من بعث العامل الديني عبر تصوير الهجرة إلى أرض إسرائيل كذروة التاريخ اليهودي، وإنقاذ للأمة، ككينونة تاريخية. ويوضح ذلك زئيف ستيرنهل حينما يقول " وفي التحليل النهائي كان الدين بمعناه الأشمل وبكل تضميناته القومية والتاريخية هو الذي فتح البلد وأعطى شرعية لعودة اليهود (ستيرنهل، 2001 : 71).

ولأن الحرب النفسية كما ذكرنا سابقا تعتمد في تعبئة الناس على العواطف والغرائز بشكل أساسي، فقد أثارت الصهيوني هذه العواطف والغرائز بشكل واضح من خلال الشعور الديني. فهذا اليهودي أرون ديفيد غوردن الذي نزل عن السفينة من على شواطئ يافا وهو في الخمسين من عمره في الهجرة الثانية، يتبنى استنتاجات سورل في الأسطورة من أجل تعبئة الناس وذلك "أن على المرء أن يخاطب غرائزهم وعواطفهم وليس عقولهم" (ستيرنهل، 1996: 72) غير أنه ابتعد عن تسمية ذلك بالأسطورة، رغم تبنيه وجهة نظرها.

وهكذا نجد تفسيرا لاندماج الصهيونية السياسية والصهيونية الدينية، وذلك لتحقيق هدف سياسي يتمثل في العودة إلى أرض الميعاد مدعومة بتراث توراتي، لإقناع اليهود بالهجرة إلى أرض إسرائيل. وبذلك استثمرت الصهيونية السياسية أسطورة الوعد الإلهي وأرض الميعاد، لإثارة عواطف اليهود وغرائزهم. وقد توج هذا الاندماج بشكل واضح في إعلان الاستقلال الذي يقول"في أرض إسرائيل قام الشعب اليهودي، ففيها شكلت صورته الروحية والدينية والسياسية وفيها عاش حياة استقلال رسمية، وفيها أنتج تراث ثقافة قدسية وإنسانية شاملة وأورث العالم كتاب الكتب الأبدي"(علو ش، 1999 :95).

3 . 2 . 5 أسطورة العنف وتشريع القتل

تؤكد بعض النصوص التي وردت في التوراة على شرعية العنف والقتل ضد بقية الشعوب، وذلك استنادا إلى أسطورة شعب الله المختار، والتفوق العرقي اليهودي، واصطفاء الله لهم على بقية العالمين. ففي كتب العهد القديم وردت بعض النصوص التي تحث على إبادة السكان في أرض كنعان ففي سفر التثنية" وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكوره بحد السيف "(التثنية ، 20، 13) "وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك " (التثنية ، 20، 14). وتشير النصوص السابقة بصراحة على حث شعب الله المختار إذا سقطت أرض كنعان بعد رفضها للصلح على قتل الذكور بحد السيف فيما يكون النساء والأطفال والبهائم سبايا وهبها الله ليتمتع بها شعب الله المختار.

ولعل في قصة ماسادا والتي حولت إلى أسطورة لترجيح كفة العنف عند اليهود، خير دليل على ذلك. ففي هذه الأسطورة التي تتحدث عن صمود اليهود في آخر قلعة لليهود سقطت على أيدي الرومان أثناء التمرد اليهودي الأول ضد الإمبراطورية الرومانية وتقع بالقرب من البحر الميت وعرفت باسم "مصعدة وسبة" والتي كان قد استولى عليها اليهود، وذبحوا كل أفراد الحامية الرومانية بعد إن وعدهم بالأمان ان استسلموا. وقد عاد الرومان لحصار القلعة، مما دفع القائد اليهودي اليعازر بن يائير إلى الطلب من زملائه بالانتحار الجماعي حسب أوامر الشريعة بالرغم من تحريم الديانة اليهودية للانتحار(المسيري، ، 2001 : 54).

وفي سفر العدد وردت نصوص واضحة على القتل والعنف عند اليهود ومن هذه النصوص " فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتل كل ذكر " ، " وسبى بني إسرائيل نساء مدين ". " وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقت بالنار. وعندما عادوا إلى موسى " فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل استبقيتم الإناث كلهن، الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها، وأما الإناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم (سفر العدد 31 ، 7-18).

إن ما ترمي إليه النصوص التوراتية وقصص العنف " كأسطورة ماسادا" يأتي متطابقا مع تعاليم التلمود الذي ينظم العلاقة مع الأغيار من منطق الاستعلاء والتفوق، الذي يعتبر أن قتل غير اليهودي لا يعتبر

جريمة عند اليهود بل فعلا يرضى عنه الله. وبذلك تتكامل نصوص التوراة مع تعاليم التلمود، وقصة ماسادا، لتنزع الصفة الإنسانية عن الخصم، بشكل يؤدي هذا الإسقاط إلى خطوة سلوكية، لن يكتمل ألأيمان إلا بهـــا. وهي مشروعية القتل للأغيار بشكل تتحول مشروعية القتل إلى طقوس وشعائر عند الملتزمين بأصول الدين اليهودي. وبذلك، أقدمت الحركة الصهيونية على استغلال هذه النصوص التوراتية، كنصـــوص كلاســـيكية مقررة في مدارس إسرائيل واستخدامها في الإعداد النفسي للجنود الأغرار في الجيش (جارودي، ، 1991 : 155). وهذه النصوص تعيد إلى الأذهان أيضا ما أقدم عليه باروخ غولدشتاين في الخليل حينما أقدم علـــى قتل 29 شخصا من المصلين في الحرم الإبراهيمي الشريف أثناء تأديتهم للصلاة، وجـــرح أكـــثر مـــن 50 شخصا من المصلين، وما يفسر أيضا تحول غولدشتاين إلى بطل قومي لليهود نتيجة هذا المنـــاخ الفكـــري المستمد من النصوص التوراتية وتعاليم التلمود.

إن قتل اليهودي في الديانة اليهودية يعتبر جريمة كبرى، وواحدة من ثلاث خطايا شـــنيعة، اضـــافة إلى الوثنية والزنا، بينما لا يعتبر قتل غير يهودي بطريقة غير مباشرة خطيئة أبدا، فيما يعتبر مـــذنبا فقـــط بحكم شريعة السماء ولا تعاقب عليها المحكمة. وحسب الهالاكاه فان هناك إمكانية لقتل المدنيين غير اليهود وقت الحرب وأثناء الاحتكاك مع الخصم وقت الحرب حتى ولو كانوا مدنيين طيبين (شـــاحاك ، 1994 : 134).

3. 3 المجازر لنفي الشعب الفلسطيني تاريخيا

لقد أقدمت الحركة الصهيونية على القيام بعملية استيطان واسعة النطاق على أرض فلسطين، وأقـــدمت على استعمال العنف وارتكاب المجازر ضد الشعب الفلسطيني، وذلك بعد أن وظفت الأساطير السابقة فـــي عملية تعبئة واسعة ليهود في جميع أنحاء العالم. بل أن هذه الأساطير قد وظفت أيضا في حملة نفسية هدفت إلى إقناع العالم، بشرعية الاستعمار ألإحلالي لليهود في فلسطين. وغالبا ما استغلت الحركة الصهيونية حادثة معينة لتبرير ارتكاب المجازر ضد الفلسطينيين. بشكل يشبه الحجج التي استغلتها ألمانيا لتقوم بأول مجزرة جماعية ضد اليهود، مما أتاح لها ممارسة عملية القمع والإقصاء ضدهم، حيث استغلت ألمانيا حادثة اغتيـــال دبلوماسي ألماني في باريس بتاريخ 7 تشرين الثاني 1937 من قبل شاب يهودي(غـــارودي، ، 1998 : 115). والجدير ذكره أن إسرائيل ما زالت تستخدم وتستغل الأحداث من أجل الاستيلاء على الأراضي والقيام

بعمليات العنف. ومن ذلك على سبيل المثال، ما أقدمت عليه إسرائيل من اجتياح لجنوب لبنان عام ، 1987 بعد محاولة اغتيال دبلوماسي إسرائيلي في لندن في العام 1982 والتي ثبت فيما بعد عدم مسؤولية المنظمة عن هذه العملية. وكذلك الحال عندما أقدمت إسرائيل على القيام بالهجوم على لبنان وغزة في العـــام 2006 بعد اختطاف ثلاثة من جنودها لتبرير قيمها بارتكاب المجازر والعنف ضد الآخرين.

ومنذ مطلع العشرينات بدأت تتحول المدركات الأسطورية الصهيونية، من النظرية إلـــى التطـــبيق العملي، وذلك عبر تأسيس المنظمات العسكرية الإسرائيلية في مطلع العشرينات من القرن العشرين، والتي كان من أهمها: منظمة الهاجاناه، التي كانت تمثل الذراع العسكري للوكالة اليهودية، وكذلك فرق البالماخ، ثم منظمات أتسل وليحي، التي نشأت فيما بعد. وبالتالي أصبح العنف مجموعة من الممارسات التي تحـــول النظرية والإدراك إلى واقع قائم (المسيري، ، 2001 : 243)

ومن أجل السيطرة على الأرض وإحلال المستوطنين مكان السكان الفلسطينيين، لم يتردد زعماء الصهيونية في استعمال العنف من أجل تحقيق ذلك، وبشتى الوسائل المختلفة. فهذا بن غوريون مثلا لا يـــتردد فـــي استخدام العنف، لتحقيق أهداف الصهيونية الاستيطانية، وذلك عندما كتب يقول "علينا أن نطرد العرب وأن نأخذ أماكنهم، وإذا كان علينا استخدام العنف ليس لانتزاع أملاك العرب من النقـــب وغـــور الأردن، ولكـــن لضمان حقنا في استيطان تلك الأماكن، يجب أن تكون القوة تحت تصرفنا "(مصالحة، 2003 :31).

لقد أقدمت المنظمات العسكرية الصهيونية على تنفيذ عدد من العمليات العسكرية منذ مطلع العشرينات من القرن الماضي، وذلك بهدف تحويل المدركات النظرية الصهيونية المتمثلة بالأساطير الصـــهيونية إلـــى واقع على الأرض. ولعل ما يوضح ذلك طبيعة الحصار الذي كان يفرض على القرى الفلســـطينية، حيـــث كانت تحاصر من ثلاث جهات، بينما تترك الجهة الرابعة، لإتاحة الفرصة للسكان للهرب باتجـــاه الـــدول العربية الحدودية (منصور، 1998 :70). وبمعنى آخر فقد تم وضع خطة مدروسة جيدا، لحمل الفلسطينيين على ترك أراضيهم من خلال محاصرة المدن والقرى العربية على هيئة حذوة الحصان لخلق منطقة خالية من اليهود، يستطيع السكان الفلسطينيون الإفلات منها. وحسب هذه الخطة، فإنها اتاحت الفرصة لقادة الهاجانـــاه حرية العمل لطرد سكان القرى العربية الواقعة في الأماكن الاستراتيجية الحيوية. وأشار بني موريس إلـــى

أن معظم القرويين العرب هربوا من قراهم قبل بدء الهجمات اليهودية، فيما ساهمت البلبلة والتشويش والانقسامات وسط الزعامة العربية في تعزيز الهجرة الجماعية (بني موريس، 1992 :267).

لقد استخدمت الهاجاناه الحرب النفسية ضد الفلسطينيين أثناء عملية التهجير، وارتكاب المجازر في المدن والقرى العربية، وقد رافقت الحرب النفسية العمليات العسكرية، وذلك عبر تسريب أخبار المجازر، من قتل جماعي، واغتصاب، وهدم المنازل إلى الفلسطينيين وذلك بهدف زرع حالة من الخوف والذعر، للقيام بإخلاء القرى والمدن العربية، قبل استخدام القوة العسكرية. وحسب تقديرات صادرة عن قسم الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي، فقد أدت حملة الهمس ضمن الحرب النفسية إلى هجرة 14% من الفلسطينيين حتى 1 حزيران 1948 (مصالحة ، نور الدين 1992 : 177). وقد وصف الكاتب الإسرائيلي آرثر كوسلر الذي كان موجودا في مدينة حيفا في ذلك الوقت، بأن الهاجاناة استخدمت مكبرات الصوت، لبث الرعب في قلوب الفلسطينيين ودفعهم إلى الرحيل. وقد أذيعت أصوات صراخ وأنين، واستغاثة النسوة العرب، ورنين أجراس عربات الإطفاء، وكذلك، إذاعة نداءات الاستسلام مثل " أنقذوا أرواحكم أيها المؤمنون، أهربوا لتنجو"، وكذلك فقد تم استخدام أصوات الانفجارات، لترويع السكان ودفعهم للرحيل، واستخدمت إسرائيل أيضا المنشورات كوسيلة للحرب النفسية، والتي تحث الفلسطينيون على الرحيل، وكان من أبرز هذه المنشورات "ارحل من أجل سلامتك "(منصور، 1998 :76). لقد استخدمت صورا أخرى من الحرب النفسية الموجهة ضد الفلسطينين، عن طريق نشر الإشاعات المغرضة، مثل: نشر إشاعات تفشي الأمراض الوبائية، فقد أذاع راديو الهاجاناه في 26 آذار 1948 تحذيرا من تفشي مرضي الجدري والتيفوئيد في كل من مدينتي حيفا وعكا، أثناء حصار قوات البالماخ للمدينة في 28 نيسان 1948 (منصور ، 1998 :77).

لقد تضافرت عوامل القوة العسكرية المختلفة من قتل، وتدمير مع الآليات المختلفة للحرب النفسية من إشاعات، ونداءات، وأدى ذلك إلى خلق حالة من البلبلة والخوف، مما دفع آلاف الفلسطينيين للهجرة وترك ديارهم والنزوح عنها، وذلك من أجل إحلال القوى البشرية اليهودية تطبيقا للأساطير الصهيونية .

لقد أثبتت الدراسات التي أجريت على المجازر التي اتبعتها الصهيونية بحق السكان العرب، وسياسة تدمير المنازل، أن الهدف من ذلك هو تحقيق الأسطورة القائلة بأن فلسطين كانت قبل أن يدخلها اليهود أرضا

خالية، وبذلك تم تشريد وتهجير العرب منها، وتم تدمير المنازل، وذلك عملا بهذه الأسطورة، ففي دراسة أشرف عليها وليد الخالدي، تظهر أنه من بين 418 قرية قد تم تفريغها من سكانها، فإن 293 قرية أي بنسبة 70 % هدمت تماما، فيما استولى المستوطنون على القرى المتبقية (مصالحة ، 2003 : 53). وقد صاحب ذلك إنكار حق العودة للفلسطينيين بموجب قانون الغائبين رقم 50 والذي سيتم الحديث عنه لاحقا، على الرغم من صدور قرار الأمم المتحدة رقم 194 الذي يدعو إلى حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى أراضيهم، إلا أن إسرائيل تنكرت لذلك.

3 . 4 طمس الهوية الوطنية الفلسطينية بعد العام 1948

لقد تمخضت حرب عام 1948 والتي خاضتها الدول العربية مع إسرائيل، أن أصبح جزء من فلسطين خاضعا للاحتلال الإسرائيلي، وأصبح معزولا عن بقية الأراضي الفلسطينية، التي تقاسم السلطة فيها، كل من الأردن ومصر، وهو ما يعرف بالضفة الغربية وقطاع غزة.فقد عزلت عن الأراضي القابلة للزراعة في فلسطين، وأسواق الساحل الفلسطيني. لقد أدت التشكيلات الثلاث التي تقاسمت السلطة على الفلسطينيين بعد الحرب إلى تشرذم المجتمع الفلسطيني، فيما استمر تأثير الاحتلال الإسرائيلي على مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب عام 1967، مما انعكس سلبا على وحدة الهوية الوطنية الفلسطينية في مختلف المجالات.

لقد كان واضحا أن الصهيونية كانت تعمل عن قصد وإصرار، ومن خلال المجازر، وسياسة هدم القرى على تدمير المشهد الفلسطيني تطبيقا للأساطير الصهيونية التي تم الحديث عنها في الجزء الأول من هذا الفصل. ولذلك، فقد لجأت بعد تدمير هذا المشهد إلى مجموعة من الإجراء لترسيخ طمس الهوية الوطنية الفلسطينية، وتحقيق سياسة ترانسفير جماعي للفلسطينيين. و لقد بدأت إسرائيل بتطبيق آليات الترانسفير المختلفة، بهدف إجبار الفلسطينيين على الهجرة من أرضهم، دون اللجوء إلى أسلوب الطرد المباشر من خلال المجازر. إنه أسلوب التهجير غير المباشر الذي يستخدم أساليب الضغط النفسي، والاقتصادي، والإعلامي، وذلك لتدمير الفلسطينيين في مختلف نواحي الحياة، من صحة، وتعليم، واقتصاد، وقيم اجتماعية، وبنى تحتية وذلك على المدى البعيد (علقم وكناعنة ، 2003 :44).

ومنذ أوائل الخمسينات أقدمت الحكومة الإسرائيلية على عدد من الإجراءات، التي تهدف إلى منع عودة المهجرين إلى أرضهم، من بينها، وضع مجموعة من القوانين التي تحول دون عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم، إضافة إلى خلق واقع من المعاناة اليومية المستمرة للفلسطينيين، والتي تهدف في نهاية الأمر إلى سياسة ترانسفير زاحف، أو صامت، من خلال مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية.وهي سياسة طبقتها إسرائيل منذ العام 1948—1967، على الفلسطينيين الذين احتلت أراضيهم في العام 1948، وعادت إلى تطبيقها في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب عام 1967. ولقد عنى ذلك سلسلة من الإجراءات التي تهدف إلى التدمير الكلي، أو الجزئي للمجتمع، وذلك من خلال إعاقته من النمو والتطور الاقتصادي، والاجتماعي، ومن خلال تدمير المؤسسات الثقافية، والتعليمية، والتأثير على معنويات السكان، ودفعهم لتحويل الضغط النفسي المكبوت بأثر الاحتلال إلى القيام بعملية جلد الذات، بشكل يؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع وبالتالي دفعهم إلى الهجرة (عبد الجواد، مقال غير منشور :2).

لقد كان من أولويات طمس الهوية الوطنية الفلسطينية هو ما تعلق بالفرد، حيث حاولت إسرائيل تقديم عدد من المشاريع لتوطين الفلسطينيين في الدول العربية، سواء المشاريع التي تقدمت بها بعد حرب 1948، أو المشاريع التي تقدمت بها بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة في العام 1967. وقد كان من أجل منع عودة السكان إلى ديارهم التي هجروا منها ، وتذويب قضية اللاجئين، وتقليص الضغط الإنساني والدولي على إسرائيل، وتحطيم الهوية الجماعية للفلسطينيين، وتسهيل وتعزيز السيطرة السياسية والإدارية على الضفة الغربية ، وقطاع غزة، (مصالحة، 2003 :72—74). ومن أجل ذلك فقد سعت إسرائيل إلى سلسلة من الإجراءات على أرض الواقع، لتحطيم، وطمس الهوية الوطنية الفلسطينية وتذويبها.

تعتبر الأرض من المعالم الهامة التي تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية، ولذلك كان واضحا أن السياسة الإسرائيلية بعد حرب عام 1948 تتجه إلى تفريغ الأرض من سكانها العرب عن طريق طردهم أو نزوحهم عن أرض إسرائيل وهو ما عرف وقتها بسياسة الترانسفير الإرتجاعي (أبو سمرة ، 1990 :25). يعني ذلك عدم عودة اللاجئين الذين هجروا وطردوا من ديارهم إلى بيوتهم، وذلك عبر تدمير أكبر قدر ممكن من القرى العربية، ومنع العرب من استغلال أرضهم وزراعتها. وفي المقابل توطين اليهود في عدد من القرى والمدن التي تم إخلاؤها من العرب، والعمل على سن قوانين جديدة لمنع عودة اللاجئين،

والمساعدة في تسهيل عملية استيعابهم في الدول العربية، والقيام بحملة دعائية في الخارج والداخل ضد عودة اللاجئين.

وقد تم بالفعل وضع عدة مشاريع من أجل توطين اللاجئين في خارج الدول العربية ومن هذه المشاريع، خطة" جوزيف شختمان" القائد التصحيحي في الاتجاه اليميني في العام 1948، والتي تدعوا إلى إعادة التوطين في العراق، وقد وصل بالفعل إلى العراق ما يقارب 3000 فلسطيني فقط (مصالحة ، 2003 : 84).ومن هذه المشاريع أيضا مشروع باروخ الذي اقترح إعادة بعض اللاجئين إلى غزة وتوطين البعض في البلاد العربية، والبعض الآخر في كندا والولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية، والباكستان (البرعي، 1427 :3).وقد قدم هذا المشروع إلى الهيئة العربية العليا، والتي رفضته وأكدت على وجوب عودة اللاجئين إلى ديارهم وبيوتهم التي طردوا منها.وفي العام 1950 قدمت وزارة الخارجية الإسرائيلية مشروعا لتوطين اللاجئين في ليبيا والصومال، وذلك لتوطينهم مكان 17000 –18000 يهودي تم تهجيرهم من منطقة بنغازي وطرابلس، إلا أن هذا المشروع لم يلاق نجاحا بسبب قلة الفلسطينيين الذين تم إغراؤهم بالهجرة إلى ليبيا، فقد أصر هؤلاء أيضا على العودة إلى فلسطين بعد ذلك (مصالحة، 2003 : 101).

واستمرت مشاريع إنكار حقوق اللاجئين في ديارهم وقدمت في العام 1956—1957 مشاريع أخرى لتوطين اللاجئين في غزة، وذلك عندما سيطرت إسرائيل على القطاع في العام ، 1956 فقد قدم بن غوريون خطة سرية للتفكير بإعادة توطين اللاجئين في غزة، إلا أن هذه الخطة فشلت أيضا، بسبب إجبار إسرائيل على الانسحاب من غزة. ولم تتوقف مشاريع إعادة توطين اللاجئين بعد العام 1967، فقد قدمت عدة مشاريع لإعادة التوطين، ومنها مشروع يوسف فايتس في أيلول 1967، والذي ينص على إعادة توطين اللاجئين في وادي الأردن، وكذلك مخطط موشه ديان بالتوطين في أمريكا الجنوبية، مقابل حصول كل عائلة عربية على 0300—5000– دولار أمريكي، وبالرغم من موافقة عدد من العائلات الفلسطينية على هذه المقترحات التي وصلت بالفعل إلى أمريكا الجنوبية، إلا أنها عادت إلى بيوتها في الضفة الغربية(مصالحة، 2003 :119).ومن أجل تحقيق مشاريع التوطين عملت الحكومة الإسرائيلية على سن عدد من القوانين التي بموجبها تم منع عودة اللاجئين إلى أراضيهم ومن هذه القوانين، قانون أملاك الغائبين في العام 1950، وقانون الجنسية .

3 . 4 . 1 قانون أملاك الغائبين

لقد عملت الحكومة الإسرائيلية على تشريع القوانين المختلفة، بهدف إبعاد الإنسان عن الأرض، وذلك عبر إلغاء المهجرين الفلسطينيين، لتثبيت واقع الاستيلاء على الأرض والقرى العربية المهجرة، بمنع عودتهم إلى ديارهم، فمن العمل بموجب أنظمة الطوارئ، وسن القوانين الجديدة، إلى الخطط الميدانية لإقامة المزيد من المستوطنات على الأراضي العربية. لقد كان قانون أملاك الغائبين في العام 1950 نموذجا صريحا لتحويل الأملاك العربية إلى أيدي اليهود من خلال الحارس أو القيّم على أموال الغائبين. ومنه إلى سلطة التطوير الإسرائيلية. لقد هدف القانون إلى تركيز إدارة الأراضي التي كانت ملكيتها تعود إلى من تم وصفهم بالغائبين تحت تصرف الحارس على هذه الممتلكات، ليقوم بحمايتها، وتحديد العلاقة مع الغائبين، أن على هؤلاء الغائبين أن يثبتوا وجودهم، إن لم يكونوا غائبين، وقد استغلت سلطة التطوير ذلك، وقامت عملية نقل الأراضي لصالح سلطة التطوير من القيم على أموال الغائبين (واكيم 1990: 203). وقد أوضحت المادة 19 من قانون أملاك الغائبين على عدم جواز بيع هذه الأراضي من قبل القيّم، إلا إذا تم إنشاء سلطة للتطوير حسب قانون الكنيست(حلبي ، 1427:2). وبالفعل تم إنشاء سلطة التطوير، وتم تحويل ملكية الأراضي إلى سلطة التطوير، باستثناء بعض الأراضي التي أعيدت إلى أصحابها الغائبين، والذين اعتبروا حاضرين من العرب وذلك لتعاونهم مع الأذرع الأمنية المختلفة، وفقط بعد مصادقة من الأجهزة الأمنية (كوهين ، 2002 :88).

ولعل من الجدير ذكره أن مصطلح "غائب" قد جعل فضفاضا، ليشمل المواطنين العرب الذين هجروا أو من عاد منه إلى أرضه بعد الحرب والمذابح التي ارتكبت بحقهم. وفي ذلك يوضح هليل كوهين في تعريفه للغائبين حسب القانون الذي أقرته الكنيست، بأن مصطلح الغائبين قد ضم أملاك اللاجئين الداخليين، وهم الغائبون الحاضرون الذين بقوا في داخل حدود الدولة الإسرائيلية، ولم يسمح لهم بالعودة إلى مدنهم وقراهم، بالرغم من أنهم أصبحوا مواطنين، وحصلوا على إذن في البقاء، أو في نطاق جمع شمل العائلات(كوهين ، 2002 :86). إضافة إلى الفلسطينيين الذين ذهبوا إلى الدول العربية بصفة زائر أو مهاجر، أو إلى أي مكان في فلسطين تسيطر عليه القوات العربية التي قاومت إسرائيل، وذلك في الفترة ما بين 29 تشرين الثاني 1947 واليوم الذي نشر فيه القانون في العام 1950

لقد صدر في العام 1950 قانون المواطنة، الذي ينص على حق الحصول على الجنسية الإسرائيلية أوتوماتيكيا من دون قيد أ شرط، وبناء على حق العودة، وقد أعطي ذلك لجميع اليهود بما فيهم من كانوا موجودين في فلسطين قبل قيام الدولة. فيما اشترط على السكان العرب ثلاثة شروط للحصول على الجنسية، وهي: أن يكون مسجلا في سجل السكان بتاريخ 1/ آذار/ 1952، وأن يكون مقيما في إسرائيل يوم بدء سريان قانون الجنسية في 14/ تموز/1952، وأن يكون الشخص المعني موجودا في إسرائيل في الفترة ما بين 15 أيار 1949 وبدء سريان قانون المواطنة (اسكندر ، 2006 :2). وبذلك فقد حال هذا القانون دون حصول كثير من السكان العرب على الجنسية، ما يعني فقدانهم لممتلكاتهم

3 . 4 . 2 الحصار على المؤسسات التعليمية وعملية التجهيل

وبهدف طمس الهوية الوطنية الفلسطينية لصالح ثقافة وحضارة الآخر، تم تطبيق سياسة التجهيل، واستبدال الثقافة الفلسطينية العربية بالثقافة اليهودية، كان ذلك واضحا من خلال السياسة التعليمية التي طبقت على فلسطينيي عام 1948، وذلك بحسب قانون التعليم الإسرائيلي الصادر عام 1953 الذي ينص على إقامة التعليم وفق قيم الثقافة اليهودية، والولاء للدولة والشعب اليهودي (عبد الجواد ، 1986:12). كما عملت إسرائيل على الحد من فرص التعليم للطلاب العرب، وهو ما يعكس قلة الطلاب العرب في الجامعات والدراسات العليا والمدارس الفنية. ولم يسمح المجلس الإسرائيلي للتعليم العالي ببناء جامعة عربية واحدة بالرغم من أن الفلسطينيين يشكلوا خمس مجموع السكان في فلسطين المحتلة عام 1948، وقد اعتبر السيد رامز جرايسة أن هذا الرفض يقف وراءه دوافع عرقية ضد الشعب الفلسطيني في الداخل(عبد الجواد، 1986 :13). وفي مدارس القدس فرضت الحكومة الإسرائيلية تدريس المنهج الثقافي التعليمي الإسرائيلي الذي طبقته على السكان العرب الفلسطينيين بعد إقامة إسرائيل في العام 1948، وقد أقدمت إسرائيل أيضا على حذف عدد كبير من المواد التي اعتبرتها تحريضية، فعلى سبيل المثال حذفت السلطات الإسرائيلية أبيات من الشعر لإبن الرومي في المدارس العربية التي تسير على المنهج الإسرائيلي، لاحتوائها على دلالات وطنية (ربايعة ، 1983 :212)، وهما :

ولي وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيري له الدهر مالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

ويمكننا القول أن التعليم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948 تعرض لسياسة منهجية مدروسة للتجهيل، تمثلت في تشويه المناهج العربية، وفرض ثقافة العبرية على الطلبة العرب إضافة إلى القيود والإجراءات التي اتخذت بحق المعلمين والطلاب، وعدم صلاحية المرافق التعليمية مقارنة بالمدارس الإسرائيلية (أبو إصبع ، 1998 :49).

واعتمدت إسرائيل بعد العام 1967 سياسة التجهيل، بتشجيع تسرب الأطفال من المدارس، وفتح سوق العمل الإسرائيلي أمامهم ، وأصدر ضابط التربية والتعليم أوامر بإلغاء وحذف كثير من المواد التعليمية، وقد تعرض جهاز التعليم في المدارس التي يشرف عليها ضابط التربية والتعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى سياسة توظيف تخدم سياسة الاحتلال، وتعرض كثير من المعلمين للفصل واستبعد المعلمون والخريجون الأكفياء، وتعرضت مئات المدارس إلى موجات من الإغلاق المتواصل، واعتقل وقتل الكثير من الطلبة وهم على مقاعد الدراسة، (ألبرغوثي، ، 2003:4). وقد عانى المعلم من ظروف اقتصادية صعبه أجبرته على عمل آخر لتدبير أوضاعه واحتياجاته الأسرية، فكان ذلك على حساب العملية التعليمية، وقد كان يتم تشغيل المدرسين بعقود سنوية، وذلك من أجل سهولة التخلص منهم (أبو عمشه ، 189 :43).

أما الجامعات فقد تعرضت للإغلاق المتواصل، وتم إبعاد واعتقال العشرات من الأساتذة الجامعيين، ورؤساء الجامعات، وقد لجأت إسرائيل إلى إصدار الأمر العسكري رقم 854 لعام 1980، الذي منح السلطات العسكرية صلاحيات واسعة للإشراف على المؤسسات التعليمية بهدف التضييق على الحريات الأكاديمية (أبو عمشة ، 1989 :45). وقد كان هذا القرار يهدف إلى محاولة إلحاق الجامعات الفلسطينية بضابط التربية والتعليم، وذلك للتدخل في قبول الطلبة وتوظيف الأساتذة الجامعيين، والإشراف على المناهج، ومحاولة الانفراد بكل جامعة على حدة مما أدى إلى عدد من المشاكل كان من أهمها، إبعاد العاملين الأجانب من جامعتي النجاح وبيرزيت، والاغلاقات المتكررة للجامعات(برامكي، 2000 : 7). ولكن اضطر الحاكم العسكري إلى تجميد هذا القرار. وعلى سبيل المثال فقد أغلقت جامعة بيرزيت 15 مرة منذ إنشائها في العام 1974 –2000 عدا الإغلاقات الصغيرة جراء الحواجز العسكرية التي تمنع وصول الطلبة والأساتذة إلى الجامعة، بينما أغلقت الجامعات الفلسطينية بشكل كامل خلال الانتفاضة الأولى، وحرم ألاف الطلبة من التعليم الجامعي خلال هذه الفترة.

لقد فرضت إسرائيل رقابة صارمة على تداول الكتب العلمية، والوطنية، والقومية، والدينية، ومنعت فتح المكتبات العامة والخاصة، إلا تحت الرقابة العسكرية الصارمة. فعلى سبيل المثال كانت مكتبتا بلدية البيرة ورام الله تفتح أبوابهما لساعات محدودة جدا، وكان أمناء المكتبة يتم تعيينهم من قبل الحاكم العسكري مباشرة. وهم ليسوا من ذوي الخبرة، إضافة إلى الرقابة الصارمة على استيراد الكتب المختلفة. أما بخصوص دور النشر، فلم تمنح السلطات ترخيصا لها، وقد لاحقت المثقفين، والشعراء، والكتاب، والروائيين، وتعرض كثير منهم للملاحقة، وحظرت نشر إنتاجهم في البلاد(البرغوثي ، 2003 :4)

3 . 4 . 3 تدمير الاقتصاد الفلسطيني ودمجه بالاقتصاد الإسرائيلي

جانب آخر من جوانب طمس الهوية الوطنية الفلسطينية، هو ما تعلق بالعمل على تدمير الاقتصاد الفلسطيني، وربطه بالاقتصاد الإسرائيلي، وذلك من خلال منع العمل على إنشاء الصناعة الفلسطينية، وربط كافة القطاعات الإنتاجية من زراعية، وصناعات استهلاكية خفيفة بالصناعة الإسرائيلية. وكذلك مصادرة المياه الجوفية الفلسطينية، وسرقتها للمستوطنات، وتحويل الأيدي العاملة الفلسطينية إلى سوق رخيص لأرباب العمل الإسرائيلي، ولاحقا عملت إسرائيل على تفشي البطالة في المجتمع الفلسطيني.

فعلى صعيد الصناعة الفلسطينية، لم تر الصناعة الفلسطينية في الفترة منذ العام 1948 النور، وتسببت في هجرة الكفاءات إلى الخارج، وذلك لما تميزت به هذه الصناعات بالطابع الحرفي العائلي وصغر الحجم.وقد لوحظ أن المؤسسات الصناعية التي ازدهرت، هي مؤسسات تكميلية للصناعة الإسرائيلية، تعمل لصالح الوكلاء الإسرائيليين بعقود, بينما ضعفت الصناعات الغذائية الفلسطينية لعدم قدرتها على المنافسة مع المصانع الإسرائيلية (أبو شكر ، 1990 :23).لقد عملت إسرائيل على تخلف الصناعة الفلسطينية عن طريق وضع العقبات والضرائب الباهظة، والمشاكل أمام الصناعة الفلسطينية، إضافة إلى تعاظم اعتماد الصناعة الفلسطينية على المواد الخام المستوردة عبر إسرائيل (عبدالله ، 1988 : 25).

لقد نتج عن دمج الصناعة الفلسطينية بالصناعة الإسرائيلية أن تم توجيه ضربة قاضية لإمكانية إحياء مجتمع فلسطيني اقتصادي، وتعزز ذلك، من خلال تحويل العمال العرب إلى عمال غير فنيين يعملون بأجور رخيصة، وقد خدم هؤلاء العمال في مجالات غير فنية، كأعمال التنظيفات ومحطات البنزين، والوقود،

وغيرها، من الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارة. وقد حصل هذا العامل على 50%من أجرة العامل اليهـــودي (بنفينستي ، 1987 38). لقد هدف تشغيل هؤلاء العمال غير المهرة إلى تهدئتهم، وتعويضهم عن الحريات السياسة التي فقدوها في ظل الحكم العسكري، واستغلال العمالة الفلسطينية الرخيصة لصالح أرباب العمـــل الإسرائيليين (اورنسون ، 1990 :44).

جانب آخر من جوانب سلب الهوية الوطنية الفلسطينية ومنعها من استغلال ثروتها ، وهو المياه، فقـــد سيطرت إسرائيل على المياه الفلسطينية في فلسطين، فقد أصبح 90% من ميـــاه الضـــفة تحـــت الســـيطرة الإسرائيلية، إضافة إلى السيطرة الكاملة على المياه الجوفية. وفي الوقت الذي أعطـــي المســـتوطنين كافـــة التسهيلات حرم العرب منها. وتستغل إسرائيل حوالي 500 مليون متر مكعب سنويا، بينما يســـتغل العـــرب 220 مليون متر مكعب (أبو عمشه:1989 :23) وقد تحدثت المصادر الإسرائيلية على أن نسبة حصة الضفة الغربية من المياه على سبيل المثال في العام 1990 6.3 % من استهلاك المياه في فلسطين (بنفينستي ، 1987 :52).

أما القطاع الزراعي فقد تعرض لمضايقات متعددة، منها: مصادرة الأراضي الزراعية بحجـــج وذرائع مختلفة، وقيام إسرائيل بإغراق السوق الوطنية الفلسطينية بمنتجات زراعية إسرائيلية وبأسعار أقـــل مقارنـــة بالمنتوجات الفلسطينية، مما أدى إلى عدم قدرتها على المنافسة مع الزراعة الإسرائيلية التي تحصل علـــى دعم حكومي (صبيح، 1988: 23). لقد تم وضع القيود على التصدير الخارجي، فقد اضطر كـــثير مـــن المزارعين إلى ترك حقولهم والتوجه إلى سوق العمل الإسرائيلي (أبو عمشه، 1989: 25). لقد عملـــت السياسة الإسرائيلية على إبقاء التخطيط الزراعي في الضفة الغربية وقطاع غزة مكملا للتخطيط الزراعـــي الإسرائيلي، وليس منافسا له(جازيت، 2000 : 302)، وبذلك استبيحت السوق الفلسطينية بشكل كامـــل للمنتجات الإسرائيلية، وأصبحت الضفة الغربية تستورد 92% من منتجاتها من إسرائيل (عبد الجواد، مقـــال غير منشور :27).

أما القطاع التجاري، فقد تعرض للكثير من المضايقات، وفرضت ضـــرائب باهظـــة علـــى التجـــارة والمنتجات، وحرم الفلسطينيون من الوكالة الأصلية للشركات العالمية، وتم ربط التجارة الفلسطينية بالتجارة الإسرائيلية (ألبرغوثي ، :2003: 19). وارتفع العجز التجاري نتيجة لانخفاض الصادرات الفلسطينية نسبة

إلى وارداتها، وشكلت الضفة الغربية ثاني أكبر مستورد للمنتجات الإسرائيلية بعد الولايات المتحدة الأمريكية (أبو عمشه ، 1989:29).

3 . 4 . 4 تدمير المؤسسات الفلسطينية

تعرضت كثير من المؤسسات الفلسطينية إلى الإغلاق المستمر، كالمراكز الثقافية، والنوادي الرياضية، والاجتماعية للشباب، وقد تحول الشبان إلى أنصاف أميين. وكذلك الحال تعرضت المؤسسات البلدية لهجمة عنيفة وتم إلحاقها بالحكم العسكري المباشر وتدخل الحكم العسكري في تعيين رؤساء للبلديات، وذلك بعد أن لجأ إلى تصفية رؤساء البلديات المنتخبين في العام 1980 وهم بسام الشكعة وكريم خلف وإبراهيم الطويل. لقد حددت الإدارة المدنية عمل رؤساء البلديات بالعمل كرئيس بلدية فقط وكل في مدينته دون التنسيق فيما بينهم لمناقشة الأوضاع السياسية (جازيت ، 2002 :239).

على صعيد المؤسسات الصحية، فقد أحكمت إسرائيل السيطرة على القطاع الصحي، واعتمدت سياسة توظيف غير صحيحة. وتم إدارة هذه المؤسسات من خلال ضابط عسكري، ولم تسمح بقيام أو فتح أي مستشفى في خلال هذه الفترة (ألبرغوثي ، 2003 :3)، فيما كان مستوى العناية الصحية منخفض جدا. لقد أوقفت السلطات مشاريع القطاع الخاص، ورفضت السلطات طلبا تقدم به الهلال الأحمر لإنشاء مستشفى رغم الموافقة المبدئية في العام 1986 إلا أنها عادت ومنعت إنشاء هذا المستشفى (أبو عمشة، 1987 :29).

أما المؤسسات الصحفية، فقد عملت تحت سلطة الرقيب العسكري، الذي كان يعمل بشكل دائم على منع الصحافة، وإغلاقها في كثير من الأحيان، وسحب التراخيص للصحف، ومنع توزيعها، وحظر نشر كثير من المواضيع، والاعتداء على الصحفيين، وتقييد حرياتهم، وإبعادهم وفرض الإقامة الجبرية عليهم (أبو إصبع ، 1998 :45). وحالت إسرائيل طيلة تلك الفترة دون فتح أي محطة تلفزيونية أو إذاعية، للتواصل مع المجتمع الفلسطيني .

وقد تعرضت المؤسسات في مدينة القدس إلى كثير من الإغلاقات المتكررة فقد أغلق مسرح الحكواتي أكثر من 14 مرة في الفترة ما بين 1983—1985 (أبو عمشه ، 1989 :48)، وتعرضت المؤسسات الاجتماعية، والجمعيات إلى الإغلاق المتكرر ومن ضمنها: جمعية الدراسات العربية التي كان

يرأسها فيصل الحسيني، والذي تحول إلى بيت الشرق فيما بعد، وأغلق تماما خلال إنتفاضة الأقصى بعد أن تم إقتحامه من قبل المستوطنين ، والجيش الإسرائيلي.

فرضت إسرائيل منذ احتلالها للأراضي العربية في العام 1948 حصارا شاملا على المؤسسات المصرفية العربية التي كانت موجود في فلسطين. وذلك عبر إغلاق كافة البنوك التي كانت تعمل في فلسطين قبل العام 1967، بينما عملت على افتتاح فروع للبنوك الإسرائيلية في الضفة والقطاع، وذلك للقيام بالأعمال المصرفية ذات الربح المضمون، واحتكارها، وبقيت البنوك العربية مغلقة حتى العام 1986 ، حيث تم افتتاحها وفق قيود وشروط صعبة (أبو عمشة ، 1989 :30).

مؤسسات أخرى كالنوادي الرياضية، ودور الثقافة، والمراكز الاجتماعية، والجمعيات تعرضت للإغلاق المتواصل، واشترطت إسرائيل على هذه المؤسسات عند طلب التراخيص موافقة ضابط الشؤون الاجتماعية والحاكم العسكري، وذلك من اجل الموافقة الأمنية على أعضاء هذه المؤسسات، مما أدى إلى شلل كامل في مؤسسات المجتمع المدني تحت الاحتلال.

3 . 4 . 5 تحطيم البناء الثقافي الفلسطيني

لقد عملت الصهيونية على تهميش العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص. وأن هؤلاء العرب هم ممثلون للأغيار، الذين تم وصفهم بأنهم ذئاب، وقتلة، ومتربصين، وبالمصطلح غوييم الذي تم الحديث عنه سابقا. ذلك ما لاحظه المفكر الصهيوني آحد هاعام (1856—1927)، بأن المستوطنين يعاملون العرب باحتقار وقسوة وأنهم متوحشون صحراويون (المسيري 2001 :91). وبالتالي، فإن اليهود الصهاينة ينكرون وجود أي هوية، أو أية مشاعر قومية، بل إنهم أطلقوا على العربي مصطلح العربي الغائب وهو ما يعني غياب أية حقوق للعربي غيابا تاما (المسيري 2001: 98).

منذ احتلال إسرائيل للأراضي العربية في فلسطين، سواء الأراضي التي احتلت في العام 1948 أو الأراضي التي احتلت في العام 1967، وهي تسعى إلى تحطيم البناء الثقافي الفلسطيني بجوانبه المختلفة، والتشكيك بالثقافة العربية، عبر استعمال موجات من العنف الثقافي، التي تهدف في نهاية الأمر إلى طمس الهوية الوطنية لصالح ثقافة الأخر، وحضارته، وتعمل باتجاهين الأول: يتمثل في إلغاء الثقافة العربية

الفلسطينية واستيعابها ضمن ثقافة الآخر، التي تتسم بالعدوانية، وفي نفس الوقت تعمل على تسهيل عملية ابتلاع الثقافة العربية الفلسطينية عن طريق التعايش المشترك مع الثقافة الفلسطينية كأي ثقافة أخرى في العالم. وبطبيعة الحال فإن البقاء للأقوى في هذه المواجهة .

ولتطبيق ذلك، فقد عمدت إسرائيل إلى الاستلاب الثقافي الحضاري الفلسطيني، وذلك للبرهنة على أن هؤلاء الفلسطينيين ليس لديهم ثقافة وحضارة، وأنهم لا يستحقون هذه الأرض تصديقا للمقولة التي تم الحديث عنها سابق، وهي أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. ولعل في دراسة جميل سلحوت عن المضمون الاجتماعي للقصة الشعبية الفلسطينية ما يشير إلى ذلك، فقد تعمد اليهود هذه السرقة، لإثبات أن الفلسطينيين ليسوا أكثر من مجرد لاجئين، وحينما طلب من 300 طالب وطالبة من الطلاب اليهود جمع قصص عن المستوطنين اليهود من قبل معهد بحث إسرائيلي ، إتضح أنه من بين 7000 قصة تم جمعها ، وجد أن جزءا كبرا منها هي قصص عربية فلسطينية. تم تغيير الأسماء فيها إلى أسماء يهودية، هذا ناهيك عن قطع الثياب والحياكة والتطريز، وخطوات الرقص الفلسطينية، والأغاني التي تسوق على أنها ألحان إسرائيلية وهي في حقيقتها فلسطينية (بنفيستي ، 2003 ، 342) ، وكذلك أقدمت إسرائيل على تقديم الطعام الفلسطيني، والملابس الفلكلورية في شركة الطيران الإسرائيلية، على أنها ابتكار وطني إسرائيلي (عبد الجواد، 1986 :11، وقهوجي ، 1988 :83). وفي ذلك يشير ايلان بابيه من جامعة حيفا أن الدولة اليهودية قد بنيت على أنقاض الشعب الأصلي في فلسطين، الذي دمرت سبل عيشه وبيوته وثقافته وأرضه بشكل منهجي (مصالحة ، 2003 :55).

وضمن سياسة تهويد الأرض ونزع الهوية العربية الثقافية عنها، أقدمت إسرائيل على تغيير الأسماء الجغرافية الفلسطينية، وقدمتها إلى المؤتمرات الجغرافية الدولية لتأخذ موافقتها عليها ثم ترسلها للهيئات الدولية والمنظمات الثقافية ودور النشر الجغرافية (شعث، :1986 :67). ونورد أمثلة على تغيير أسماء الأماكن والتلال العربية، والاستعاضة عنها بأسماء عبرية نابعة من التوراة، فعلى سبيل المثال موقع وادي الجنديس قد تم استبداله باسم " بئر أورا "، واسم عين ويبة، تم استبداله باسم نابع من التوراة وهو ياحاف (بنينيستي، 2001 : 49)، وكذلك مدينة أريحا باسم " يريحو "، وفي القدس تغير اسم باب الواد إلى "

نخشون". ومن المواقع الأثرية التي تم استبدالها في جنوب شرقي الرملة خربة عنابة تحولت إلى "عناقة "(شعث، 1986 :69).

لقد كان تدمير ثقافة المجتمع الفلسطيني، أحدى ثلاث جبهات اتبعتها الحركة الصهيونية في تدمير الهوية العربية الوطنية في فلسطين، كما عبر عنها شريف كناعنة في دراسته عن تدمير الهوية العربية الوطنية لفلسطين. تتمثل في تدمير وإزالة أكبر قدر ممكن من الأدلة التي يمكن أن تشير إلى وجود سابق للشعب الفلسطيني، ومجتمعة، وثقافته. واستقدام أكبر عدد من اليهود المهاجرين. ومنع عودة اللاجئين العرب إلى البلاد (بنفيستي (2001 :344).ولم تترد إسرائيل في سرقة الحفريات والآثار الفلسطينية، فمنذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام 1967 قامت بالاستيلاء على متحف الآثار الفلسطيني، وحولته إلى متحف آثار إسرائيلي، وسرقت عددا من المخطوطات الأثرية، أهمها: مخططات "لاشيش " ومخطوطات خربة قمران (الوحدة ، 1986 :27).

لقد فرض احتلال الأرض العربية الفلسطينية واقعا جديدا على الثقافة الفلسطينية، وهو ما هدد وحدتها، وذلك بانقسام وحدة المجتمع الفلسطيني إلى عدة وحدات اجتماعية منفصلة فيما بينها. حيث نشأت وحدات ثقافية متباعدة في غزة، والضفة، وفلسطينيي الشتات، الذين انقسموا بدورهم إلى وحدات أخرى لا اتصال فيما بينها، وآخرين بقوا لاجئين في وطنهم، ذلك بفعل النكبة والاحتلال الإسرائيلي في العام 1948 والعام 1967. وقد تأثرت الثقافة الفلسطينية بذلك وبقيت تعاني منه فترات طويلة وهو ما أدى إلى غياب الثقافة الفلسطينية الموحدة (محمد ، 2002 :76). نتيجة للتباعد فيما بين الثقافات التي تنتمي في نفس الوقت إلى أوساط مختلفة من المجتمعات التي عاش فيها **الفلسطينيون**.

لفصل الرابع

وسائل الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى

4. 1 تمهيد

4. 2 الأعلام الإسرائيلي

4 . 2. 1 صوت إسرائيل

4 . 2. 2 التلفزيون الإسرائيلي

4 . 2. 3 الصحافة في إسرائيل

4. 3 المنشورات والملصقات

4. 4 مكبرات الصوت والضجيج

4. 5 الجواسيس والعملاء

4. 1 تمهيد

لقد تم الحديث في الفصل الأول من هذا البحث عن وسائل الحرب النفسية التي تستخدم كأداة لشن الحرب النفسية، وقد ذكرنا سابقا ، أن الإعلام هو أحد الوسائل التي تستخدمها الحرب النفسية التي تهدف إلى تثبيط الروح المعنوية لدى الخصم، والعمل على تماسك الجبهة الداخلية ووحدتها، وكسب ودها الشعوب الأخرى وتعاطفها وتأييدها، أو وقوفها على الحياد كحد أدنى. وقد استخدمت إسرائيل وما زالت الإعلام كوسيلة هامة في حربها النفسية الموجهة ضد العرب والفلسطينيين منذ الربع الأول من القرن الماضي. في هذا الفصل سيتم الحديث عن وسائل الإعلام الإسرائيلية من إذاعة، وتلفاز وصحافة، والدور الذي لعبته هذه الوسائل في تغطينها للأحداث في انتفاضة الأقصى، سواء ما كان موجها منه نحو الخصم، أو لتعزيز صمود الجبهة الداخلية في إسرائيل، أو ما كان موجها إلى العالم الخارجي لكسب تأييده أو وقوفه على الحياد.

أما الجزء الثاني فسيتم التركيز على وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية، لجأت إليها إسرائيل في انتفاضة الأقصى، وهي المنشورات، حيث سيتم التركيز على اثر هذه المنشورات كوسيلة استخدمتها إسرائيل في حربها النفسية ضد الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى. في حين سيتم الحديث في الجزء الثالث من هذا الفصل عن دور مكبرات الصوت والضجيج، التي استخدمتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

ولعل أخطر وسائل الحرب النفسية الإسرائيلية التي لجأت إليها إسرائيل في صراعها مع الشعب الفلسطيني هو ما تعلق بالطابور الخامس من خلال الجواسيس والعملاء، حيث سيتم الحديث في الجزء الأخير من هذا الفصل عن أثر هذه الوسيلة من الحرب النفسية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى سواء ما تعلق الأمر بأثرها على المجتمع الفلسطيني أو أثرها على المعتقلين في داخل السجون الإسرائيلية.

4. 2 الإعلام الإسرائيلي

تعتمد الحرب النفسية في إسرائيل على جهاز إعلامي ودعائي نفسي منظم يتمتع بقدرة عالية من الوصول إلى الجهة المستهدفة بسهولة ويسر. فقد استطاع الإعلام الإسرائيلي التأثير على الجمهور الإسرائيلي، إضافة إلى التأثير على الرأي العام العربي والغربي خصوصا في انتفاضة الأقصى. ويعمل في هذا الجهاز عدد من الخبراء المختصين في وضع خطط الحرب النفسية الشاملة، والتكتيكية. وما يميز

وسائل الإعلام في إسرائيل هو ارتباطها بالحرب النفسية من جهة، وبين العمل الدبلوماسي والأداة العسكرية من جهة أخرى، إضافة إلى تكامل المركزية الصارمة مع الفردية والمرونة في التنفيذ مما يجعل لـــدعايتهم فعالية مميزة (نوفل ، 1986 :166). ويتميز الإعلام الإسرائيلي بمزايا أخرى منها التركيز على هدف معين، والعمل على تكراره طوال الوقت، وهو ما يلاحظـــه المســـتمع لإذاعـــة صـــوت إســـرائيل باللغـــة العربية.إضافة إلى استخدامه التوقيت المناسب لإطلاق الحملات الدعائية بعد تهيئة الجمهور، واعتمـــاده في وسائل الإعلام على نسبة معينة من المصداقية، يعمل من خلالها على كسب ثقـــة المســـتمع، والقيـــام بالهجوم أو ما يسمى بالسبق الصحفي، قبل تفاعل الخبر في وسائل الإعلام الأخرى، وأخيـــرا فـــي صـــفة التكامل على مستويين: الأول يتعلق بتأكيد الشرعية الإسرائيلية أما الثاني فيتعلق بتشـــويه منظـــم لســـلوك الخصم (المصري ، 2004 :98).

وحتى تتضح أنماط عمل أجهزة الإعلام الإسرائيلية واستخدامها في الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى، نعرج قليلا على الأجهزة الرسمية التي تشرف على الإعلام الـــدعائي النفســـي، ســـواء كـــانت مسموعة، آو مرئية، أو مقروءة. ومن هذه الأجهزة وزارة الخارجية، والتي يكون جمهورها المستهدف هـــو الرأي العام الخارجي، وذلك عن طريق السفارات المنتشرة في العالم. وقسم الإعلام في وزارة الخارجية والذي بدوره ينقسم إلى قسم المعلومات ووسائل الاتصال، وقسم المعلومات والانـــترنت، وقســـم الصـــحافة، ومكتب الناطق باسم الحكومة (أبو عرقوب ، 2003 : 39). أما فيما يتعلق بالجمهور المســـتهدف مـــن الفلسطينيين في الداخل فتتم تغطيته مباشرة من وزارة الدفاع، بينما تشرف وزارة الإعلام التابعة لمجلـــس الوزراء على الجمهور المستهدف من الإسرائيليين في الداخل، أو ما يسمى بـــالتعبئة الداخليـــة (الـــدباغ، 1986 :27). ويشير أمل جمال في دراسته عن الإعلام في إسرائيل أن الإعلام الإســـرائيلي هـــو إعلام تعددي ينشر ويبث ما يريده المشاهد من وجهات نظر مختلفة، ولكن يخضع الإعلام إلى تحـــالف قـــوتين أساسيتين هما: أصحاب رؤوس الأموال، والنخب السياسية والأمنية التي تسيطر عليها المؤسسات الرســـمية المركزية وتسن القوانين وفق ما ترى أنه مصالح إسرائيلية (جمال ، 2005:2)

تستهدف الحملة الدعائية النفسية الإسرائيلية مجموعة من الأهداف أهمها محاولة التأثير على الـــرأي العام العالمي، والتأثير على القادة السياسيين في العالم، وبالتحديد لمراكز صنع القرار، والعمل علـــى تشـــويه

الحقائق لتصبح حقيقة في الإعلام الإسرائيلي، والتقليل من حجم المصاعب التي تواجهها الجاليات اليهودية في الخارج، بسبب النشاطات التي تقوم بها إسرائيل في معالجتها للأحداث في فلسطين، إضافة إلى الرد على الدعاية العربية والفلسطينية وهو ما يسمى في الحرب النفسية"بالدعاية المضادة "(أبو عرقوب ، 2003 :39).

لقد تزايد تجنيد وسائل الإعلام الإسرائيلية منذ مفاوضات كامب ديفيد الثانية لصالح المؤسسة السياسية والعسكرية في إسرائيل، وذلك بالعمل وفق نظام الطوارئ، فمن الإذاعة والتلفزيون الإسرائيلي، وباللغات العربية والعبرية والإنجليزية إلى الصحف المتعددة: كصحيفة هآرتس، ومعاريف، ويديعوت احرنوت، وجيروزاليم بوست، وصحيفة حدشوت. إضافة إلى عدد كبير من المؤسسات الإعلامية الرسمية والخاصة التي تعمل في داخل إسرائيل وخارجها وبشكل منظم.ويذكر شلومو زند المحاضر بقسم التاريخ بجامعة تل ابيب، "أن معظم المراسلين والمذيعين في إسرائيل، ومنهم محرر الشؤون العربية في التلفزيون الإسرائيلي القناة الأولى العبرية أيهود يعاري، قد بدأوا يتكلمون بلهجة غير حيادية"، ويقول أيضا " إن معظم المراسلين والمذيعين في الراديو والتلفزيون يتحولون إلى محرضين، إنهم ملتصقون بجهاز الدولة (هارتس 27/10/2000).

وحسب العمليات العقلية النفسية من تبرير وتحويل، واستعلاء، وتهويل، وتضليل، فقد نشط الإعلام الإسرائيلي في هذا المجال.فعلى صعيد التبرير، لجأت وسائل الإعلام الإسرائيلية إلى تبرير عمليات العنف في انتفاضة الأقصى بمصطلحات مثل القتل المستهدف، (عوض، 2006:65) والدفاع الايجابي. إن ذلك يصور عمليات الاغتيالات والقتل وتدمير المباني السكنية دفاعا عن النفس ضد الإرهاب الفلسطيني (المصري، 2004 :131). وفيما يتعلق بالتبرير أيضا فالأمر يتعلق بتجريم الضحية، أو لوم الضحية لتبرير الاستخدام المفرط للعنف من قبل الإسرائيليين، يبدو ذلك واضحا عندما ذكرت وسائل الإعلام الإسرائيلية من أن الفلسطينيين يستخدمون الأطفال في المواجهات العنيفة مع الإسرائيليين، وذلك إشارة إلى مقتل الطفل محمد الدرة في غزة (هارتس ، 2000، 11، تشرين أول). وقد حاولت الدعاية الإسرائيلية وأجهزة أعلامها بداية تبرير قتل الطفل الدرة بأيدي فلسطينية، أو ما قيل أنه كان مشاغبا و مؤذيا جلب الموت لنفسه. أو ما تردد من عبارة "ماذا كان يفعل هناك". تلك الحيل التبريرية النفسية التي لجأ إليها الإعلام الإسرائيلي في بداية إنتفاضة الأقصى للتغطية على عمليات القتل (صوان، 2002 :37).

وفيما يتعلق بالاستعلاء، أو التسامي، فقد تعامل الإعلام الإسرائيلي في انتفاضة الأقصى من منطق الاستعلاء الحضاري، وأن الصراع هو صراع حضارتين، حضارة متنورة وهم الإسرائيليون، وحضارة متخلفة وهم الفلسطينيون (كبها ، 2001 :122). إن ذلك ينعكس على المقابلات التلفزيونية التي تجريها القناة الفضائية الإسرائيلية مع الفلسطينيين كطرف ضعيف، ومن خلال لغة الإعلام المهيمن تتم هذه اللقاءات بطريقة استعلائية واستفزازية وهجومية.(عوض ، 2006 :96). ويرى الباحث أن ذلك يتفق مع أسطورة شعب الله المختار، وأسطورة التفوق النوعي لليهود.

أما بخصوص التهويل، فقد لجأت وسائل الإعلام الإسرائيلية إلى التعبئة باستخدام اسلوب التهويل، لأحداث انتفاضة الأقصى لإدخال الرأي العام الإسرائيلي في دوامة من الخوف والتوتر، وخاصة من الأحداث التي وقعت داخل فلسطين المحتلة عام 1948.وعلى سبيل المثال تحدثت التقارير الإعلامية الإسرائيلية أن بعض الطرق مغلقة في داخل فلسطين 1948 لأسباب مخلة بالنظام دون أن يكون هناك مبرر لذلك، والهدف هو التعبئة للشارع الإسرائيلي ضد أبناء الشعب الفلسطيني عام 1948(كبها، 2001 :124).

أما عملية التضليل في الإعلام الإسرائيلي فيتم ملاحظتها من خلال حجب الأسباب الحقيقية للنزاع عير خضوع الحقيقة لعمليات متعددة من الحذف والرقابة والفلترة والإضافة (عوض 2006 :64). وقد لجأ الإعلام الإسرائيلي إلى التضليل عندما بدأت وسائل الإعلام الإسرائيلية الحديث عن "عرض باراك السخي"، وبشكل تم تحويله إلى أسطورة رفضها الفلسطينيون.

اعتمدت وسائل الإعلام الإسرائيلية في حربها النفسية ضد الفلسطينيين على مبدأ واستراتيجية ضرب مصداقية الخصم، واعتبر هذا المبدأ من الثوابت في سلوك القائمين على الحرب الإعلامية النفسية، وذلك من خلال الضغط على الصحفيين والتضييق عليهم، ومنعهم من قول الحقيقة. ومن ذلك ما ركزت عليه وسائل الإعلام الإسرائيلية من صور للفساد في السلطة الفلسطينية، والعمل على تكراره وتضخيمه، ونزع الشرعية عن ياسر عرفات لرفضه "عرض باراك " في مفاوضات كامب ديفيد (ريفبورز ، 2006 : 4).

جانب أخر من جوانب الحرب النفسية الإسرائيلية التي خاضتها وسائل الإعلام، وهي نزع الصفة الإنسانية عن الخصم تمهيدا لإبادته، ولذلك تعاملت وسائل الإعلام الإسرائيلية مع الفلسطينيين بالطريقة

نفسها، وذلك من خلال التحريض، ووصف الفلسطينيين بالأشرار أثناء التغطية الإعلامية لأحداث الانتفاضة (عوض ، 2006 : 94). لقد استغلت الدعاية الصهيونية وأجهزة إعلامها بشكل كبير حادثة دخول جنود من الوحدات الخاصة الإسرائيلية إلى مدينة رام الله للقيام باغتيال أو" اعتقال مطلوبين"، صورت أجهزة الإعلام الإسرائيلي والدعاية الصهيونية الشعب الفلسطيني بأنهم عبارة عن قتلة وذئاب ووحوش لا قيمة أخلاقية لديهم، وقد وزعت الدعاية الصهيونية شريطا مصورا عن العملية على وسائل الإعلام الأجنبية، وفي ذلك وصف الحاخام عوفاديا بن يوسف أن العرب عبارة عن أفاع وحيوانات، ندم الله على خلقهم. وفي الفترة الأخيرة لحياة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وأثناء حصاره في المقاطعة بمدينة رام الله، صورته وسائل الإعلام الإسرائيلية بأنه شيطان، بينما شارون تم تصويره على أنه شخص، حمل وديع، وفي ذلك كتب رامي ايدليس وهو صحفي إسرائيلي يساري:

"لقد فقد الإعلام كل ذرة من موضوعية في تغطية أحداث الانتفاضة، وسائل الإعلام والصحفيون الإسرائيليون يندفعون نحو الإجماع الوطني الكاذب والمضلل، تقاريرهم تزخر بما يرضي الغوغاء التي يروق لهم تصوير الثور الهائج شارون في صورة حمل وديع، وعرض عرفات في صورة شيطان".(عفيفة ، 2003 :2).

وفي المقابل فإن خبراء الحرب النفسية في إسرائيل يرون أن إسرائيل ما زالت مترددة ومتخبطة في أخلاقيات الدعاية حيث يرى رون شلايفر أنه باستثناء عملية قتل الجنود في رام الله، لم تشاهد هناك أي صور مفصلة عن الأحداث في الإعلام الإسرائيلي. بينما يدافع عن صور جمجمة الطفلة اليهودية (شلهيفت بس) التي عرضت في التلفزيون الإسرائيلي بأنها مبادرة خاصة ولم تكن من الحكومة الإسرائيلية (شلايفر ، 2003 ، 12).

حاول الإعلام الإسرائيلي ومنذ بداية اندلاع الانتفاضة، التأثير على الرأي العام العالمي والعربي، وتصوير أن ما يحدث على الأرض ليس إلا مواجهة مسلحة مع مجموعة من الفلسطينيين، وليست موجهه إلى شعب أعزل (المصري، 2004، 115)، وذلك بعد ان اقنع المجتمع الإسرائيلي والمجتمع الدولي بأن الفلسطينيين قد فوتوا فرصة حقيقية للسلام مع عرض باراك للسلام.

استغلت الدعاية الإسرائيلية والإعلام الإسرائيلي أحداث 11 أيلول 2000 وخطاب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، الذي أعلن فيه عن منظمة حماس وحزب الله كمنظمات إرهابية، كتبرير لممارسة

عمليات القتل ضد الفلسطينيين في الانتفاضة، وذلك عن طريق ربط حركة طالبان والقاعدة بالفلسطينيين، وأن ما تتعرض له تل ابيب تتعرض له واشنطن، وقد قاد بنيامين نتنياهو حملة دعائية خارج فلسطين للمقارنة بين بن لادن والفلسطينيين (بدير 2003 :90).

وهنا يجدر استعراض بعض المواد الإعلامية التي تم عرضها من خلال صوت إسرائيل باللغة العربية، والقناة الفضائية الإسرائيلية "القناة 33، اضافة إلى الصحافة الإسرائيلية، ودورها في الحرب النفسية الموجهة إلى الفلسطينيين من خلال وسائل الإعلام، للتأثير على الفلسطينيين خارجيا وداخليا وعلى الجمهور العربي في الدول العربية المجاورة. ذلك لا يعني إهمال الجانب النفسي للإعلام الإسرائيلي باللغة العبرية، وأن هذا الإعلام يهدف إلى التعبئة المعنوية للجمهور الإسرائيلي في الداخل، إضافة إلى دوره في أضعاف الروح المعنوية للفلسطينيين.

4 . 2 . 1 إذاعة صوت إسرائيل

وتعمل هذه الإذاعة في إسرائيل منذ العام 1940 باللغة العبرية ونشأت شبكات بث أخرى باللغة العبرية، إضافة إلى شبكة" د "للبث باللغة العربية، والتي تم توجيهها للسكان العرب في إسرائيل في ذلك الوقت ، والعالم العربي أجمع، وأصبحت موجهة أيضا إلى سكان الضفة الغربية فيما بعد الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية في فلسطين عام 1967. وقد اعتبرت المحطة الأكثر رواجا بين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وتعمل الحرب النفسية من خلال نشرات الأخبار والبرامج الموجهة باللغة العامية وباللهجات المختلفة المصري، والسورية، والعراقية، والفلسطينية، وعبر استخدام الأقوال المسجلة للزعماء، والقادة السياسيين العرب. كذلك وفي أوقات الحرب تختص هذه الإذاعة بتوجيه النداءات والبيانات الموجهة إلى الخصم لإضعاف الروح المعنوية لديه (نوفل، :1986).

هناك نموذجان لصوت إسرائيل باللغة العبرية والعربية في انتفاضة الأقصى. بينما يعمل صوت إسرائيل باللغة العبرية على تعبئة الجبهة الداخلية لليهود من خلال القيام بحملة دعائية موجهة لليهود في إسرائيل، وجميع أنحاء العالم، وذلك عن طريق نقل رسالة واضحة، بأن إسرائيل قدمت تنازلات تاريخية مؤلمة، وأن الفلسطينيين قابلوا هذه التنازلات بأعمال إرهابية من خلال الانتفاضة.وبالتالي وفرت غطاء الشرعية لردة فعل الجيش الإسرائيلي والساسة الإسرائيليين على انتفاضة الأقصى، التي تطلق عليها

وزارة الخارجية الإسرائيلية مصطلح" انتفاضة الإرهاب". فقد عمل صوت إسرائيل باللغة العربية في العام 2000 من خلال تعليمات واضحة يتوجب على المراسلين إتباعها وهي: عدم إعطاء الشرعية لأعمال المقاومة التي يقوم بها الفلسطينيون في انتفاضة الأقصى وربطها "بالعمليات الإرهابية"، كما اتفق على تسميتها(جمال ، 2005 :132-134).

إن أسلوب إثارة الفتن والتضليل، في الحرب النفسية ضد الخصم، يتم استخدامه من أجل تحطيم معنوياته، وبذر بذور الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد. ونورد هنا بعض الأمثلة من المواد الإخبارية التي تمت إذاعتها في صوت إسرائيل باللغة العربية.فقد ورد بتاريخ 4/09/2001 وعلى لسان المراسل يعقوب عزرا عبارة " على صعيد حرب الفلسطينيين ضد فلسطينيين آخرين مشبوهين بالتعامل مع إسرائيل وتصفيتهم منذ حوالي عام على بداية الانتفاضة بدعم مختلف الفصائل الفلسطينين، وتغطية من الأجهزة الأمنية الفلسطينية، كان آخر هذه التصفيات ارتكب بحق فلسطيني من سكان....". أما عن صواريخ القسام، فقد ركز صوت إسرائيل على عليها باعتبارها صواريخ عابرة القارات، وذلك من أجل تبرير استخدام إسرائيل للأسلحة المتطورة والفتاكة في ردها، مع علمها الأكيد أن هذه الصواريخ ليست إلا مواسير حسب شهادة الفلسطينيين أنفسهم، حتى أن مراسلا أجنبيا يعمل لصحيفة الاندبندت البريطانية وصفها بأنها أنها قديمة جدا واستخدمت من قبل الفلسطينيين في الماضي. (أبو رزق ، 2002 : 6). ومن الأمثلة الأخرى التي ما ورد في إذاعة صوت إسرائيل، أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يعارض مد السلطة الفلسطينية بأسلحة لتفريق المظاهرات مما اضطر أحد المسؤولين الفلسطينيين إلى نفيه، وأن الهدف منه إثارة الفتنة ودق إسفين بين الشعب الفلسطيني، وكان الأمر جزءا من الحرب النفسية الإسرائيلية. (أبو رزق ، 2002 : 7).

وضمن سياسة إثارة الفتن أيضا بين أبناء الشعب الواحد كأسلوب للحرب النفسية، بثت إذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية بتاريخ 8/04/2001 خبرا جاء فيه:

" قتل صباح اليوم في مدينة طولكرم عبد اللطيف فريج الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية من سكان مدينة الخضيرة، ووصل المغدور صباح اليوم إلى طولكرم لزيارة شقيقه، حيث تعرض لإطلاق النار من قبل ملثمين "، وتعقيبا على عملية القتل قال الناطق بلسان شرطة يهودا والسامرة أن هذا الحادث يثبت مرة أخرى عدم

دخول المواطنين الإسرائيليين إلى مناطق السلطة الفلسطينية لوجود خطر على حياتهم". (صـــوان ، 2002 ، 41).

يهدف هذا الخبر إلى زرع بذور الفتنة بين أبناء الشعب الفلسطيني، ذلك أن هذا القتيل كان متهما بالتعامل مع إسرائيل منذ الانتفاضة الأولى وهرب إلى داخل إسرائيل، ذلك ما يصوره صوت إسرائيل بأنه فلسطيني يحمل الجنسية الإسرائيلية قتل لأنه دخل إلى مدينة طولكرم(صوان ، 2002 :41).

4 . 2 . 2 التلفزيون الإسرائيلي

بدأ البث في التلفزيون الإسرائيلي في أعقاب حرب حزيران 1967، وذلك كرد على الدعاية العربية التي كانت قد بدأت البث التلفزيوني منذ وقت مبكر من أواسط القرن الماضي، حيث تم تخصـــيص ثلاث ساعات للبث باللغة العربية من أصل أربع ساعات، هي مجموع ما يبثه التلفزيـــون الإســـرائيلي فـــي ذلـــك الوقت(جمال ، 2005:141).وذلك لتوجيه الدعاية الإسرائيلية إلى الفلسطينيين في داخـــل إســـرائيل والـــدول العربية المجاورة إلى أن أصبح البث باللغة العبرية مع ترجمة باللغة العربية.وتدريجيا تناقص البث باللغـــة العربية ليصبح أقل من ساعتين. ومن أجل تعزيز الدعاية الإسرائيلية عن طريق التلفزيون، تم إنشاء الفضائية الإسرائيلية باللغة العربية وذلك بتاريخ 25 حزيران 2002، من أجل وصول الدعاية الإسرائيلية إلى مختلف أنحاء العالم ومنها العالم العربي، إضافة إلى أن إنشاء هذه القناة قد تم بعد اجتياح إسرائيل للضـــفة الغربيـــة وبعد إجهازها على البنية التحتية الفلسطينية، عبر إعادة تشكيل الوعي العربي وتطويعه.

لقد قام التلفاز الإسرائيلي ببث مباشر لمشاهد الإسرائيليين وهم يجهزون عـــدتهم وعتـــادهم بهدف اجتياح قطاع غزة، وذلك من أجل بث الرعب وإضعاف المعنويات لدى السكان في قطاع غزة، عبر تتابع الأخبار وتكرارها بشكل متواصل والحديث عن عملية عسكرية واسعة النطاق فـــي قطـــاع غزة (أبو رزق، 2002 : 11). وقد تم نقل ذلك عبر المحطات الفضائية منه والى جميع أنحاء العالم بما فيهم الفئة المستهدفة من الشعب الفلسطيني، لبث الرعب والفزع في صفوفهم . وقد تكرر هذا المشهد في الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني في العام 2006.

في مجزرة جنين، قام التلفزيون الإسرائيلي وبناء على تعليمات من الناطق بلسان جيش الاحتلال الإسرائيلي، بعرض صور لمشهدين، : الأول، لمختبرات تصنيع مواد متفجرة وأسلحة، وذلك لتوجيه رسالة إلى العالم بأن الفلسطينيين ليسوا مدنيين، وإنما هم عسكريون يقومون بتصنيع الأسلحة. والمشهد الثاني، أن الفلسطينيين قد رفضوا إخلاء الجثث من المخيم بهدف إظهار الصور كجرائم حرب (عواد ، 2004 : 102).وهذا المشهد يتعلق بنزع الصفة الإنسانية عن الخصم كوسيلة للحرب النفسية.

جانب آخر من جوانب الحرب النفسية التي استغلها التلفزيون الإسرائيلي، من خلال التلاعب بالصور التلفزيونية، للتأثير على الجمهور المستهدف داخليا وخارجيا، تم عرض صور لتشيع جثمان طفلة يهودية قتلت بالخليل، نقلها التلفزيون الإسرائيلي بتاريخ 1/04/2001 مع تقرير مطول رافقه صور أشخاص وهم يبكون، إضافة إلى ما ذكره مراسل المحطة عن والد الطفلة الذي كان قد أصيب بالانتفاضة، وهو يجلس على كرسي متحرك(صوان،2002: 45). والنموذج الثاني كان بتاريخ 30/04/2001 وأثناء اغتيال حسن القاضي، فقد تجاهل التلفزيون الإسرائيلي قتل طفلين شقيقين في الحادث، واكتفى المراسل بالقول أن ثلاثة أشخاص قتلوا بالانفجار وتجاهل انتشال الأطفال من تحت الأنقاض. وفي اليوم التالي بث التلفزيون الإسرائيلي صورا للمسلحين الفلسطينيين أثناء الجنازة، وقد عمد التلفزيون في كثير من الأحيان إلى بث صور مطولة عن الجرحى الإسرائيليين، فيما تجاهل الأطفال الفلسطينيين الجرحى والقتلى منهم(صوان ، 2002 :45).

أسلوب التضليل وإثارة الفتنة بين الفلسطينيين أنفسهم، كأسلوب للحرب النفسية كان له نصيب وافر في التلفزيون الإسرائيلي، وذلك فيما يتعلق بإثارة الفتنة بين حركة حماس من جانب، وفتح والسلطة الفلسطينية من الجانب الآخر. فقد ورد في أخبار التلفزيون الإسرائيلي بتاريخ 6/12/2001 الخبر التالي " مقتل أحد نشطاء حماس على يد أفراد من الشرطة الفلسطينية، ومقتل أحد نشطاء فتح في اشتباك مع قوة إسرائيلية ". أو ما ورد من خبر في التلفزيون الإسرائيلي وفي نشرة أخبار الساعة السابعة مساء " عقد اجتماع بين قادة أمنيين إسرائيليين وفلسطينيين " ثم يتابع، ومن جانب آخر اعتقلت الشرطة الفلسطينية عددا من نشيطي حماس في بيت لحم ". إن ترتيب الأخبار بهذه الطريقة يوحي بأن السلطة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي يعملان وفق أهداف مشتركة، يؤثر نفسيا على الشعب الفلسطيني وتعمل على إذكاء

الفتنة بينهم (أبو رزق، 2002 :6).ومن الأمثلة الأخرى التي استخدمها التلفزيون لإثارة الفتن والتشكيك بجدوى استمرار الانتفاضة، والضغط النفسي على الشعب الفلسطيني باستغلال الحاجات الفسيولوجية الأساسية، مـــا أورده التلفزيون الإسرائيلي عن" خطة الفصل" وتأثيراتها على الفلسطينيين وأنها تسبب خسائر بما يعادل 800 مليون شيكل، وأن إسرائيل تبحث في استبدال العمال الفلسطينيين بالأجانب. وبتاريخ 5/12/2000 ورد في مستهل النشرة الإخبارية الساعة السابعة مساء: " يستدل من معلومات أن وزراء المالية العـــرب رفضـــوا الاستجابة لطلب ياسر عرفات بتحويل المساعدات العربية للسلطة الفلسطينية " (المصري، 2004 : 129).

أما الإشاعة كأسلوب من أساليب الحرب النفسية الإسرائيلية، فقد استخدم التلفزيون الإســـرائيلي الإشاعة المغرضة، التي تهدف إلى تثبيط العزيمة، وخلق حالة من البلبلة. وبغض النظر عـــن دقـــة هـــذه الإشاعة، فقد استخدمها التلفزيون الإسرائيلي بهدف الفرقة، ومن ذلك ما أذاعه التلفزيون الإسرائيلي بتاريخ 18/04/2002 من أن أغلب أموال الضرائب التي أرسلت للفلسطينيين سابقا، حـــولت لحســـاب عرفـــات الشخصي"، وكذلك ما ورد في تلفزيون إسرائيل بتاريخ 23/04/2002 " أن ثلـــث عـــائلات المســـؤولين الفلسطينيين سافرت للخارج منذ بداية الأحداث " (أبو رزق، 2002 :7).

لقد عمل التلفزيون الإسرائيلي على تعبئة الجمهور الإسرائيلي ضد الفلسطينيين من خلال بـــث صـــور للشبان الفلسطينيين وهم يطلقون النار ويعدون الزجاجات الحارقة، وكذلك، إظهار صورة الفلسطينيين الـــذي يقومون برفع الأعلام العراقية، وأعلام حزب الله(المصري، 2004 : 132). لقد هدفت إسرائيل من خلال ذلك إلى تحريض الرأي العام الإسرائيلي والعالمي ضد الفلسطينيين مما يمهد الطريق إلى القيام بحملة عســـكرية واسعة النطاق ضد الفلسطينيين في ظل تحييد الرأي العالمي (صوان ، 2002 :45).

أسلوب افتعال الأزمات والتخريب، كان واضحا في التلفزيون الإسرائيلي كجزء من الحـــرب النفســـية ضد الفلسطينيين، وذلك عبر استغلال عمليات التفجير في نيويورك وواشنطن في 11 أيلول 2001، فقـــد نقلت محطات التلفزة الإسرائيلية وعلى اختلاف قنواتها، ولمدة ثلاثة أيام متتالية، بعض الصـــور لمـــواطنين فلسطينيين وهم يوزعون الحلوى ويرقصون احتفالا لما حدث في أمريكا (أبو رزق، 2001 : 11). لقد هدفت إسرائيل من خلال ذلك إلى تذكير الولايات المتحدة الأمريكية بـــأنه لا يوجـــد فـــرق بيـــن الفلســـطينيين والإرهابيين.وقد عززت الدعاية الإعلامية الإسرائيلية موقفها بعد حادثة السفينة" كارين إيه" والتي تم ضبطها

محملة بالأسلحة أثناء إبحارها في البحر الميت، حيث استغل التلفزيون الإسرائيلي هذه الحادثة، وقام ببث صور ولقطات مصورة لكميات كبيرة من الأسلحة، تم عرضها في مدينة ايلات، وقد استمر عرضها لمدة أربعة أيام متتالية لإلصاق صفة الإرهاب بالسلطة الفلسطينية وتحديدا ضد ياسر عرفات (مناع: 2004، 89).

4 . 2 . 3 الصحافة في إسرائيل

أما الصحافة في إسرائيل فقد استخدمت كوسيلة أخرى للحرب النفسية وهي تصدر بلغات مختلفة كاللغة العبرية، والعربية، والروسية، والإنجليزية، وأهم هذه الصحف ، هارتس، ويديعوت أحرنوت، ومعار يف، وصحيفة حدشوت، وغيرها، وقد عملت الصحافة جنبا إلى جنب مع وسائل الإعلام الأخرى لتغطية أحداث انتفاضة الأقصى ، وتم تجنيد الصحافة خلال سنوات انتفاضة الأقصى لصالح المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وذلك من خلال ما اتبعته من تسريبات خطيرة تتضمن قدرا من الحقيقة لتضليل وبلبلة الشارع الفلسطيني واستغلال الثغرات الموجودة فيه.

استخدمت الصحافة الإسرائيلية عددا من أساليب الحرب النفسية المختلفة، للتأثير على سلوك الخصم، والقيام بتعبئة معنوية داخلية، فقد عمدت هذه الصحافة على القيام بأساليب متعددة من الخداع، والتشويه، والتحريف، ونزع الصفة الإنسانية عن الخصم، والإهانة، والتحرش، وذلك لإثارة الفتنة في صفوف الخصم(عوض 2006 :46-47). وبذلك تحولت الصحافة في إسرائيل في هذه الانتفاضة إلى صحافة مجندة في عدم نقد الحكومة وإلصاق صفة الإرهاب بالفلسطينيين.

قبل بداية الانتفاضة لجأت الصحافة في إسرائيل إلى تهويل عرض باراك السخي إلى السيد ياسر عرفات في كامب ديفيد، وهو ما سيتم الحديث عنه في الفصل القادم من هذا البحث. وفي أثناء الانتفاضة نشطت الصحافة في تعبئة الجمهور في إسرائيل، وفي إثارة الفتنة بين الفلسطينيين. فقد أوضح "عوزي بنزيمان " في صحيفة هارتس بتاريخ 8/10/2001 " تتمنى إسرائيل الرسمية حربا أهلية فلسطينية تؤدي إلى تدمير البنية التحتية للإرهاب، واعتقال قادته، وترى في ذلك شرطا لتهدئة المواجهة المسلحة والعودة إلى الحوار السياسي (أبو رزق :2002، 6).

عملت الصحافة الإسرائيلية على استثارة المشاعر الإنسانية، من خلال تسليط الضوء على العمليات الفدائية التي كانت تجري داخل إسرائيل في الانتفاضة، وذلك بهدف خلق حالة من الغضب لدى الجمهور الإسرائيلي، إضافة إلى التعاطف معه سواء داخليا أو خارجيا، وهو ما اعتبر جزء من الحرب النفسية قادتها الصحافة الإسرائيلية، فعلى سبيل المثال: في العملية الفدائية التي وقعت في منتصف شهر تشرين الثاني من العام 2002، والتي قتل فيها أطفال إسرائيليون أوردت صحيفة هارتس بتاريخ 12/11/2002، صورة للأب وهو يبكي بلوعة ويقول " كيف يمكن لأحد أن يطلق النار على طفل، وذلك عبر الصفحة الأولى وفي الافتتاحية، ولاستثارة المشاعر الإنسانية تسرد هارتس القصة لتقول: " وفوق جثث القتلى على احد رفوف الغرفة، بقيت ثلاث صور للأولاد وهم يضحكون، والى جانب الصور دمى لدب وسيبدرمان، وفي المقابل أوردت هذه الصحيفة خبرا عن مقتل طفل فلسطيني عمره عامين في رفح بعنوان صغير أثناء تبادل لإطلاق النار بين الفلسطينيين والإسرائيليين (منصور ، 2003 90).

الإشاعات الغاطسة التي تم الحديث عنها سابقا، كانت حاضرة في الصحافة الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، وهي محاولة لتذكير اليهود بكارثة الهولوكست من قبل النازيين في ألمانيا، وربطه بالإرهاب الفلسطيني الإسلامي في فلسطين، ومحاولة استغلاله عالميا ضد الفلسطينيين. ومثال ذلك: ما كتبه اريه شفيط في صحيفة هارتس بتاريخ 19/01/2003 " يهود إسرائيليون شعروا أن المصير اليهودي عاد ليقرع أبوابهم ". أما عن استخدام السخرية والاستهزاء في الحرب النفسية ، فقد لجأت إليه الصحافة الإسرائيلية خلال الانتفاضة، وذلك في عدة مجالات منها الاستهزاء بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، فقد كتب أمير اورون عن ياسر عرفات في صحيفة هارتس بتاريخ 26/11/2002 أنه القائد الوحيد الذي لم يخسر المعركة "وكذلك ما نشرته صحيفة يديعوت احرنوت بتاريخ 6/01/2003 " يتمتع ياسر عرفات ببوليصة تأمين أمريكية بأن لا يصاب بضرر أو أذى إلى ما بعد انتهاء الحرب مع العراق " (منصور ، 2003 : 94).

نزع الصفة الإنسانية عن الخصم لجأت إليها الصحافة الإسرائيلية، وذهبت إلى حد تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم فهذه جولدمائير تقول " لن أسامح الفلسطينيين لأنهم يجبرون جنودنا على قتلهم، ذاك ما يعرف بلوم الضحية وإحاطة الإسرائيلي بهالة من القداسة "(صوان ، 2002 :36). وفي حادثة مقتل الطفل محمد الدرة، ورد في صحيفة هارتس بتاريخ 11 تشرين أول 200 " عبر الناطق باسم جيش

الدفاع عن أسفه للهجوم على الطفل محمد الدرة. وأكد الناطق الرسمي باسم الجيش مرة أخرى استخدام السلطة الفلسطينية للأطفال على الجبهة في المواجهات العنيفة، التي تتضمن المولوتوف، والذخيرة الحية. (ريناوي 2002 :75) وما ورد في صحيفة هارتس بتاريخ 3 أكتوبر 2000 " لقد تشجع ياسر عرفات كثيرا بالمظاهرات داخل إسرائيل، التي نجم عنها الكثير من الضحايا في صفوف العرب الإسرائيليين، وهو يعتقد أن بإمكانه أن يكسب كثيرا من تدهور الأوضاع، فهو ليس في عجلة من أمره بشأن وقف إطلاق النار. يأتي أسلوب نزع الصفة الإنسانية عن الخصم في الصحافة الإسرائيلية، لتشريع كل رد إسرائيلي على الانتفاضة الفلسطينية، وذلك عبر إقناع الإسرائيليين بأن أمنهم في خطر، وأن الكيان الإسرائيلي معرض للزوال، وفي حالة من الحصار (اغبارية، 2005 :16).

4. 3 المنشورات والملصقات

من البيانات والمنشورات ما يتخذ طابع السرية، لما تقتضية طبيعة الظروف التي يتطلبها الوضع الأمني للقائمين على نشر هذه البيانات والمنشورات، كما كان الوضع قبل العام 1987، إلا أن هذه الوسيلة تحولت إلى شبه علنية في الانتفاضة الأولى، وأصبحت جزءا من إعلام الانتفاضة كبديل للأجهزة الإعلامية التي لم تكن متوفرة لدى القيادة الوطنية للانتفاضة. وقد لوحظ التجاوب الكامل من قبل فئات المجتمع الفلسطيني مع هذه البيانات والعمل بموجبها، وتقيد كامل بمواعيد النشاطات والاضرابات في ظل الانتفاضة الأولى.

لقد استخدمت المنشورات في انتفاضة العام 1987، لتفكيك وحدة المجتمع الفلسطيني، والحد من نفوذ القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، ولجأت إسرائيل إلى القيام بتوزيع بيانات مشابهة لبيانات القيادة الوطنية الموحدة لتحقيق أهداف متعددة، أوضحها صالح عبد الجواد في دراسته عن البيانات الإسرائيلية المزورة والتي كانت بمثابة حرب نفسية ضد الفلسطينيين، عن طريق عدة أهداف أهمها: شل أحد الأسلحة الرئيسية للانتفاضة، وتحقيق سياسة فرق تسد، لإحداث وإثارة شقاق سياسي واجتماعي في داخل المجتمع الفلسطيني. كما تهدف إلى تحقيق وإذكاء الصراع بين التيارات السياسية المختلفة حيث كان أول منشور مزور تم توزيعه بتاريخ 29/01/1988 بتوقيع تنظيم إسلامي *غير معروف، كما هدف البيان إلى إثارة البلبلة في مواعيد وبرامج وفعاليات الانتفاضة والتشكيك بالفساد المالي لتوزيع أموال الدعم للمواطنين، كما استهدفت

هذه البيانات الاتهام بالخيانة والتفريط ونقد المواقف السياسية للتنظيمات، وزعزعة الثقة بالذات وإثارة المخاوف بين المواطنين، ومن هذه الأهداف ما هو خارجي يتعلق بإثارة المشاكل بين التنظيمات الفلسطينية، ودق إسفين بين القيادة في الداخل والخارج، وإثارة الشكوك عن طريق نشر قوائم مدسوسة من العملاء لإثارة الفتنة. كما هدفت هذه البيانات إلى الإساءة للانتفاضة على الصعيد الدولي، والدعوة لوقف الانتفاضة وإثارة المشاكل الاجتماعية، والنعرات الطائفية، وإثارة التناقضات بين الضفة الغربية وقطاع غزة(عبد الجواد 1989 8-29).

اعتمدت إسرائيل في الانتفاضة الأولى على قواعد مخابراتية في توزيع هذا البيان وذلك عبر احتواء هذه البيانات لجزء من الحقيقة يتم العمل على تضخيمها، وأسلوب إصدار بيانات الرد بعد بضعة أيام لإثارة الفتنة. وقد تلجأ هذه الجهات إلى التحذير من بيانات مزورة لفرض الشرعية على هذه البيانات، وقد تلجأ إلى توزيع بيان حقيقي لإضفاء المصداقية عليها. وقد اعتمدت إسرائيل في ذلك على توفر أجهزتها الإعلامية في سهولة توزيع هذه البيانات، وحافظت هذه البيانات على قواعد الشكل بما يناسب التنظيم الذي يتم تزوير البيان باسمه، اضافة إلى استغلال معرفة نص البيان الأصلي قبل طباعته، وذلك عبر تغييب جملة صغيرة أو إضافة جمل بسيطة تحقق أهدافها المخابراتية (عبد الجواد، 1989:33).

وفي انتفاضة الأقصى موضوع هذا البحث، أصدرت القوى الوطنية، والإسلامية، مجموعة من البيانات الموحدة التي تحث المواطنين على التقيد بفعاليات انتفاضة الأقصى، وتوجههم نحو هذه الفعاليات بشكل منتظم، إضافة إلى أن التنظيمات المختلفة مثل تنظيمي فتح، وحماس أصدرتا منشورات خاصة تدعو المواطنين إلى التقيد بفاعليات الانتفاضة، ولكن نظرا لتوفر وسائل الإعلام لدى السلطة الفلسطينية من إذاعة وتلفاز، وإذاعات محلية أخرى، فقد اضعف ذلك من الاعتماد على هذه البيانات. وكذلك، سبب آخر يتعلق بعسكرة الانتفاضة، والتي اتخذت طابعا عسكريا، بعكس الانتفاضة الأولى التي تميزت بالطابع الشعبي، مما اضعف الاعتماد على هذه البيانات. ولان الموضوع الذي نحن بصدده يتعلق بالحرب النفسية التي قادتها إسرائيل ضد الفلسطينيين ، فلن يتم التطرق إلى هذه البيانات التي أصدرتها القوى الوطنية والإسلامية، وإنما سيتم الحديث عن المنشورات التي أصدرتها ووزعتها إسرائيل على الفلسطينيين، للتأثير على معنوياتهم وإثارة الفتنة فيما بينهم.

لقد اتبعت إسرائيل في بداية انتفاضة الأقصى وأثناء اجتياحها لمدن الضفة الغربية، أسلوبها القديم في الحرب النفسية والذي اتبعته في حروبها مع الدول العربية، واجتياحها لجنوب لبنان في العام 1982، مخاطبة الشعوب والمقاتلين، بأنه لا جدوى من الحرب مع إسرائيل، لأن الحرب تجلب الدمار والهلاك، بينما السلام يجلب الأمن والطمأنينة، وغالبا ما استغلت المشاعر الإنسانية، والحاجات الفسيولوجية الأساسية للضغط على السكان، من اجل تحقيق الهدف الرئيسي للحرب النفسية، وهو الاستفراد بالخصم ، والذي سنتحدث عنه في جزء أخر من هذا البحث. ومن الأمثلة على هذه المنشورات، ما وزعه الجيش الإسرائيلي على أهالي مدينة نابلس بتاريخ 10/08/2002، من منشورات، تم صياغتها بدقة متناهية، حيث امتزج فيها لغة التهديد والوعيد بلغة استغلال الحاجات الفسيولوجية الأساسية، والقيام بعمليات لتحويل المسؤولية عن قتل الأبرياء من الجيش الإسرائيلي إلى منفذي العمليات الفدائية في إسرائيل، ومما جاء في هذا المنشور " قف وفكر". مصيرك ومصير أفراد عائلتك في يدك "، " عليك أن تعلم أن الظروف القاسية التي تعيشها مع أفراد عائلتك، ما هي إلا نتيجة العمليات التخريبية التي تنفذ في منطقة سكناك "، " امتنع عن تقديم أية مساعدة للمخربين لكي تضمن سلامتك وسلامة أفراد عائلتك وممتلكاتك "، (عبد الهادي، 2002: 1). وقد وزعت هذه البيانات على سكان قرى بيت دجن وبيت فوريك، وقرية سالم ، في قضاء نابلس، طالبة من الأهالي عدم التعاون مع المقاومة الفلسطينية.

وللهدف نفسه وزعت منشورات في مدينة رفح بتاريخ 22/05/2004 بعد ارتكاب الجيش الإسرائيلي للمجازر في هذه المدينة، حيث قتل 57 مدنيا ودمر عددا كبيرا من البيوت، بالإضافة إلى حملة الاعتقال الواسعة.لقد وزعت هذه المنشورات على السكان كتبرير عن سلسلة العمليات التي قام بها الجيش الإسرائيلي في المدينة، ومحاولة لإسقاط هذه الجرائم على المقاومة الفلسطينية التي تواصل القيام بعملياتها من بين بيوت المواطنين، وفي نفس الوقت فان هؤلاء المقاومين مختبئون وقد تركوا السكان وحدهم يلاقون مصيرهم بالموت والدمار، ومما جاء في هذا البيان:" أن المخربين يواصلون تنفيذ عملياتهم من بين بيوت المواطنين، من أجل فائدتهم الشخصية، بينما هم يختبئون في حجورهم " وقد توعد البيان هؤلاء المقاومين وكل من يقدم لهم المساعدة "وجاء في البيان أيضا "أن الجيش سوف يستمر بلا هوادة ضد المخربين، وضد من يمد يد العون لهم، أو يؤمن لهم المأوى، وضد كل من يتاجر بالأسلحة(زعرب، 2004 :3).

استخدمت وحدة "كي الوعي": التي أنشاها الجنرال موشيه يعالون رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي السابق في الجيش الإسرائيلي ، ضمن الحرب النفسية الموجهة ضد الفلسطينيين، وسيلة اللافتات الضخمة التي كان يتم وضعها على الحواجز، أو معبري المنطار، ورفح، عندما كان يتم إغلاقها بسبب العمليات التفجيرية في إسرائيل، كانت هذه اللافتات تتضمن عبارة كتب عليها " مغلق بسبب حماس "(المركز الصحفي الدولي، 2006 :1) أمام أعين العمال والتجار الفلسطينيين، وذلك ضمن سياسة استغلال التناقضات والانقسامات في المجتمع الفلسطيني بشأن العمليات الفدائية داخل إسرائيل، وتعتبر هذه الوسيلة من ضمن عمليات الإسقاط والتحويل في علم النفس والتي تم الحديث عنها سابقا.

ضمن سياسة استخدام المنشورات في الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، عملت الجهات الأمنية الإسرائيلية، على توزيع منشورات على الحواجز تهدف إلى تشكيك الناس بالهدف الذي يقاتلون من أجله، ومستخدمة اسلوب التضليل، وقد حملت عبارات كتب فيها " من أجل ماذا تقاتلون (شدمي ، ربيد ، 2006: 2). ومنشورات أخرى ألقتها الطائرات الإسرائيلية على قطاع غزة، والتي تحذر فيها السكان من الوصول إلى هذه المناطق القريبة والمطلة على حدود القطاع الشمالية مع إسرائيل، حفاظا على أمنهم، والهدف هو بالطبع تخويف السكان والتنظيمات لمنعهم من المقاومة.وقد ورد في أحد المنشورات العبارة التالية " إن استمرار إطلاق الصواريخ سيزيد من عنف رد الجيش الإسرائيلي"، "تذكروا الهدوء سيجلب الهدوء" (مركز تحالف السلام، 2006، 2).وفي ذلك نوع من الحرب النفسية التي تستغل دافع الأمن والخوف في العمليات العقلية للحرب النفسية بهدف تثبيط العزيمة .

وكما لجأت إسرائيل في الانتفاضة الأولى، وحسب عبد الجواد صالح، إلى إظهار التنظيمات والقيادة كطرف غير مسؤول في قراراتها وسياساتها، وزعت إسرائيل عددا من المنشورات في غزة تحذر السكان فيها من دخول المنطقة المحظورة، للتحريض على القيادة والتنظيمات في انتفاضة الأقصى. وجاء في هذه المنشورات " أي شخص لا يلتزم بهذا التحذير يعرض حياته لخطر داهم " ومنها أيضا " اعلموا أن المنظمات الإرهابية حولتكم إلى رهائن، ودروع بشرية وأنها تضر بمصالحكم" (الراية، 2006 :1). وتهدف هذه المناشير إلى الإيقاع ودق الإسفين بين الشعب والتنظيمات، لمنع إطلاق الصواريخ على إسرائيل،

عبر استثارة دافعي الخوف والأمن. ولإثارة الفتنة غالبا ما ألقت الطائرات الإسرائيلية منشورات تحرض ضد فصيل معين.

وفي العمليات العسكرية التي خاضتها إسرائيل في قطاع غزة وبعد أسر حماس للجندي شاليط، وزعت إسرائيل عددا من المنشورات على سكان القطاع، كان أهمها ما جاء في بداية العمليات العسكرية:

" أن الجيش الإسرائيلي ينفذ عملياته في كافة مناطق غزة، بما فيها منطقة بيت لاهيا، وبيت حانون شمال القطاع، خلال مدة زمنية بهدف تحديد مكان الجندي الأسير، والعمل على تحريره، والدفاع عن مواطني إسرائيل، وأيضا من أجل سلامتكم "(roba net، 2000 :5)

وقد جاء في أحد المنشورات الأخرى:

"أن الجيش الإسرائيلي سيعمل في العديد من مناطق قطاع غزة التي يسكنها مواطنون مدنيون، ومن أجل سلامة هؤلاء المواطنين، ولأن الجيش غير معني بالمساس بحياتكم خصوصا غير المتورطين في العمليات ضد إسرائيل، يدعو الجيش الإسرائيلي إلى عدم التجمع والتجمهر في تللك المناطق "(، roba net 2006 : 5).

إن ما تهدف إليه هذه المنشورات في توزيعها على السكان المدنيين هي ما يطلق عليه تفريد الخصم وتحريض السكان على أن ما أصابهم وسيصيبهم هو بسبب الجندي الأسير لدى التنظيمات الفلسطينية.

وفي استخدام الصور والملصقات في الحرب النفسية الإسرائيلية، والتي تظهر خوف اليهودي من العربي، واستغلالها عالميا في كسب التأييد الدولي للحرب ضد الفلسطينيين، فقد عرضت ليلي غاليي من صحيفة هارتس صورة لزعيم حزب "يسرائيل بعلياه"، وهو يبدل سيارته نتيجة انتقاله من منطقة الطيبة بالمثلث باتجاه الناصرة العليا بأخرى مصفحة وكتب عليها تقدمة من مجلس" يشع"(أي المستوطنات في الأراضي الفلسطينية المحتلة (منصور، جوني ، 2003 : 101).

4. 4 مكبرات الصوت والضجيج

ولإلقاء الرعب كوسيلة من وسائل الحرب النفسية، في نفوس الشعب الفلسطيني فقد استخدمت إسرائيل هذا الأسلوب في انتفاضة الأقصى. حيث عمد الجيش الإسرائيلي إلى إقامة دمى لجنود عند الحواجز، بقصد ردع الفلسطينيين عن المرور بقربه، أو القيام بعمليات إحداث ضجيج لإخافة الخصم،

وملخص العملية، أن تقوم مجموعة من الجنود بالصراخ، بينما تقوم المجموعة الثانية بإطلاق النار في الهواء، وقد اتبع هذا الأسلوب من الحرب النفسية في مدينة نابلس، حيث ذكر احد سكان المدينة أن هذا الأسلوب قد استخدم أثناء الاعتقالات، والتفتيش في المنازل، مما يدلل على ان هذه العمليات مقصودة (إسلام أو نلاين : 2002 : 2).

واستخدمت وسائل أخرى لإحداث الضجيج ومنها تضخيم أصوات جنازير الدبابات عبر أجهزة صوتية متطورة ، (شدمي ، ربيد ، 2005 ، 1) وقد استخدمت هذه الوسائل أثناء محاصرة كنيسة المهد في بيت لحم، وأثناء عملية السور الواقي، وكذلك أثناء حصار الرئيس عرفات في المقاطعة، وقد استعملت هذه الأساليب في اجتياح مدن الضفة الغربية، ونذكر على سبيل المثال مدينة نابلس حيث ذكر احد مواطني مدينة نابلس هذا الوضع قائلا :

" لا نستطيع النوم في الليل، إن الآليات الإسرائيلية لا تتوقف طيلة الليل عن التجوال في الشوارع، مع إطلاق النار بشكل عشوائي، لبث الرعب في نفوس المواطنين، الأمر الذي يمزق سكون الليل، ويزرع الخوف في قلوب الأطفال، ويجعل الناس يعيشون في قلق متواصل، وخوف دائم من تفاقم الأوضاع"(إسلام اون لاين ، 2002 :1).

ولجأت إسرائيل إلى أساليب أخرى للحرب النفسية عن طريق الضجيج وذلك عبر اختراق حاجز الصوت من قبل الطائرات مما يحدث انفجارا هائلا لإخافة المدنيين والأطفال في ساعات الليل، وخصوصا منتصف الليل حيث السكون الكامل(إسلام اون لاين ، 2002 :1). وقد تكررت هذه العمليات في جميع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة أثناء عمليات الاجتياح أو ملاحقة المطلوبين، وعمليات التصفيات الجسدية، مما يؤثر على معنويات المواطنين، ويدفعهم إلى تعزيز الشعور بالإحباط واليأس، في إطار مجمل أساليب الحرب النفسية التي يستخدمها الجيش الإسرائيلي في التصدي للانتفاضة واحتوائها.

ومن الوسائل الأخرى التي استعملتها إسرائيل في حربها النفسية في انتفاضة الأقصى مكبرات الصوت، وعن طريقها يتم بث نداءات الاستسلام ، أو تجميع المواطنين في مكان عام من أجل اعتقال مطلوبين، أو القيام بالوعيد والتهديد المباشر للمواطنين. وقد استخدمت مكبرات الصوت أثناء حصار كنيسة المهد في بيت لحم لتخويف وإنهاك حوالي 200 شخص من المحاصرين في الكنيسة، وعمل الجيش

الإسرائيلي على بث أصوات مرعبة، وخصوصا في ساعات الظلام، لإخافتهم ودفعهم إلى الاستسلام. كما استعملت مكبرات، لبث رسائل مسجلة لمدة ستين دقيقة، تطلب من المحاصرين الاستسلام حفاظا على حياتهم، وأمنهم، وامن من هم في الكنيسة (سويد، 2002 :132). واستخدمت هذه الوسيلة أثناء حصار الرئيس ياسر عرفات في المقاطعة، وذلك بهدف إحداث ضغط نفسي على من هم في داخل المقاطعة. واستخدمت هذه الوسيلة في جميع مدن الضفة الغربية أثناء عمليات الاجتياح، ونذكر منها على سبيل المثال أثناء حصار مخيم جنين حيث بدأ الجيش الإسرائيلي وعبر مكبرات الصوت في حض السكان باللغة العربية على الرحيل عن المخيم بهدف الاستفراد بالمدافعين عن المخيم. لقد حدث ذلك أثناء اجتياح مخيم جنين بتاريخ 07/04/2002، حيث بدأت مكبرات الصوت ببث بيان من الجيش الإسرائيلي يدعو فيه سكان المخيم ما بين 15-50 عاما بالتجمع في المسجد، وتسليم أنفسهم، فيما يدعو البيان المسلحين إلى الاستسلام، كما يطلب البيان من المواطنين التخلي عن المسلحين، وعدم مساعدتهم بشتى الوسائل(سويد : 2003 :402). ويعتبر ذلك جزءا من الحرب النفسية الموجهة إلى الخصم لبث روح اليأس والاستسلام ، إضافة إلى عملية تفريد الخصم للقيام بالهجوم الشامل الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى إبادته.

4. 5 العملاء والجواسيس :

لقد تم الحديث في الفصل الأول عن الطابور الخامس كوسيلة من وسائل الحرب النفسية الموجهة ضد الخصم، تهدف إلى بذر الفتنة، والفرقة بين أبناء المجتمع الواحد، وكوسيلة لكسر إرادته ومعنوياته، من خلال تجنيد اكبر عدد ممكن من العملاء والجواسيس وبأساليب مختلفة، وقد برعت إسرائيل في ذلك منذ باستغلال الحاجات الفسيولوجية من مأكل وملبس، والحاجة إلى الأمن أو الجنس وغيرها، أو استغلال عدد من الأساليب الضاغطة، من خلال التحقيق، والاعتقال والخداع، والاستدراج، أو من خلال التهديد المباشر .

ومنذ انتفاضة العام 1987 استغلت إسرائيل هذه الحاجات والدوافع لدى بعض الأشخاص الذين وقعوا في كمائن المخابرات الإسرائيلية بأساليب مختلفة. وحققت بذلك عددا من الأهداف، من أهمها نشر الإشاعة والذعر في صفوف المواطنين لإضعاف المعنويات، وإشاعة أجواء من الإحباط في أوساط الفلسطينيين، والحصول على معلومات عن الأشخاص المطلوبين لها من خلال تقارير يرسلها العملاء إلى المخابرات الإسرائيلية، مما يؤدي إلى اعتقال أو قتل النشطاء الفلسطينيين المشاركين في الانتفاضة (عباس

2004 : 32).ومن أهداف الحرب النفسية التي لجأت إليها إسرائيل ضد الفلسطينيين عن طريق العملاء ، هي زعزعة ثقة الفلسطينيين بقضيتهم، ومحاولة التأثير على أجندة المجتمع الفلسطيني، بما يتوافق مع المصلحة الإسرائيلية، التي تتلخص في إثارة الفتن الداخلية، فضل عن تناول الشائعات لتحييد أكبر عدد من قطاعات الشعب الفلسطيني وإبعادهم عن صفوف المقاومة (النعامي، 2006:3).

لقد تصاعدت وتيرة تجنيد العملاء في المجتمع الفلسطيني بشكل كبير في الانتفاضة الأولى وأخذت بعدا جديدا فيما بين الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى في العام 2000، وأخذت منحا مهما في بداية الانتفاضة الثانية لما تميزت به من سياسة التصفيات الجسدية، والاغتيالات التي لجأت إليها إسرائيل اعتمادا على عملائها مستخدمة الوسائل التكنولوجية المتطورة، وتجد بعض المصادر والمؤسسات الرسمية والأهلية صعوبة في تقدير أعداد المتعاونين مع إسرائيل، وذلك نظرا للسرية الكاملة التي تفرضها الاعتبارات الأمنية المختلفة من خصوصية الموضوع، واعتبارات أخرى تتعلق بالاختلاف في تعريف مصطلح العميل، إضافة إلى عامل الزمن منذ دخول الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والعامل الجغرافي الذي يمتد على جميع أرجاء الضفة الغربية، وقطاع غزة، وصعوبات أخرى تتعلق بالتداخل ما بين الجانب الأخلاقي، والجانب الأمني. وأسباب أخرى تتعلق بأهالي العملاء الذين هربو ا إلى داخل إسرائيل. ولكن على أية حال فقد أكدت غالبية المصادر والتقارير إلى وجود بضعة آلاف عميل (عباس ، 2004 : 36).

لقد استغلت إسرائيل عددا من الدوافع البشرية، والحاجات الفسيولوجية الأساسية، منذ بداية احتلالها لفلسطين، والتي من أبرزها الدوافع المادية، والدوافع الآيدلوجية العقائدية، اضافة إلى الدوافع العاطفية التي تتولد نتيجة انفعالات داخلية متقلبة، كالحقد على النظام القائم على سبيل المثال، أو الحقد الشخصي على شخص معين ليشكل دافعا للعمالة والتجسس، أو الدوافع المتعلقة بالمتعة والإدمان على المخدرات، إضافة إلى مجموعة من الدوافع الشخصية المتعلقة بتعويض الضعف عن الشخصية وحب السيطرة والتملك، وحب الاستطلاع والمغامرة، والشعور بالعظمة والأفضلية، ودوافع الانتقام الشخصي والخوف من التهديد.

الناحية المادية والاقتصادية كدافع للعملاء كانت حاضرة في انتفاضة الأقصى فقد استغلت إسرائيل هذا الجانب الاقتصادي الفسيولوجي في حياة الشعب الفلسطيني، ففي دراسة أمنية أجريت على عدد من العملاء

قام بها باحثون فلسطينيون، تبين خلالها أن الحاجة والعوامل الاقتصادية المرتبطة بقيود التبعية للاقتصاد الإسرائيلي، تعتبر من أهم العوامل والمتغيرات ارتباطا بظاهرة التعامل مع إسرائيل (الصواف، 2006 : 1).

استغلال إسرائيل لبعض الدوافع البشرية ، والحاجة إلى الأمن، عن طريق التهديد بنشر الفضائح، ومثال ذلك ما حدث مع أحد أفراد الأمن الوطني وهو قادم من قطاع غزة للعمل في منطقة بيت لحم، إلا أنه وعند مروره بحاجز ايرز الذي يصل شمال القطاع بإسرائيل، قام الجنود بإدخاله إلى مكتب كبير وعرضوا عليه التعاون معهم من اجل الحفاظ على السلام من الحركات المتطرفة من الجانبين ، صاحب ذلك دخول مجندة قامت ببعض المداعبات الجنسية المصحوبة بعمليات تصوير سرية، استعملت في التهديد بنشر الصور في المخيم الذي يسكن فيه رجل الأمن الوطني، ونظرا لضعف الوعي الأمني لهذا الشخص فقد سقط في دواليب أجهزة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، وقام بجمع المعلومات لصالحها (النعامي، 2006 : 4).وفي ذلك يقر "الياهو غونين" القائد السابق في المخابرات الإسرائيلية، أن استخدام الابتزاز الجنسي كان أكثر الطرق نجاعة في تجنيد الفلسطينيين لصالح المخابرات الإسرائيلية (النعامي 2001 ، 3).

استخدمت إسرائيل العملاء كوسيلة وكأداة في حربها النفسية ضد الفلسطينيين، محققة بذلك هدفا ذا حدين: الأول، يتلخص في تجنيد جيش من العملاء يقدم المعلومات إلى أجهزة المخابرات، في محاولة لإجهاض الانتفاضة من الداخل، من خلال التصفيات الجسدية والاعتقال، والثاني، يتمثل في تحييد جزء كبير من الشعب الفلسطيني نتيجة مقولة الجدران لها آذان، وذلك في ظل وضع أمني ليس بمقدور الكثيرين التعامل معه بنهج المقاومة، التي قد تودي إلى السجن أو التصفية الجسدية. لقد استغلت إسرائيل في انتفاضة الأقصى قضية العملاء في المجتمع الفلسطيني كسلاح للحرب النفسية من داخل العمق الفلسطيني ، ولإحداث شرخ في هذا المجتمع من مختلف الجوانب، فمن استخدامهم كسلاح لجمع المعلومات من الداخل أو لاختراق التنظيمات الفلسطينية لبث اليأس والإحباط، إلى متابعة واعتقال وتصفية المطلوبين للاحتلال، أو استخدامهم كوسيلة لبث الشائعات المغرضة.

تعتمد أجهزة المخابرات على العميل في جمع المعلومات عن الأشخاص والأفراد المطلوبين لقوات الأمن، سواء ما تعلق باغتيالهم أو اعتقالهم، ويتم جمع المعلومات من أماكن مختلفة كالجامعات، وآماكن

العمل، والمدارس، والمستشفيات، والنقابات المهنية، التنظيمات السياسة. ..وغيرها.وقد نشط العملاء في جمع المعلومات في انتفاضة الأقصى، ويتلقى العميل مبلغا معينا من المال مقابل هذه المعلومات وحسب "دان رافيف" و" ويوسي مميلمان" من جهاز الشين بيت الإسرائيلي أن العميل يتلقى مبلغا جيدا من المال مقابل المعلومة(عباس، 2004 :126). ويشير صالح عبد الجواد في ندوة عن ظاهرة العملاء في 5 شباط 2001 أنه في حالات معينة يتقاضى العميل مبالغ مضاعفة كلما زاد تورطه، ذلك أن النقود كانت تستخدم لتقوية العلاقة بين العميل والوسطاء الإسرائيليين (عبد الجواد 2001 :34).

ورغم أن المخابرات الإسرائيلية تعتمد على التقنيات الالكترونية الحديثة في جمع المعلومات إلا أن دور العملاء في جمع المعلومة يبقى هو المصدر الأهم. وقد تحدث "مناحيم لانداو" مدير القسم العربي في المخابرات الإسرائيلية الداخلية المعروفة باسم الشاباك، في مقابلة مع التلفزيون الإسرائيلي للقناة الثانية بتاريخ 20/05/2001 بقوله " يدونهم لا يمكننا أن ننجز شيئا في حربنا ضد الإرهاب، مساهمتهم في هذه الحرب كبيرة جدا، وليس بمقدورنا ولو للحظة واحدة أن نستغني عن الخدمات التي يقدمونها لنا" (النعامي ، 2006 : 1)، ولعل في ما ذكره العميل حيدر غانم لجريدة القدس في العام 2003، عن مصدر حصوله على المعلومات بجهد قليل، نتيجة تبرع العناصر التي كان يسهر معها بالمعلومات المجانية، ويطلب في هذه المقابلة :

" بعدم التسرع من قبل عناصر المقاومة في كافة الفصائل بإعطاء ما لديهم من معلومات لأي فرد، وعدم التفاخر بكثير من المعلومات التي يعرفونها، لأن المخابرات الإسرائيلية تأخذ كل صغيرة وكبيرة من المعلومات في ضرب أبناء شعبنا الذي يتبرع أحيانا بالبوح بكل ما لديه من أسرار للآخرين" (عباس، 2004 : 127).

إحدى الأدوار التي أنيطت بالعملاء منذ أن عملت إسرائيل على تجنيدهم هي ملاحقة ومتابعة التنظيمات الفلسطينية منذ أن كانت خارج الوطن، وكانت تتابع نشاط هذه التنظيمات داخل فلسطين وخارجها عن طريق هؤلاء العملاء الذين يتم تجنيدهم وتدريبهم. ومنذ الانتفاضة الأولى نشطت أجهزة المخابرات الإسرائيلية في تجنيد العملاء لملاحقة هذه التنظيمات، بل إنها نجحت كثيرا في اختراق هذه التنظيمات، والعمل ضمن صفوفها الداخلية. وفي انتفاضة الأقصى موضوع هذا البحث، وحيث أن القيادات الفلسطينية عادت إلى داخل الوطن، فقد ضاعفت المخابرات الإسرائيلية من ملاحقتها لهذه التنظيمات عن طريق

العملاء إلى درجة كبيرة، بل تعدى ذلك الأمر زراعة بعض العملاء في داخل التنظيمات الفلسطينية ليكون كأحد المخلصين في هذه التنظيمات.وقد يحدث الاختراق لأحد المعتقلين من التنظيمات الفلسطينية الذين انهاروا أثناء التحقيق، وتكشف المخابرات الإسرائيلية ان "الشين بيت " تمكنت من اختراق الكثير من مجموعات القوميين العرب والشيوعيين بالإضافة إلى تحقيق بعض النجاحات في زرع العملاء في داخل حركة حماس (عباس : 2004: 129).

لأن انتفاضة الأقصى تميزت عن الانتفاضة السابقة بكثرة العمليات الفدائية داخل إسرائيل، فقد شددت المخابرات الإسرائيلية على أهمية اختراق التنظيمات، وذلك من خلال تجنيد العملاء من داخل التنظيمات نفسها أو من خلال زرع أحد العملاء فيها، والهدف من ذلك، الاستفادة من قدرات العميل في توفير المعلومات التي تمكن فيما بعد من إحباط هذه العمليات. ذلك يتطلب من العميل أن يكون قريبا من الحركات والقوى التي تحطط لهذه العمليات (النعامي، 2001 : 4). ولا شك أن مقدرة المخابرات الإسرائيلية على زرع العملاء في التنظيمات أو اختراقها يشكل حربا نفسية ضد هذه التنظيمات، تعزز الشعور بالإحباط واليأس ، والإحساس بالشك، وانعدام الثقة في داخل هذه التنظيمات المخترقة. إضافة إلى تأثيراتها النفسية على المجتمع، وما تحدثه من فتن داخلية.وهذا ما تم الكشف عنه من قبل حاييم بن عامي، الرئيس السابق لقسم التحقيقات في الشاباك " نجاحنا في اختراق التنظيمات الفلسطينية عبر تجنيد عملاء لنا من بين عناصرها، له بالغ الأثر في سيادة أجواء عدم الثقة في أوساط عناصر المقاومة، بشكل يجعلها أقل كفاءة". ويؤكد ذلك النائب السابق للشاباك عندما يقول : أن مجرد اكتشاف الفلسطينيين لقدرة الشاباك على تجنيد عملاء في صفوفهم كفيل بزعزعة ثقتهم بالقضية والمقاومة الفلسطينية(النعامي ، 2006 :2).

يسعى العملاء المخضرمون والذين كشف أمرهم، إلى ممارسة تجنيد عملاء جدد من خلال توريط عدد من الشبان، وربطهم بأجهزة المخابرات الإسرائيلية بطرق متعددة، أهمها: الاستدراج وغالبا ما يكون إشباع الدافع الجنسي، أو استغلال حاجة الناس إلى دوائر الحكم العسكري ، أو الحاجة المادية، ثمنا لتورط الضحية مع الأجهزة الأمنية التي تبدأ بالعمل مع هذا العميل الجديد، بوساطة العميل المخضرم والمكشوف والذي يعتبر حلقة الوصل بين ضابط المخابرات والعملاء الجدد(قاسم ، 1986 :280). وتشير مؤسسة بتسيلم في تقرير لها، أن العملاء المخضرمين يقومون بعملية ترشيح عدد من الشبان من اجل العمل لصالح

المخابرات الإسرائيلية، حيث يصف أحد العملاء في شهادة له أمام منظمة بتسيلم " أنا كنت وكيل مهمات وأجند العملاء (عباس، 2004 : 133). ولقد ساعد ضعف الوعي الأمني لدى الأفراد، (رغم أن المجتمع الفلسطيني بحكم الظروف التي مر بها يعتبر مسيسا إلى درجة كبيرة) الاستخبارات الإسرائيلية والعملاء في القيام بعمليات إسقاط وتجنيد لكثير من أبناء الشعب الفلسطيني(موسى 2004 :161). ويرى الباحث أن ذلك يعود إلى تقصير التنظيمات والمؤسسات الأمنية، والتي يفترض أن تؤدي دورها في بث الوعي الأمني داخل المجتمع، بدلا من بقائها متقوقعة داخل نفسها.وتعود سهولة افتراس الضحية من قبل العملاء المخضرمين إلى عوامل أخرى، تتعلق بالتربية، والتنشئة الأسرية، وعوامل اجتماعية مختلفة، كحب الظهور، والتفاخر، وغيرها.

إحدى الأدوار التي لم يتم البحث فيها كثيرا، والتي تعتبر من أساسيات وأولويات الحرب النفسية، وهو دور العملاء فيما يتعلق ببث الإشاعة المغرضة، ودورهم في تثبيط المعنويات، وإثارة الفتن، وخلق حالة من البلبلة داخل المجتمع.ولا شك أن العميل والجاسوس هو وسيلة المخابرات في نشر هذه الإشاعة، سواء بين الجمهور أو بين المعتقلين أنفسهم، فعلى صعيد المعتقلات، قد يلجا العميل إلى بث إشاعة مفادها بأن القائد الفلاني قد اعترف، ويؤكدها رجال المخابرات، بهدف إضعاف معنويات الآخرين بشكل يدفعهم إلى الاعتراف (حماس، 2004 :48)وتهدف المخابرات الإسرائيلية من وراء بث الإشاعة المغرضة عن طريق العملاء إلى عدة أمور من بينها: التشهير وأضعاف الروح المعنوية عن طريق استغلال بعض الإحداث، أو ما تعلق بتوظيف الأمثال الشعبية للاستسلام، إضافة إلى التخويف من الأجهزة المخابراتية الإسرائيلية وتضخيم قدرتها على الردع، والتشكيك بجدوى النضال وبأشكاله المختلفة، ونشر الدعايات الكاذبة حول القادة السياسيين وقادة المقاومة، إضافة إلى بث الإشاعات المغرضة حول المعتقلين الأمنيين (قاسم، 1986 :270-279).

وفي انتفاضة الأقصى بث العملاء كثيرا من الإشاعات، منها ما تعلق بإثارة مخاوف الناس حول اجتياحات إسرائيلية محتملة للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية قبل حدوثها، وذلك لإشاعة جو من القلق وإضعاف المعنويات، ومنها ما تعلق بإشاعات اقتصادية. فعلى سبيل المثال كانت هناك إشاعات تبث حول أن الحكومة الإسرائيلية سوف تقدم على قطع المحروقات عن الضفة الغربية وقطاع غزة، أو الإشاعات التي

تتحدث عن قطع المواد التموينية عن الضفة والقطاع، مما سبب إقبالا متزايدا بين الناس على تخزين المواد الغذائية، وتعتبر هذه الإشاعات مرتبطة بإشاعات القلق والخوف أيام الحرب، التي يطلقها الخصم لإثارة البلبلة والفوضى لدى الناس تمهيدا للقيام بالهجوم الشامل. وأخيرا فقد لجأ العملاء إلى استغلال الفساد في السلطة الوطنية الفلسطينية التي نشأت منذ العام 1996، وجرت عملية تضخيم هذا الفساد، وكثرت الإشاعات المغرضة التي لم تكن تخدم إلا أجندة الاحتلال رغم عدم إمكانية إنكار وجود هذا الفساد. وغالبا ما كان صوت إسرائيل باللغة العربية يتعمد بث هذه الإشاعات.

من الأساليب الجديدة التي نشأت مع انتفاضة الأقصى هو مشاركة العملاء في الاعتقال أو التصفية الجسدية للمقاومين، فقد كانت تلجأ المخابرات الإسرائيلية إلى توريط أحد المتعاونين معها عن طريق قتل أحد المطلوبين للأمن الإسرائيلي، حيث يذكر احد العملاء أنه كان قد كلف بمهمة الاقتراب من مناضل في العام 1999، وإقناعه بعملية تهريب أسلحة، وبعد تحديد الموعد حضر أحد الجنود الإسرائيليين بلباس مدني وأمر العميل بالتقدم نحو المناضل وإطلاق النار عليه مما ادى إلى وفاته، وعندما يتم توريط العميل بالقتل فإنه يصبح خطيرا من الدرجة الأولى(عباس 2004 : 134)

وفي انتفاضة الأقصى أيضا، الحديث عن مشاركة الفلسطينيين لعمليات القتل، أو أن العملاء قد تولوا عمليات القتل بأنفسهم كان واضحا، فقد تحدث المعلق الإذاعي لصوت إسرائيل باللغة العربية مساء الاثنين 27 /11 /2000، أن فلسطينيين مرتبطين بالمخابرات الإسرائيلية العامة قد ساهموا في تنفيذ هذه العمليات، أو أنه في بعض الأحيان يتولى العملاء الفلسطينيون عملية التصفية ، كما حدث مع العم احد العملاء من مدينة نابلس، والذي بدور، قام بتصفية أحد قادة حركة حماس في العام 2000، عن طريق وضع عبوة من المتفجرات في الطرف العلوي لكرسي القيادة، ومن ثم تسليمها للقائد من حركة حماس بحجة اضطراره للذهاب إلى مدينة رام الله، وقد طلب العميل منه قيادة سيارته والعودة بها إلى نابلس بحكم الثقة الموجودة بينهما (عبد الجواد ، 2001 : 40 ، والصالح، 2000 :2). وكذلك الحال ما أقدم عليه رامي برهام أحد كبار المتعاونين مع إسرائيل والذي كان يلقب بمللك الأغوار من دخول بيوت المطلوبين لإقناعهم بتسليم أنفسهم إلى قيامه باعتقال المطلوبين (فراس الإعلامية ، 2006 : 1-4). لقد اعترف أحد العملاء في انتفاضة الأقصى في العام 2001 والذي كان يعمل مصورا صحفيا بأنه كان يرصد تحركات رياض أبو

حشيش، أحد قادة الجهاز العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في مخيم الشاطئ بقطاع غزة، وتقديم المعلومات عنه عبر شبكة الانترنت (الصالح، 2001 :1).

جانب آخر متعلق بدور العملاء في انتفاضة الأقصى هو مساهمة العملاء في منع العمليات الفدائية داخل، إسرائيل.ولذلك حرصت المخابرات الإسرائيلية على زرع العملاء داخل التنظيمات، أو أنه يتم تجنيدهم في داخل هذه التنظيمات، لقد اثر ذلك على المقاومين، بحيث أصبح في مقدور الأجهزة الاستخبارية العسكرية والإسرائيلية إحباط العمليات قبل وقوعه، وذلك عبر جمع المعلومات التي تحدثنا عنها سابقا من داخل هذه التنظيمات (النعامي ، 2001 ، 4). ويرى الباحث أن ذلك يتفق مع ما كان يعلن في أجهزة الإعلام الإسرائيلية، بين الفينة والأخرى، عن إغلاق المناطق بدعوى وجود إنذارات ساخنة، وعن نية بعض الأشخاص ارتكاب أعمال فدائية داخل إسرائيل، أو ما كان يعلن عن قيام قوات الأمن الإسرائيلية في كثير من الأحيان باعتقال بعض الأشخاص، وهم متوجهون للقيام بعمليات فدائية داخل إسرائيل.

الفصل الخامس
آليات الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى

5. 1 تمهيد

5 . 2 عودة إلى الأساطير والإشاعات وقلب المفاهيم

5 . 3 الإغلاق والحواجز والحصار الاقتصادي

5 . 4 سياسة هدم المنازل

5 . 5 سياسة الاغتيالات والقتل المستهدف

5 . 6 سياسة الاعتقالات والتحقيق

5 . 6 . 1 أساليب الاعتقال

5 . 6 . 2 الضغط النفسي للمطلوبين والمعتقلين على المجتمع

5 . 6 . 3 في أقبية التحقيق

5 . 6. 4 أساليب الضغط النفسي في التحقيق

5 . 6 . 5 المعتقلون والإشاعة وغرف العار

آليات الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى

5. 1 تمهيد

تم الحديث في الفصل السابق عن أهم وسائل الحرب النفسية التي استخدمتها إسرائيل في انتفاضة الأقصى، والدور الذي لعبته هذه الوسائل في التأثير على الشعب الفلسطيني. واستمرارا للحرب النفسية ضد الشعب الفلسطيني، لجأت إسرائيل إلى مجموعة من الإجراءات على أرض الواقع موجهة إلى الفرد والجماعة على حد سواء. ومنذ البداية كانت أسطورة باراك وعرضه السخي للشعب الفلسطيني والتي أضاعها ياسر عرفات، في وقت توجهت الدعاية الإسرائيلية في هذا المجال إلى الشعب الإسرائيلي والعالم الغربي والعربي، وهو الجزء الذي سيتم الحديث عنه في مطلع هذا الفصل.

وفي الجزء الثاني والثالث من هذا الفصل يتم الحديث عن مجموعة الإجراءات التي طبقتها إسرائيل على الأرض ضد الشعب الفلسطيني ومن بينها الحواجز العسكرية، وسياستي الإغلاق والحصار المتواصلة على مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، وتأثيرها النفسي على الإنسان الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى. وفي الجزء الرابع من هذا الفصل سوف يتم الحديث عن دور سياستي هدم المنازل والتصفيات الجسدية واثارهما النفسية على الشعب الفلسطيني أفرادا وجماعات. أما في الجزء الأخير من هذا الفصل فيتم الحديث عن دور الاعتقالات وأشكالها المختلفة والتي مارستها إسرائيل خلال انتفاضة الأقصى كجزء من الحرب النفسية الإسرائيلية. إضافة إلى الآليات المختلفة للضغط النفسي على المعتقلين داخل أقبية التحقيق الإسرائيلية.

5. 2 عوده إلى الأساطير وقلب المفاهيم

روجيه جارودي المفكر البريطاني الذي تحدث عن الأساطير الصهيونية، وكيف وظفتها الصهيونية في خدمة مشروعها لإحلال المستوطنين اليهود في فلسطين مكان السكان الأصليين، وما تبع ذلك من مجازر لبدء التطبيق العملي لهذه الأساطير، اقترح أيضا بعد مناقشة مستفيضة في دراسته أن يتم إبدال مصطلح الأساطير الصهيونية بمصطلح آخر وهو الإشاعة، ليكون بديلا للأساطير الصهيونية ، ذلك أن الأسطورة قناعة تاريخية لا يحتاج المؤمن بها لإثباتها، أما الشائعة فهي طرح راهن يمكن التحري عنه للتحقق من صحته (النابلسي، النفس المغلولة :87). وبغض النظر عن تسميتها بأسطورة أو إشاعة فإن الهدف القديم الذي

وظفت من أجله الأساطير الصهيونية بقي الهدف نفسه الذي لجأت إليه إسرائيل في ارتكابها للمجازر بعد إشاعتها لأسطورة باراك الجديدة إثر فشل قمة كامب ديفيد الثانية المنعقدة في شهر 7 /2000، حيث عملت الدعاية الصهيونية على الترويج لهذه الأسطورة، بأن ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية، قد فوتوا عرض باراك السخي المقدم إلى الفلسطينيين في كامب ديفيد، عبر اختراق باراك للمحرمات الإسرائيلية، وقيامه بالتنازل عن أكثر من 90% من الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام 1967، وإعطاء سلطة للفلسطينيين على جبل الهيكل الذي هو جزء من المحرمات الإسرائيلية أيضا. وبذلك لا بد من الوقوف على حقيقة هذه الإشاعة، وكيف وظفت لتبرير مجموعة من الإجراءات على الأرض ضد الفلسطينيين، بعد أن استطاعت إسرائيل حشد الرأي العام الإسرائيلي والعالمي وجزء من العالم العربي.

أنكر إيهود باراك قبل أن يذهب إلى كامب ديفيد في اجتماع سري عقد في القدس مع أبي مازن في منتصف حزيران 2000 العودة إلى حدود عام 1967، بل إنه تحفظ على اتفاق وآي ريفر الذي وقعه نتنياهو مع الفلسطينيين، بالرغم من أن القيادة الفلسطينية قد بذلت مجهودا جبارا لانتخاب باراك ، (دروكر ، 2004 :216). وقبل قمة كامب ديفيد بستة أسابيع تحدث باراك في يوم القدس بتاريخ 31/05/200 عن القدس باعتبارها خاصة اليهود، وباعتبارها موحدة تحت السيادة الإسرائيلية وكعاصمة أبدية لإسرائيل، وفي أثناء القمة تلقى المفاوضون الإسرائيليون تعليمات واضحة من باراك بعدم التحدث مع الفلسطينيين عن القدس (دروكر، 2004 :242).

دخل الفلسطينيون والإسرائيليون إلى كامب ديفيد على أرضية متباعدة، فإيهود باراك كان متمسكا بعدم الانسحاب الكامل إلى حدود 1967، وعدم الاعتراف بحق العودة وعدم إزالة جميع المستوطنات، وعدم التخلي عن أجزاء من مدينة القدس التي احتلت في العام 1967. بينما كان الفلسطينيون يطالبون بانسحاب كامل من جميع الأراضي المحتلة عام 1967، وإقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس، والاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة. ولكن أثناء المفاوضات كان باراك مستعدا لتلبية بعض المطالب الفلسطينية، حيث سيعاد ما بين 95 % من مساحة الضفة الغربية وغزة إلى السلطة الفلسطينية، والسماح لعشرات الآلاف من اللاجئين بالعودة إلى ديارهم تحت اسلوب جمع شمل العائلات، والاعتراف بدولة فلسطينية منزوعة السلاح. وبخصوص القدس فقد قدمت إسرائيل عرضا سخيا يعيد أجزاء من المناطق المجاورة للقدس

الشرقية، فيما لم يكن باراك مستعدا لأي سيطرة فلسطينية كاملة على داخل السور القديم للمدينة المقدسة (كوانت 2002 : 649-654).

والبداية من القدس حيث هي نهاية النفق المظلم في ملفات كامب ديفيد، فقد أشيع عن أسطورة تم تبادلها في وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية، بين اليمين واليسار في إسرائيل. أن باراك قد انتهك المحرمات، ووافق على تقسيم المدينة في كامب ديفيد، وذلك عن طريق تسليم ثلاث قرى حول القدس هي أبو ديس، والعيزرية ، وبيت حنينا إلى السلطة الفلسطينية، وهو أمر وافقت عليه الحكومات السابقة، إلا أن باراك كان قد أجل تنفيذ هذا الاتفاق ليخرجه بقالب جديد في كامب ديفيد عبر الاستفادة من التلاعب بالكلمات، وبشكل يتم تضخيمه في وسائل الإعلام المختلفة بحيث تنقلب فيه الأساطير إلى حقائق، مغلفة بعناوين ضخمة في الصحافة، وبشكل يتم الإيحاء فيه بأن باراك قد انتهك المحرمات الإسرائيلية، ووافق على تقسيم المدينة المقدسة(راينهارت ، 2004 : 63). وفي ذلك يصف المفكر الفلسطيني ادوارد سعيد شهامة إسرائيل حول انتهاكها للمحرمات في مدينة القدس، أن ذلك هراء وفي منتهى العفونة، وأن إسرائيل بعد ضمها للقدس وإحاطتها بالمستوطنات، لم تعد تحتاج إلى شجاعة من أحد لاستعدادها إعادة بيت حنينا وأبو ديس والعيزرية (سعيد 2002 :324). ويصف أحمد قريع التنازلات المؤلمة وانتهاك المحرمات في القدس بأنها عبارة عن سيادة على أحياء عربية معزولة محاطة بالمستوطنات ومعزولة عن بعضها البعض، وعن باقي أجزاء الدولة الفلسطينية.وبالتالي، هي عبارة عن غيتوات معزولة (قريع ، 2005 :338). فيما تصبح السيادة على جبل الهيكل في قاموس المحرمات الإسرائيلية تعطي الفلسطينيين حكما ذاتيا دينيا رمزيا فقط، ذلك وإن حدث فإنه يتزامن مع معارضة الجمهور الإسرائيلي لهذه السيادة على جبل الهيكل وهو بالطبع ما رفضه الفلسطينيون أيضا (دروكر، 2002 : 238).

أما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة، فقد ركزت الدعاية الإسرائيلية في كامب ديفيد على انتهاك باراك للمحرمات وتقديمه لتنازلات مؤلمة. وأقر بتسليم أكثر من 90 % من مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة، مع احتفاظه بنسبة 10 % وهي مساحة تعادل القطع الاستيطانية الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد روجت وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية لهذه المقولة مع أن تطبيق ذلك يعني حشر مليونين من فلسطينيي الضفة الغربية في أربع مناطق محاصرة معزولة تشكل في مجموعها حوالي 50 % من

أراضي الضفة الغربية. وهي أربعة كانتونات ليس ثمة اتصال مباشر فيما بينها، بينما يتبقى 40 % من الأراضي الفلسطينية مصادرة لا يحق للفلسطينيين الاستقرار بها، أو الزراعة عليها، أو البناء فيها (راينهارت، 2004: 79). إن سيطرة إسرائيل على 10 % من أراضي الضفة الغربية يجعلها تتحكم في المعابر بين هذه الكانتونات فيما يتعلق بمرور الأشخاص والبضائع وغيرها (قريع 2005 :338).

وفيما يتعلق بحق العودة الذي جاء بعد هجرة الفلسطينيين عن أرضهم على خلفية المذابح والمجازر التي تعرضوا لها قبل وبعد إنشاء الدولة الصهيونية، ونتج عن ذلك هجرة حوالي 730 ألف فلسطيني من بلادهم خلال حرب عام 1948، ومنذ ذلك الوقت وهم في تزايد مستمر. فقد شكل ذلك أزمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ بداية المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. وبموجب العرض السخي لبراك فقد ترك لإسرائيل تقدير عدد من يسمح لهم بالعودة. وسيستقر هؤلاء في أرض الدولة الفلسطينية المعلن عنها، دون أن يكون هناك اعتراف بمسؤولية إسرائيل عن مشكلة اللاجئين (راينهارت ، 2004:96). وقد كان الحديث يدور عن مائة ألف فلسطيني من جيل النكبة الأول، أي ممن طردوا من أرضهم بقوة السلاح، أو تحت الضغط النفسي، ويصفهم محمد حمزة غنايم بأنهم من الشيوخ وكبار السن الذين سيخلدون إلى الراحة الأبدية خلال سنوات ولا يشكل هؤلاء أي خطر على التوازن الديمغرافي الإسرائيلي (غنايم، بيني موريس(2002 ، 12). ومع ذلك فإن الفهم الإسرائيلي لحق العودة لآلاف الفلسطينيين من الخارج، بمثابة إعلان حرب تدميرية على إسرائيل، والملاحظ أن إسرائيل قبلت بمبدأ تعويض اللاجئين من الأسرة الدولية، دون أن تلتزم بذلك ولو ماديا، وهو ما يعني في حقيقة الأمر عدم تحمل إسرائيل المسؤولية عن مشكلة اللاجئين (مصالحة 2003 : 232).

أما فيما يتعلق بما قدمه باراك في موضوع الأمن، فقد تحدث أحمد قريع أن ذلك يكرس استمرار السيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين في تحركهم وسفرهم عبر الحدود، مع السيطرة على الفلسطينيين عبر مراكز ومحطات ومناطق أمنية في الضفة الغربية، وسيطرة إسرائيلية كاملة على الأجواء الفلسطينية وقيود على الدولة الفلسطينية لتبقى خاضعة لها (قريع 2002 :351).

اعتمدت الدعاية السياسية للعرض السخي الذي قدمه باراك في مؤتمر كامب ديفيد المنعقد في العام 2000، والتي أخذت تروج له وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية ضد الفلسطينيين على جزء من الحقيقة التي تم التوصل إليها في تفاهمات بيلين – أبو مازن السرية في العام، 1998، ووصفت في حينها بأنها مخجلة تبقي على المستوطنات دون تفكيكها أو إخلائها، وحولت ذلك إلى أسطورة احتوت على تنازلات ضخمة لم يقدمها أي رئيس وزراء إسرائيلي سابق، وأخذت تروج وسائل الإعلام أن ياسر عرفات والفلسطينيين مسئولون عن فشل العملية السلمية(رانيهارت ، 2004 :44). وفي ذلك يصف "أمنون كابليوك" الكاتب والصحفي الإسرائيلي ان "الغالبية العظمى من الإسرائيليين تكرر دعاية باراك، ومساعده المطيع بن عامي، والتي عرض باراك بموجبها في كامب ديفيد مقترحات بعيدة للغاية". وبضيف أن المقصود بعرض باراك السخي كان عبارة عن مجرد دويلة مشوهة لها مظاهر استقلال متعددة ولكن تحت سيادة إسرائيلية حتى من دون سيادة على الأقصى بمقابل إنهاء الصراع "(كابليوك ، 2001 : 10).

عملت الحرب النفسية الإسرائيلية أثناء مؤتمر كامب ديفيد، على إقناع الأمريكيين وخاصة الرئيس الأمريكي، ووزيرة خارجيته، بجدية ايهود باراك في البحث عن السلام، وبأن باراك قدم كل شيء في كامب ديفيد، لقد ظهر ذلك جليا في الموقف الأمريكي ، حيث، قال كلينتون موجها كلامه للسيد ياسر عرفات في كامب ديفيد " قدم باراك تسوية وتنازلات وأنت ترفض أن تقدم شيئا " وأوضحت أولبرايت " لقد قدم باراك أكثر مما توقعنا منه وأنت لم تقدم شيئا "(دروكر 2004 :275). وبعد مرور عام يكشف روبرت ماله في التاسع من أب 2001 بأنه لا توجد هناك أبدا اقتراحات إسرائيلية بالمعنى الدقيق بل، إنه يكذب أطروحة العروض السخية في قضايا القدس، واللاجئين، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وأن بارك لم يكن مستعدا للحديث مع الفلسطينيين، واختار التركيز على سوريا، وعندما فشلت المفاوضات معها عاد إلى المسار الفلسطيني (غنايم، بيني موريس، 2002 :46، سبيفر 2004 :29).

أما في الوعي السياسي الشعبوي الأمريكي فقد عبأته أسطورة عرض باراك السخي في كامب ديفيد ورفض عرفات والسلطة الفلسطينية ذلك، ورغم تفنيد هذه المقولة إلا أنها ما تزال عالقة في الوعي الأمريكي رغم انتفاضة الأقصى، إذ ساعد على رواج هذه الأسطورة الصورة التي رسمت لهم عن تحول الشعب الفلسطيني من شعب أعزل إلى شعب مسلح، وكيان يمكن أن يهدد دولة إسرائيل وهي أقوى دولة

في المنطقة، وقد أعاد ذلك إلى الأذهان الأسطورة القديمة التي تتحدث عن مسالمة إسرائيل وعدوانية العرب المصرين على محو إسرائيل من الخارطة ورميهم في البحر (الشيخ، 2002 :24). ومما ساعد على رواج هذه الأسطورة غياب الرواية الفلسطينية المكتوبة عن حقيقة ما جرى وراء الكواليس. فيما كان باراك يتحدث عن عدم فاعلية جهاز كشف الكذب في كشف ما يقوله الفلسطينيون (غنايم، بيني موريس، 2002:26).

كان الجمهور المستهدف في الدعاية الإسرائيلية موجها إلى ثلاث فئات هي: القيام بتعبئة داخلية لتضليل الجمهور الإسرائيلي، وعملية تضليل واسعة للرأي العام الغربي، وأخرى موجهة إلى الفلسطينيين والعالم العربي. فعلى صعيد الجمهور الإسرائيلي تم تحويل إسرائيل بين عشية وضحاها إلى بطلة سلام في نظر القوى الداخلية التي مدت يدها للسلام، فلم تجد شريكا لها ، بل ذهبت إلى القول أن رئيس السلطة الفلسطينية كان يخادع حينما وقع اتفاقية إعلان المبادئ في العام 1993، وهو الآن يدفع ثمن خديعته لليسار الإسرائيلي الذي وقع مع عرفات صفقة المغبون، وهنا كان على أريئيل شارون أن يتدخل لإعادة الأمور إلى سابق عهدها (سيفر :2003 :25). وبذلك تم توجيه الجمهور الإسرائيلي لانتخاب شارون في العام 2001، وذلك عقابا للفلسطينيين على عدم توقيعهم لاتفاقية سلام في كامب ديفيد مع أيهود باراك. لقد روجت هذه الأسطورة بين الجمهور الإسرائيلي وغدت أسطورة مجندة ككل الأساطير السابقة، ذلك أن الأساطير يحتاجها المجتمع لكي تعمل على تكتل بين أجزائه وتبرر أفعاله وتنظف ضميره. وقد وصف الكاتب الإسرائيلي ميرون بنفنستي، أن الرواية التي سادت في إسرائيل، وبقدر ما في الولايات المتحدة والتي بدت مقنعة ومبسطة تقول أن باراك عرض القمر على عرفات، ولكن عرفات رفضه، وعندها ضغط على الزر واختار طريق العنف (العجرمي ، 1427 :8). وفي هذا السياق أيضا أشيع أن باراك وجه طعنة في الظهر لقوى السلام الإسرائيلية عبر الدعاية التي بثها على أنه لا يوجد شريك حقيقي، مما مهد الطريق للمزاج الشعبي الليكودي المؤيد للإستخدام القوة ضد الفلسطينيين (بشارة ، 2003 :).

أما عملية التضليل التي مارستها إسرائيل على صعيد الرأي العام العالمي، فيذكر دونيس سيفر مدير تحرير أسبوعية بوليتس الباريسية ، " وجوس دراي " التي أصدرت عدة كتب تصويرية عن ذاكرة الشعب الفلسطيني، عن عملية تلاعب ضخمة بالرأي العام العالمي الغربي، يذكر هؤلاء أن العديد من المثقفين

والصحافيين الفرنسيين تبنوا فكرة رفض عرفات للعروض السخية التي قدمها باراك في كامب ديفيد حتى أن مثقفين فرنسيين معروفين من أمثال "فينكلكرت ، "بيار" "واندري تاغياف" قد تبنوا الدعاية الإسرائيلية برفض عرفات ليد السلام الممدودة للفلسطينيين في كامب ديفيد. وقد حققت هذه الدعاية أهدافها في فرنسا وبذلك، تم ضرب شرعية عرفات كشريك في عملية السلام. ولم يقتصر الأمر على فرنسا بل تم تعميم ذلك على وسائل الإعلام الغربية في الفترة ما بين أب 2000 وشباط 2001. (ريفيوز، 2006 :2).

احتوت عملية تضليل الرأي العام العالمي على عبارات ملأت أجواء العالم الغربي، ومن هذه العبارات " عرفات كان جبانا وافتقر إلى الشجاعة اللازمة للقبول بعرض إسرائيل لإنهاء الصراع"، "وعنف الفلسطينيين يهدد إسرائيل"، والسبب في ذلك وفقا للدعاية الغربية هو الحقد التاريخي للفلسطينيين على اليهود. فيما وصفت عبارات أخرى ياسر عرفات كزعيم ضعيف لا يقدر على منع شعبه من مهاجمة اليهود بل ألصقت به تهمة التحريض على ذلك، اضافة إلى سماحه بنشر كتب مدرسية تنكر وجود إسرائيل (سعيد ، 2002 : 344).

قام الوزراء الإسرائيليون بحملة تضليل دعائية واسعة النطاق في أوروبا والعالم، وذلك عبر استغلال الظروف التي خرج بها باراك إلى كامب ديفيد، إضافة إلى استغلال ما حصل من تفكك في الحكومة الإسرائيلية، واستقالة كل من وزراء شاس، واسحق ليفي، ونتان شيرانسكي، من الحكومة على خلفية مشاركة باراك في كامب ديفيد. وعدم انضمام ديفيد ليفي إلى رئيس الحكومة في المفاوضات، واعتماد باراك على أغلبية هشة في الحكومة الإسرائيلية، وصفها غلعاد شير بأنها عنجهية وعززت اللاشرعية السياسية لباراك في أوساط الجماهير الإسرائيلية (شير 2002 :190)، لقد استغلت الدعاية الإسرائيلية ذلك، وأخذت بترويج هذه الدعاية في الغرب بأن باراك خاطر بمستقبله السياسي من أجل الوصول إلى اتفاق دائم، وأن الفلسطينيين لن يحصلوا على رئيس وزراء أفضل منه، وأن في استخدامهم للعنف في انتفاضة الأقصى هو دليل على عدم إرادتهم للسلام(المصري ، 2004 :120).

وفي الوقت الذي كان الإعلام الغربي يصور هذه الأمور ويقلب الحقائق بتأثير من الإعلام الإسرائيلي كان بعض الباحثين الإسرائيليين من أمثال مناحيم كملاين قد توصلوا إلى نتيجة مفادها: أنه لم يكن هناك

عرضا سخيا من إيهود باراك، وأن الأمر كان يتعلق بدولة فلسطينية مقسمة من قبل المستوطنات اليهودية, وأنه يصعب على عرفات العودة إلى شعبه باتفاق يقيم دولة مقسمة إلى ثلاثة كيانات (ريفبورز، 2006 : 3).

استطاعت هذه الإشاعة تحقيق عدد من أهداف الحرب النفسية ضد الفلسطينيين والقيادة الفلسطينية على حد سواء، فقد لجأ باراك إلى استخدام العنف المفرط في قمع انتفاضة الأقصى في العام 2000، حيث أن هذا العنف جاء تبريرا لرفض الفلسطينيين للفرصة التي منحهم إياها إيهود باراك في كامب ديفيد، وعلى ذلك ركز الإعلام الإسرائيلي في تبريره، القمع الواسع الذي يتعرض له الفلسطينيون في الانتفاضة. وفي ذلك يذكر "غريش " أن التساؤلات التي كانت تطرح على السياسيين والمعلقين الإسرائيليين في المحطات الفضائية العربية، وغيرها، مثل ماذا تفعلون في أرض محتلة؟ كانت أجوبة هؤلاء السياسيين والمعلقين تتلخص في جملة واحدة " لقد رفض عرفات عرضنا السخي في كامب ديفيد للانسحاب من أكثر من 90% من الضفة الغربية (بدوي ، 2007 :2). وقد حققت هذه الإشاعة هدفا آخر تعلق بتفريد الخصم ونزع المصداقية عنه وكشف القناع عن ياسر عرفات, وذلك بهدف تقديم البرهان بأنه لا يوجد شريك. وقد أوضح ذلك أمنون كابليوك من خلال دراسته لثلاثة كتب إسرائيلية تناولت موضوع كامب ديفيد من أمثال يوسي بلين، وبن عامي، والكاتب الإسرائيلي شير، أن المفاوضات كانت تجري في صورة غريبة، وأن لدى الإسرائيليين مقترحات غير قابلة للتفاوض، وتنقل شفهيا دون توثيقها، بهدف الإقدام على تنفيذ مشروع من جانب واحد (كابليوك، ، 2007 :2، وشير 2002 :211). وكان باراك قد تحدث في المباحثات التي جرت في 8/07/2000 قبل الخروج إلى كامب ديفيد أنه بعد كامب ديفيد سيكون واقعا جديدا وقال لمستشاريه " إما أن ننجز اتفاقا دائما، ونذهب إلى استفتاء أو سنمزق القناع عن وجه عرفات، وعندها يلزم أن نستعد للمواجهة مع الفلسطينيين (دروكر ، 2004 : 263).

لقد ساعد على سرعة نفاذ الدعاية الإسرائيلية في هذا المجال، ضعف الإعلام العربي والفلسطيني بشكل خاص، و الذين لم يحاولوا إظهار وتبيان الحقيقة أو الدفاع عنها، فقد كشف المفكر اليهودي التوراتي باروخ كمرلنك أنه لم يكن لأي من مقترحات باراك عروضا حقيقية أو مكتوبة، كانت في المصطلحات الدبلوماسية مجرد بالونات اختبار، ليستطيع باراك الحفاظ على موقعه مع وزرائه الصقور والمتدينين (كمرلنك ، 2005 :159).أما الإعلام الغربي الذي سيطرت عليه إسرائيل، فوقع الغرب فريسة للإعلام

الإسرائيلي المضلل، وقد ساهم فيه الفلسطينيون في هذا التضليل أيضا من حيث لا يعلمون (الفرا :2007 : 2).

5. 3 الإغلاق والحصار والحواجز العسكرية :

"سيغر" باللغة العبرية تعني بالعربية (الإغلاق)، وتشير إلى حرمان السكان في الأراضي الفلسطينية من حقهم في التنقل وحرية الحركة (هاس ، 2002 :75)، ويشمل ذلك حرية الحركة والتنقل في داخل مناطق السلطة الفلسطينية بين مدن وبلدات وقرى ومخيمات الضفة الغربية. واصطلح على تسميته بالطوق الداخلي من خلال الحواجز العسكرية بأشكالها المختلفة، وذلك، عبر عزل البلدات والقرى والمخيمات والمدن عن بعضها، عن طريق حفر الخنادق وسد الطرق بأكوام من الأتربة أو سد الطرقات بمكعبات إسمنتية تتعذر معها حركة المواصلات، أو من خلال منع الجنود لحركة المواصلات ومنع المشاة من العبور من منطقة إلى أخرى. ويشمل أيضا منع التنقل والحركة بين مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل، حيث يتم منع الفلسطينيين من دخول إسرائيل والقدس وهو ما اصطلح على تسميته بالطوق الأمني، ويشمل ذلك حركة تنقل الأشخاص والبضائع والمنتجات. لقد لجأت إسرائيل إلى هذه الأساليب خلال انتفاضة الأقصى، وشددت عليها في حالة وقوع عمليات فدائية أو وجود إنذارات ساخنة عن نية فلسطينيين ارتكاب أعمال إرهابية" كما يسميها الإعلام الإسرائيلي، وفي هذه الحالة كانت تلجا إسرائيل إلى الإغلاق التام.

لجأت إسرائيل إلى استعمال الحواجز العسكرية منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وتزايد هذا الإجراء فيما بعد العام 1967، وذلك إثر تصاعد العمليات الفدائية في الضفة الغربية وقطاع غزة لرصد المقاومين والتضييق عليهم، وذلك بهدف اعتقالهم أو قتلهم، إلا أن الحواجز العسكرية أخذت منحا جديدا في الانتفاضة الأولى من العام 1987، حيث نصبت إسرائيل العديد من الحواجز العسكرية الثابتة، والطيارة، كما اتفق على تسميتها في الانتفاضة الأولى، وكانت تهدف هذه الحواجز إلى إعاقة الفلسطينيين من الوصول إلى مراكز المدن، للحد من تصاعد وتيرة الانتفاضة، كما هدفت في ذلك الوقت إلى اعتقال مطلوبين لقوات الآمن الإسرائيلية، إضافة إلى تعزيز أمن المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، لحمايتهم من شبان الانتفاضة الذين كانوا يرشقونهم بالزجاجات الحارقة والحجارة، وأخيرا اعتبرت الحواجز وسيلة لإخضاع

الفلسطينيين لسياسة الاحتلال الإسرائيلي، والتي سلبتها منهم القيادة الوطنية الموحدة عندما بدأت تصدر التعليمات للسكان عن الفعاليات التي عليهم إتباعها في تلك الانتفاضة.

وفي انتفاضة الأقصى طرأ تحول على وظيفة الحاجز العسكري بحيث أصبح وسيلة للإذلال والقهر والقمع والتعذيب لمختلف فئات الشعب الفلسطيني على حد سواء. إضافة إلى الأهداف السابقة التي ذكرناها عن دور الحاجز في الانتفاضة الأولى. وقد تعددت أشكال هذه الحواجز من حواجز ثابتة، وحواجز طياره، ومنها ما أغلق بالبوابات الحديدية، كما هو الحال في حاجز " الكونتيتر" المقام على مدخل بيت لحم، أو حاجز حواره المقام على مدخل مدينة نابلس، أو الحاجز الحديدي الذي أقيم على مدخل قرية بيت ريما غرب رام الله والقرى المجاورة، ومن هذه الحواجز ما أغلق بمكعبات إسمنتية دائمة وبشكل لا يسمح للمواطنين من اجتيازها سواء بحافلاتهم أو مشيا على الأقدام، ومنها ما كان يسمح للفلسطينيين باجتياز هذه الحواجز مشيا على الأقدام مع إجبارهم على ترك سياراتهم في الجهة المقابلة.

لقد أدت سياسة الإغلاق، والحصار، والحواجز العسكرية الشاملة، التي فرضتها إسرائيل على الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى إلى نتائج سلبية على المجتمع الفلسطيني، انعكست على النواحي الاقتصادية، والتربوية، والاجتماعية، والنفسية، للمجتمع الفلسطيني.

فعلى الصعيد الاقتصادي أدى ذلك إلى خسارة واضحة في قطاع العمالة الفلسطينية، إذ بلغت أكثر من 3600 مليون دولار نتيجة عدم تمكن الحركة العمالية من دخول إسرائيل خلال عامين من عمر الانتفاضة 2001ـــ 2002.فيما ارتفعت نسبة البطالة بين صفوف هؤلاء العمال إلى أكثر من 70 % مع اتساع دائرة الفقر بين العمال لتصل إلى حوالي 75 % من العام 2001 (المدهون، 2003 :6).

أدت سياسة الإغلاق أيضا إلى تعطيل حركة تنقل المواطنين والبضائع والمنتجات داخليا، وخارجيا، إلى درجة الشلل التام في حالة الحصار الشامل. فعلى سبيل المثال قدر الجهاز المركزي للإحصاء الخسائر في القيمة المضافة للقطاع الزراعي خلال النصف الأول من العام 2001 بحوالي 44.3 مليون دولار، وذلك أنه لم يكن هناك أي إمكانية للتصدير بسبب الحصار الاقتصادي، ذلك أن المنتجات الزراعية كانت تفسد قبل أن يسمح للمزارعين بالدخول إلى المدن لتسويقها(عبد الرازق، 2001 :73-96). فيما عانت

الحركة التجارية أيضا من جراء هذه الحواجز العسكرية نتيجة عدم السماح للتجار باجتياز هذه الحواجز والذي أدى إلى رفع أسعارها، وكذلك الحال في باقي القطاعات كقطاعات البناء والعمران، قطاع الصناعة، والسياحة، وغيرها، التي تأثرت سلبا بهذه الحواجز (الذباينة ، 2002 :180-181). لقد قدرت خسائر القطاع الصناعي في الربع الأخير من العام 2000 بحوالي 123.4 مليون دولار جراء الإغلاق والحصار، (عبد الرازق، 2001 : 73- 96). ومنعت إسرائيل دخول الإمدادات لمناطق السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث تم منع دخول حمولة أكثر من 900 شاحنة في مينائي حيفا واشدود، إضافة إلى تأخير 30 مليون شيكل من عائدات الضرائب المستحقة للسلطة الفلسطينية (راينهارت، 2004 :185).

عملت الحواجز العسكرية الإسرائيلية التي أقيمت في انتفاضة الأقصى وقطعت مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة على سرقة عامل الوقت من الفلسطينيين(هاس، 2002:74). أن ينفق الإنسان أضعافا مضاعفة من الوقت من أجل مواكبة الحياة اليومية. فقد تأثر الجميع بعامل الوقت، والذي ضاعف بدوره من مصروفات السفر، من جراء الطرق الالتفافية التي كان يلجا إليها المواطنون خاصة العمال والموظفون، إضافة إلى تأخر العمال عن أعمالهم مما يدفع رب العمل إلى الاستغناء عنهم. وبالتالي يتسبب ذلك بوقف عمل المنشات الاقتصادية التي فقدت وخسرت الملايين من الدولارات جراء هذه الحواجز.

هدفت الإجراءات الإسرائيلية لعزل بلدات وقرى ومدن الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى تحويل حياة الفلسطينيين إلى معاناة يومية متواصلة بهدف إخضاعهم، وذلك عبر تغيير مجرى حياتهم اليومية، مما يدفعهم إلى التراجع عن أهدافهم الحقيقية التي كانوا يبنون عليها طموحاتهم، وقد أصابت مجموعة هذه الإجراءات على أرض الواقع الجسم والكيان الفلسطيني، مما دعا الفلسطينيون للبحث عن إجراءات طويلة وشاقة من أجل استمرار الحياة اليومية.

تسببت الحواجز العسكرية في إعاقة العملية التعليمية والثقافية، مما أدى في كثير من الأحيان إلى إغلاق الجامعات، والمعاهد التعليمية على حد سواء، نتيجة عدم تمكن الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية من الوصول إلى الجامعات، وفي دراسة أجراها إسماعيل أبو زيادة أظهرت أن تعطل المعلمين والطلبة على الحواجز وخاصة طلبة الجامعات في قرية" تل" بمحافظة نابلس، قد أدى إلى ارتفاع مستوى العنف بين

الطلبة، وألقى بظلاله على العملية التربوية، وشكل عنوانا مهما للأزمة التي يعاني منها أهل القرية في انتفاضة.الأقصى(أبو زيادة 2005:38).

على صعيد القطاع الصحي فقد ساهمت الحواجز في تدهور الوضع الصحي للمواطنين، كما عملت الحواجز العسكرية الإسرائيلية والسواتر والكتل الإسمنتية الموجودة بين مدن الضفة الغربية وقطاع غزة، على إعاقة وصول المعدات والأجهزة الطبية والأدوية إلى المستشفيات المختلفة في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة. لقد تسببت الحواجز إلى عدد من التأثيرات على الناحية الصحية للمواطنين ، ففي دراسة أجراها مشروع الدعم النفسي والاجتماعي للمناطق المهمشة للباحث إسماعيل أبو زيادة، أجريت هذه الدراسة على قرية سرطة قضاء سلفيت، أن التأخر على الحواجز قد تسبب في وفاة أربع حالات على الأقل نتيجة الإعاقة على الحواجز (أبو زيادة ، 2005 :6). لقد منع الجيش الإسرائيلي مواطنين يعانون من حالات فشل كلوي من الوصول إلى المستشفيات رغم امتلاكهم لتقارير طبية تثبت ذلك، وانعكس بذلك على الوضع الصحي للمواطنين (علي ، 2003 :65). وكثيرا ما شهدت الحواجز العسكرية حالات ولادة قبل أن يسمح الجنود للحامل باجتياز الحاجز العسكري.

من الناحية الاجتماعية فقد أضعفت الحواجز العسكرية التعاضد فيما يتعلق بالعادات الاجتماعية ، وقطعت أواصر الاتصال بين أبناء الشعب الواحد، وقد شهدت حالات عديدة من الحواجز العسكرية حفلات الزفاف، حيث منع الاحتلال العسكري سيارات الزفاف من تجاوز هذه الحواجز مما اضطر أصحاب هذا العرس تجاوز الحواجز مشيا على الأقدام. لقد أقدم الكثير من المواطنين خلال فترة انتفاضة الأقصى على إلغاء الكثير من مشاركاتهم الاجتماعية للأقرباء والأصدقاء بسبب هذه الحواجز، إذ أن ذهاب المواطن من مدينة رام الله إلى نابلس، كان يستغرق أكثر من ست ساعات على سبيل المثال. ففي دراسة أبو زيادة على محافظات الشمال أظهرت أن هناك عددا من التأثيرات الاجتماعية للحواجز على حياة المواطنين منها: ضعف في الروابط والزيارات الاجتماعية والأسرية، وفقدان الأمل بالحياة، والضيق، والضجر، (أبو زيادة، 2005 6-23).

ضمن آليات الحرب النفسية ضد الشعب الفلسطيني جاء الحصار والإغلاق من أجل الضغط على الشعب الفلسطيني بهدف الحصول على تنازلات سياسة من خلال التضييق الاقتصادي والقمع العسكري، وقد تعددت آليات الحصار في انتفاضة الأقصى، وهدفت إلى ضرب البنية التحتية الاقتصادية الفلسطينية، والبناء الهيكلي للاقتصاد الفلسطيني، والتركيبة الاجتماعية والطبقية للشعب الفلسطيني، والبنية التحتية الاجتماعية، من تعليم وصحة ورفاه اجتماعي، واستهدفت كذلك الأوضاع النفسية والعائلية للآلاف من الفلسطينيين وغيرها (عبد الرازق وآخرون، 2001 : 33).

أوضحت دراسة أجراها برنامج غزة للصحة النفسية عن الحصار والإغلاق، أنه كنتيجة للحصار الاقتصادي، فقد ظهرت علامات من الإحباط واليأس المتراكمين، نتيجة قلة الفرص المتاحة وهبوط المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وأشار أيضا إلى ارتفاع عدد حالات الاكتئاب والقلق والوسواس خلال الشهور الثلاثة الأولى للانتفاضة ، وإلى أن صورة الأب كحامي للأسرة وضامن لاحتياجاتها قد تأثرت سلبا برؤية الأبناء لإبائهم وهم يضربون من الجيش، أو كون الآباء عاطلين عن العمل، لتهتز بذلك العلاقة الوالدية وذلك بنتيجة تغير نفسية الآباء(مركز زايد للمتابعة ، 2001 : 84). لقد أسهم ذلك في تفكك المجتمع الفلسطيني وكان عاملا من العوامل الأخرى التي عملت على تحطيم وتدمير بنية المجتمع الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى.

أظهرت دراسة أخرى أجراها الباحث منير أبو راس بتاريخ 21/07/2003 عن أثر الحصار والإغلاق على العامل الفلسطيني، على ازدياد المشاكل النفسية السلوكية لدى العامل الفلسطيني وأسرته بعد الحصار، وأن ما نسبته تصل إلى 3. 83 % من العمال الفلسطينيين قد عانوا من العصبية والعنف ضد الزوجة والأبناء، نتيجة للكبت والمشاكل النفسية التي يسببها الحصار الإسرائيلي، وأظهرت الدراسة من جانب آخر أن الحصار والإغلاق الإسرائيلي يؤدي إلى تفكيك وتدمير التلاحم الاجتماعي الفلسطيني، ويولد مشكلات نفسية سلوكية لدى الفرد، حيث أجاب على ذلك بما نسبته 71 % من المبحوثين، وأظهرت الدراسة أن هناك تحولا سلبيا في السلوك الاجتماعي للعامل الفلسطيني جراء الحصار والإغلاق (أبو راس 2003 : 3 9).

عندما كان يصل المواطنون إلى بعض الحواجز العسكرية المقامة بين المدن كان الجيش يمنعهم من مواصلة السفر عبر الطرق الرئيسية، ولكن كان بعض الناس بإرشادهم إلى طريق التفافية أخرى، وهذه

الطريق تقع في مقابل الحاجز العسكري، وكان الجندي في كثير من الأحيان يطلب من المسافرين الـــذهاب إلى الطريق الأخرى المقابلة، مع أن الجنود الموجودين على الحاجز يشـــاهدون هـــؤلاء المـــواطنين وهـــم يتخطون الحاجز بطرق التفافية أخرى.

لم تعد الحواجز في انتفاضة الأقصى وسيلة لاعتقال مطلوبين كما يحدث في البلدان المجـــاورة أو وسيلة أمنية، بل أن هذه الحواجز ساهمت في حرب نفسية إسرائيلية منظمة، هـــدفت إلـــى إهانـــة وإذلال الفلسطيني، عبر السخرية منه من قبل الجنود وخاصة كبار السن، وكذلك من خلال الأسئلة السخيفة التي كان يوجهها الجنود للمواطنين، وما يطلب من بعض المواطنين من أوامر وأفعال شاذة، يجب على المواطن القيام بها، مثل، أن يرمي الجندي بطاقة الهوية ويطلب من المواطن إحضارها، وذلك لمجرد التسلية. إضافة إلـــى قيام الجنود بتخريب الممتلكات الشخصية للمسافرين وإهانة القيم العربيـــة الأصـــيلة وتشـــبيه الفلســـطينيين بالحيوانات (علقم، وكناعنة 2003 : 252-268).

إن سيطرة إسرائيل على الحواجز يرتبط بالدرجة الأولى بعامل السيطرة، وقوة الردع، وهو بذلك يحقق هدفا نفسيا على حياة المواطنين بشكل يومي يظهر فيه عجـــز الفلســـطينيين، وقـــوة ورهبـــة الجنـــود الإسرائيليين، مما يوحي بعدم الإحساس بالأمن لدى الفلسطينيين. وقد تحدث بذلك ميرون بنفنستي في صحيفة هارتس أن هناك هدفا رمزيا للحواجز العسكرية هو أن تكون الحواجز رمزا للسيطرة، فالسلطة الاستعمارية تقوم على أساس غطرسة بضع عشرات الآلاف من الجنود الذين يسيطرون على حياة الملايـــين فـــي ظـــل استخدام الحد الأدنى من القوة بالاستناد إلى قوة الردع (المسيري ، 2007 :24).

عملت الحواجز العسكرية الإسرائيلية على تحطيم الجماعات بشكل مباشر، ففي دراسة أجراها نبيـــل علقم وشريف كناعته عن الحواجز العسكرية الإسرائيلية ودورهـــا فـــي الإخضـــاع والاقتلاع، أظهـــرت أن الحواجز تعمل من خلال سياسة التحطيم الجماعي، على مجموعة من الآليات المختلفة منها: النهوض المبكر من النوم والعودة المتأخرة إلى البيت بسبب الطرق الالتفافية، إضافة إلى الإنهاك بســـبب طـــول الطريـــق وبسبب السير على الأقدام والانتظار الطويل على الحاجز، وبسبب أحوال الطقس، أو بسبب عمليات المطاردة التي كان يلجأ لها الجيش الإسرائيلي بسبب منعه للطرق الالتفافية البديلة(علقم وكناعنة ، 2003 : 225-231). كما كان يحدث عند الطريق الالتفافية عند المدخل الشمالي لمدينة رام الله بـــالقرب مـــن شـــركة جـــوال

الفلسطينية، والذي شهد الكثير من المصادمات، وسقط عدد من الأشخاص من جراء ذلك رغم أنها طريق ترابية وليست رئيسية.

عملت الحواجز العسكرية أيضا على تحطيم الأفراد من خلال أشكال متعددة، وقد تحدث أحد الجنود الاسرائيليون في مذكراته" إنه تم كسر أيدي بعض الشباب بسبب رفضهم إغلاق المذياع، ويقول هذا الجندي أيضا" إننا كنا نضرب العرب دون سبب، بل إنه الملل من الوقوف الطويل على الحاجز" (أبو بكر، 2005 : 32). ومن ضمن الإجراءات الموجهة ضد الفرد عبر الحواجز العسكرية في انتفاضة الأقصى ما تعلق بالتهديد والتخويف والشروع بالقتل، عبر أساليب مختلفة منها ما تعلق باستعمال الفلسطينيين كدروع بشرية، وذلك عندما يتهدد خطر ما حياة الجنود الإسرائيليين كما حدث في اقتحام مخيم جنين، أو عندما يتعرض الجيش الإسرائيلي للرشق بالحجارة، وكثيرا ما شهدت الحواجز العسكرية إطلاق الجنود لقنابل الغاز لإجبار المواطنين على العودة إلى منازلهم.وأخيرا قد كثيرا ما تسببت الحواجز العسكرية في قتل الأطفال نتيجة إعاقتهم من الوصول إلى المستشفيات ومنها على سبيل المثال موت الطفلة مادلين مناصرة التي كانت تحملها أمها إلى المستشفى في مدينة نابلس بعد احتجازها في أجواء شديدة الحرارة ففارقت هذه الطفلة الحياة (علقم، وكناعنة، 2003 : 316).

جانب آخر من جوانب التحطيم النفسي للفلسطينيين عبر الحواجز العسكرية، يتعلق هذا الجانب بقضية الاستعلاء الحضاري، عن طريق تطبيق آلية التمييز العنصري ما بين اليهود والعرب وإظهار اليهود بأنهم أعلى درجة من العرب. وكذلك الحال ما يقدم عليه الجنود من إزعاج مستمر للفلسطينيين عبر الحواجز المفاجئة والطيارة، وإغلاق الطرق، بشكل مفاجئ، واحتجاز وتعويق المسافرين، بهدف الضغط المعنوي على الفلسطينيين، وإجراءات التفتيش المتواصلة التي تهدف إلى سلسة من العقاب الجماعي بهدف التخويف والإذلال المعنوي (علقم وكناعنة ، 2003 ، 235-248).

تركت الحواجز آثارا نفسية واجتماعية على المجتمع الفلسطيني في انتفاضة الأقصى بشكل عام، وخاصة على الآباء الذين ظهر عندهم القلق نتيجة لتأخر أبنائهم على الحواجز العسكرية الإسرائيلية، مما انعكس سلبا على الأسرة الفلسطينية. أظهرت الدراسات التي أجريت على عينات من المجتمع الفلسطيني في مناطق الشمال أن هناك العديد من المشاكل النفسية التي ظهرت بين الآباء، ومنها:الحرص الدائم والزائد،

وزيادة مستوى العصبية، وقلة الزيارات العائلية والخوف وعدم الأمان(أبو زيادة ، 2005 :48). وتعتبر هذه الأعراض مقدمات للإحباط الذي بدأ يعاني منه الفلسطينيون في انتفاضة الأقصى.

5. 4 سياسة هدم المنازل

تعتبر سياسة هدم المنازل إحدى آليات العقاب الجماعي التي دأبت إسرائيل على إتباعها منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين منذ العام 1948 ولغاية الآن، وكانت تهدف إلى إحلال العنصر البشري الصهيوني مكان السكان العرب. وقد نجحت إسرائيل في هذه السياسية تحت وطأة عنف الحركة الصهيونية التي ارتكبت مزيدا من المجازر بحق الشعب الفلسطيني.مما دفع آلاف الفلسطينيين إلى الهجرة خارج أرضهم، وقد دمرت إسرائيل آلاف المنازل الفلسطينية على خلفية مشاركة أحد أفراد العائلة في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي. واستمرت هذه السياسة وتراوحت أسباب الهدم، ما بين العمل على توسيع المستوطنات، وذلك، عبر هدم المنازل التي تقع بمحاذاة هذه المستوطنات، لتضييق المنطقة الجغرافية التي يمتلكها الفلسطينيون مقابل توسيع المنطقة التي يمتلكها الاسرائيليون. ومن الأسباب الأخرى، الهدم بحجة عدم وجود ترخيص، وهي السياسة الإسرائيلية التي تتبعها إسرائيل داخل حدود بلدية القدس منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للمدينة المقدسة في العام 1967. وهناك حجج أخرى لهدم المنازل تتعلق بإجراءات العقوبات الجماعية ضد فلسطينيين أدينوا من قبل المحكمة الإسرائيلية، وأسباب أخرى تتعلق بالتخطيط العمراني. وقد أشارت مؤسسة الحق إلى مجموعة من الاسباب التي تتعلق بعملية الهدم ومنها: حماية حياة الجنود الإسرائيليين، وردع السكان العرب عن مساعدة أشخاص مطلوبين وتقديم المأوى لهم، ولضمان سلامة السكان المحليين وممتلكاتهم (تايلور، الحق، 1993 :31-34).

في بداية الانتفاضة الأولى حدث تطور على سياسة هدم المنازل، وبدأت إسرائيل بتطبيق هذه الآلية بهدف فرض العقوبات الجماعية على الفلسطينيين الذين شاركوا في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد قامت إسرائيل بهدم 173 منزلا بشكل كلي و 80 منزلا بشكل جزئي إضافة إلى قيام إسرائيل بإغلاق 65 منزلا بشكل جزئي خلال فترة الانتفاضة الأولى (مركز المعلومات الفلسطيني :2007 :2).

في انتفاضة الأقصى وبتاريخ 01/08/2002 أعلنت الحكومة الإسرائيلية رسميا عن عزمها تنفيذ عمليات هدم للمنازل التي تعود إلى أشخاص قاموا بتنفيذ عمليات فدائية ضد الإسرائيليين، أو بمجرد

المساعدة في تنفيذ هذه العمليات سواء في الأراضي المحتلة عام 1967 أو الأراضي المحتلة في العام 1948. وقد وفرت المحكمة الغطاء القانوني من أجل سياسة الهدم حيث أصدرت محكمة العدل العليا بتاريخ 06/08/2002 قرارا يهدف إلى هدم منازل المقاومين الفلسطينيين استنادا إلى المادة 119 من أنظمة الطوارئ البريطانية في العام 1945. وأضيفت آليات وحجج أخرى لعملية الهدم من بينها القصف بالطائرات ، لأماكن يتواجد فيها مطلوبون لأجهزة الآمن الإسرائيلية، أو لأقرباء من شارك في عمليات فدائية في إسرائيل، أو بأسباب تتعلق بحماية الجنود الإسرائيليين وسلامتهم، أو ممن قدموا المساعدة والمأوى لمطلوبين لقوات الاحتلال ، وقد أشارت تقارير نشرها المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن 4885 منزلا قد تم هدمه من قبل قوات الأمن الإسرائيلية ما بين سبتمبر 2000 ولغاية ديسمبر 2004، وأن أكثر من نصف هذا العدد هدم بشكل كامل (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، دراسة رقم 41 ، 2005 :9).

تتضمن عملية هدم المنازل وتدميرها جانبا مهما في الحرب النفسية الموجهة للخصم تشتمل على إثارة الرعب والفزع بين المواطنين، حيث تعمل إسرائيل من خلال عملية اقتحام المنطقة المستهدفة ليلا بحشود ضخمة من العدة والعتاد والجنود، تساندها طائرات هيلوكبتر، مع استخدام مصابيح الإنارة وإطلاق النار العشوائي لتحطيم المعنويات وإثارة الهلع والخوف بين سكان البيوت المجاورة، وفي نفس الوقت تعمل مكبرات الصوت على توجيه نداءات إلى أصحاب المنزل بوجوب مغادرته خلال فترة زمنية محددة، ليشكل ذلك عاملا رادعا للآخرين عن القيام بعمليات المقاومة (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني ، 2003 :3).

إيهود باراك عندما كان رئيسا لهيئة الأركان الإسرائيلية في العام 1993 دافع عن أسلوب هدم المنازل" إن الأسلوب يمكن تبريره طالما يخلق حالة يرفض فيها عدد قليل من الفلسطينيين أن يقدموا مأوى، أو أن عددا قليلا من طريدي العدالة يوافقون على ترك الأماكن التي يختبئون فيها بدون مقاومة "(تايلور، الحق، 1993 : 34) في إشارة إلى إحدى أهداف سياسة تدمير المنازل الفلسطينية، وهي سياسة الردع، والتي تعتبر بمثابة وسيلة للحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد الإنسان الفلسطيني بشكل خاص، والمجتمع الفلسطيني بشكل عام. إضافة إلى ترهيب السكان، كوسيلة ضغط عليهم لوقف الانتفاضة، أو إجبارهم على الرحيل عن أرضهم (الزرو، 2000 :10).

لجأت إسرائيل أيضا لهذه الوسيلة لردع المقاومين عن المشاركة في العمليات الفدائية ضد الإسرائيليين، وذلك تحت الضغط النفسي على هؤلاء المقاومين، إذ أن عملية هدم البيوت والمنازل تمس بالحاجات الفسيولوجية الأساسية، كالحاجة إلى الغذاء والأمن وغيرها، وحيث أن المختصين النفسيين يرون أن الأثر النفسي العميق لعملية الهدم التي تحصل بشكل مفاجئ وغير متوقع، تثير الرعب والفزع في نفوس الكبار والصغار على حد سواء، مما يعني انهيار الأمن النفسي للفرد، وبالتالي تدمير البيئة النفسية والفكرية لأصحاب المنازل الذين يفقدون عملية التوازن النفسي بسبب هذا الهدم(مركز المعلومات الفلسطيني ، 2006 :4). إن ذلك الخطر الذي يكتنف الفرد بسبب عمليات الهدم يعتبر عاملا رادعا للمقاومين بالنسبة للعاملين في دهاليز السياسة الإسرائيلية، وكجزء من الحرب النفسية الموجهة ضد الفلسطينيين، وعاملا مدمرا ومحبطا للفلسطينيين الذين يجدون أنفسهم دون مأوى. وقد عقب بنيامين بن العيازر الذي كان وزيرا للدفاع في عهد حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون على الهدوء الذي أعقب تنفيذ هذه السياسة في ذلك الوقت، " أن الهدوء النسبي هو نتيجة وسائل الردع وحساب النفس لدى الفلسطينيين " وتحدث عن انخفاض للعمليات الفدائية في تلك الفترة بسبب عمليات هدم البيوت أو الطرد، والذي بدوره طالب جهاز الأمن العام بالسماح بهدم بيوت أقرباء الانتحاريين بهدف الردع (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2002 :1).

5. 5 سياسة الاغتيالات والقتل المستهدف

استند اليهود في عمليات القتل والتصفيات التي ارتكبوها على مدى القرن الماضي على فقرات من التلمود تتيح لهم قتل غير اليهود من الغوييم، وقد اعتبر زعيمهم جابوتنسكي المنظم الأول لمعظم التنظيمات الإرهابية السرية في فلسطين، والتي ضمت كل من مناحيم بيغن، وأبراهام شتيرن، واسحق شامير، وقد امتدت عمليات القتل والتصفيات تحت غطاء الدولة بعد تأسيسها في العام 1948. وقد نجحت إسرائيل في سياسة التصفيات الجسدية قديما وحديثا بفعل عدة عوامل أساسية منها، اعتمادها على فقرات من التلمود، واعتمادها على عنصرية القوانين الصهيونية، وفكرة أن العربي الجيد هو العربي الميت، إضافة إلى عامل التفوق في مجال الاستخبارات، والقدرة على اختراق المقاومة بفضل تهافت كثير من الدول على التعاون مع الموساد الإسرائيلي، وأسباب فلسطينية تتعلق بعدم التعامل مع مبدأ الحذر، والإمكانيات والقدرات العسكرية

الفلسطينية المتواضعة، وأسباب تتعلق بالتعاون مع إسرائيل من بعض أبناء الشعب الفلسطيني، إضافة إلى تواطؤ المجتمع الدولي مع الإرهاب الإسرائيلي (لبد ، 2001: 89).

منذ العام 1948 دأبت إسرائيل على استخدام التصفيات الجسدية بشكل يتناسب مع التصاعد في حدة الصراع العربي الإسرائيلي، وهو ما يعني أن عمليات التصفية كانت تقل مع ميل الفلسطينيين إلى الهدوء وعدم المقاومة، بينما كانت تزداد مع لجوء الفلسطينيين إلى المقاومة والدفاع عن أراضيهم(دافيد ، 2004 : 7). ويشير الجنرال أهارون ياريف الذي شغل منصب قائد الاستخبارات العسكرية في حرب عام 1967 والمستشار العسكري لرئيسة الوزراء الإسرائيلي الأسبق جولدا مائير، أنه كان أول من اقترح عليها تبني عمليات الاغتيال كأسلوب لمواجهة المقاومة الفلسطينية، وذلك، بعد أن قام فدائيون فلسطينيون بخطف وقتل أحد عشر رياضيا إسرائيليا كانوا يشاركون في الدورة الأولمبية التي نظمت في ميونخ بألمانيا عام 1972، حيث اقترح عليها القيام بتصفيات جسدية لقادة منظمة أيلول الأسود(التعامي 2001 :3). وقد نفذت إسرائيل العديد من التصفيات الجسدية في داخل فلسطين وخارجها، من أبرزها: عمليات اغتيال لثلاثة من قيادي منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت في عام 1973، وهم كمال عدوان، وكمال ناصر، ومحمد يوسف النجار، وتصفية أبو جهاد في العام 1988 في تونس، واغتيال فتحي الشقاقي زعيم حركة الجهاد الإسلامي في تونس عام 1995، واغتيال يحيي عياش في العام 1996، فيما كان يتحدث من جهاز خلوي تم تفخيخه من قبل جهاز الأمن العام الإسرائيلي (دافيد 2004:9)، فيما فشلت إسرائيل في عملية اغتيال لخالد مشعل في عمان أيلول 1997، وذلك عندما نجح اثنان من عملاء الموساد في تسميم خالد مشعل، ولكن المخابرات الأردنية ألقت القبض عليهم. هذا فضلا عن عمليات الاغتيال المتواصلة التي نفذتها إسرائيل في انتفاضة الأقصى لعدد من القيادات السياسية والعسكرية للفصائل الفلسطينية، ومن أبرزهم الشيخ أحمد ياسين مؤسسة حركة المقاومة الإسلامية حماس، وعبد العزيز الرنتيسي من حركة حماس وغيرهم.

لجأت إسرائيل إلى سياسة التصفيات الجسدية بحق المقاومين أو ما يعرف في الإعلام الإسرائيلي بسياسة القتل المستهدف، وذلك، بسبب تقليص النسبة ما بين القتلى اليهود والفلسطينيين في انتفاضة الأقصى. ففي الوقت الذي كانت نسبة قتلى اليهود إلى الفلسطينيين في الانتفاضة الأولى هي 1—25، فإن النسبة في الانتفاضة الثانية أصبحت 3–12 (دافيد:2004 :10). وقد أعطى الحاخام" يسرائيل مائير لاو" شرعية كاملة

لسياسة الاغتيالات الإسرائيلية "أن الدين يؤيد سياسة الإحباط الفعال {الاغتيال لمن يشتبه بأنهم يعدون لأعمال ضد قوات جيش الاحتلال، حتى وهم نائمون بين أولادهم ودون أية محاكمات مسبقة أو حتى غيابية} التي تنتهجها إسرائيل، وتنفذ من قبل قوات الأمن بهدف منع "الإرهابيين" من مواصلة تخطيط وتنفيذ العمليات "(الشرعة ، ، ، 2002 :29).

في الوقت الذي تعتبر إسرائيل أن الأشخاص المستهدفين من قبل الهجمات العسكرية الإسرائيلية هم أشخاص تتعرف عليهم بواسطة مخابراتها وعملائها" وهم من المخططون "للأعمال الإرهابية" أو من هم في طريقهم لتنفيذ" أعمال إرهابية" (ديفيد، 2004:11)، فإن موجة من التصفيات بدأت في العام 2002، عندما شنت طائرة عسكرية إسرائيلية من طراز أف 16 غارة على منازل فلسطينية في غزة، قتل فيها 19 عشر فلسطينيا منهم تسعة أطفال ورضيعة عمرها شهران وثلاثة رجال من بينهم صلاح شحادة، فيما أعلن شارون في ذلك الوقت عن ضرب أكبر ناشط في حماس بعد أن تأكد من مقتل شحادة، وأنه لم يقصد المس بالمدنيين(مناع، 2004، 209).

استخدمت إسرائيل عددا من الوسائل من أجل القيام بعمليات تصفية للمقاومين الفلسطينيين والتنظيمات الفلسطينية، وكان من أهم هذه الوسائل القصف بالصواريخ، وهو الأكثر شيوعا في انتفاضة الأقصى وأكثرها تدميرا وفتكا، والقصف من خلال المروحيات أو طائرات F16 التي ابتاعتها إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية، فمن بين 103 فلسطينيين تم اغتيالهم في العام 2001 تم تصفية 56 منهم بهذا الأسلوب، .ومما يساعد على نجاعة هذا الأسلوب هو اعتماده على العملاء الذين تحدثت مصادر أمنية فلسطينية عنهم بأن العميل يقوم بسكب مادة كيماوية عديمة اللون والرائحة على السيارة المطلوب التعرف عليها من قبل الطائرة التي ستنفذ عملية الاغتيال، فيما تعطي المادة الكيماوية أشعاعا تلتقطه الطائرة المستهدفة وبذلك تتم عملية القصف الصاروخي (الحوراني، 2002 : 67). وهناك أساليب أخرى للاغتيال ومنها القتل المباشر، عن طريق القنص المباشر، أو نصب الكمائن للمقاومين، أو القتل على الحواجز العسكرية الإسرائيلية، وتقوم بذلك عدة وحدات من الجيش أهمها وحدة المستعربين " دوفيد فان"، وهم يتمتعون بمزايا أهمها أنهم من ذوي الملامح الشرقية مما يمكنهم من العمل وسط التجمعات الفلسطينية، ويقومون بعمليات الاختطاف والتنقل في سيارات مدنية. وهناك وحدات أخرى من المستعربين وهي وحدة شمشون، ووحدة

ايجوز، ووحدة سرية الأركان، ووحدة خاروف، والوحدة المختارة لمكافحة الإرهاب، ووحدة جدعونيم، إضافة إلى عناصر جيش لحد اللبناني الذين فروا إلى إسرائيل (النعامي ، 2001 :5).

أساليب أخرى من أساليب الاغتيال لجأت إليها إسرائيل في انتفاضة الأقصى، وذلك عن طريق زرع العبوات الناسفة ، مثل حالة إبراهيم عبيات في بيت لحم، وتتم عن طريق العملاء الذين يقومون بزرع هذه العبوات للمطلوبين ومن ثم القيام بتفجيرها. وأخيرا هناك اسلوب آخر من أساليب الاغتيال من خلال إطلاق قذائف الدبابات بصورة مباشرة على البيت أو السيارة التي يتواجد فيها المقاوم. وقد ظهرت وسائل جديدة من أساليب الاغتيال في انتفاضة الأقصى وذلك، من خلال الهاتف المفخخ أو كابينة الهاتف المفخخ أو عن طريق استخدام الأجهزة الخلوية وتفخيخها الكترونيا.

استهدفت إسرائيل في انتفاضة الأقصى عددا من القيادات المحلية الفلسطينية من الدرجة الثانية أو الثالثة، لكنها استهدفت زعماء سياسيين من الصف الأول، مثل أبو علي مصطفى أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واستهدفت قادة معتدلين مثل ثابت– ثابت في كانون أول من العام 2000، وإلى ذلك تشير تانيا راينهارت إلى أن ذلك يمثل إشارة للفلسطينيين ولحركة السلام الإسرائيلية على حد سواء، بأن عملية السلام قد انتهت، وأن هؤلاء المعتدلين من أمثال ثابت ونسيبة يشكلون التهديد الأخطر في ظل عملية التطهير العرقي القائمة في الانتفاضة (راينهارت ، 2004 : 194).

كان لسياسة التصفيات الجسدية أثرا كبيرا على الهجرة البطيئة من قبل الفلسطينيين للخارج وتشير الإحصائيات في هذا المجال إلى أن أكثر من 150 ألف من الفلسطينيين حتى حزيران 2001 قد هاجروا إلى الأردن نتيجة التصفيات والقمع المتواصل وذلك سعيا إلى تفريغ الأرض من سكانها إما بالتهجير أو التصفية الجسدية (راينهارت، 2004 : 195).

تسعى سياسة التصفيات الجسدية أو القتل المستهدف في انتفاضة الأقصى إلى تحقيق أهداف أخرى مثل: تقليص العنصر البشري الذي يتمتع بكريزما خاصة في أعمال المقاومة ضد إسرائيل، وذلك عن طريق القتل وهو شكل يؤدي إلى التقليل من نجاعة التنظيمات الفلسطينية في القيام بعمليات فدائية داخل إسرائيل مما يحد من كفاءتها (دافيد، 2004 : 12 ، الحوراني ، 63:2002).

ثمة هدف سياسي آخر هدفت إليه إسرائيل من جراء تطبيقها لإلية الاغتيالات والتصفيات في انتفاضة الأقصى، وهو العمل على تخفيض سقف التوقعات الفلسطينية في المفاوضات مع إسرائيل ، وقد أوضح شارون من أن الإفراط في القوة سيحقق هذه الهدف، ومن الملاحظ أن السلطة الفلسطينية في بداية الانتفاضة قد قبلت فكرة وقف إطلاق النار مقابل عودة إسرائيل إلى حدود ما قبل الانتفاضة (النعامي، 2002 : 3). وهي سياسة ترتبط بالآليات المختلفة للحرب النفسية الإسرائيلية التي طبقتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني من حصار، وإغلاق، وهدم للمنازل وغيرها.

عملت الحرب النفسية الإسرائيلية من خلال سياسة القتل المستهدف ، إلى الأخذ بمبدأ الهروب من قبل المقاومين الفلسطينيين. وفي الحرب النفسية تجبر هذه السياسة المهددين بالاغتيال لتغيير نمط حياتهم اليومي، وربما تسليم أنفسهم إلى قوات الأمن الإسرائيلية، أو من خلال تجنب المواجهة المباشرة مع الإسرائيليين حفاظا على حياتهم. لقد فرضت هذه السياسة واقعا على المطلوبين لقوات الأمن الإسرائيلية من قيادات فلسطينية عسكرية وسياسية، حيث أن قيام إسرائيل بتزويد السلطة الفلسطينية بقائمة بأسماء المطلوبين الفلسطينيين عمدا وضمن فلسفة الحرب النفسية ضدهم، من أجل أن يفهموا أنهم مطلوبون لقوات الأمن، بشكل يمكنهم بالعمل وفق مبدأ الهروب، وهو ما حدث بالفعل، فالبعض قد أقدم على تسليم نفسه للسلطة الفلسطينية، والبعض الأخر أجبروا على تغيير نمط حياتهم. وهو الأمر الذي يؤدي إلى تفتيت المقاومة وإضعافها (دافيد ، 2004 : 13).

هدفت الحرب النفسية الإسرائيلية أيضا من خلال خيار سياسة القتل المستهدف ضد المقاومين إلى ردع الآخرين بتخويفهم من مغبة القيام بعمليات فدائية ضد الإسرائيليين (الحوراني ، 2002 : 63) وتشكل عمليات القتل المستهدف أيضا عامل ضغط نفسي وشعبي يقع على عاتق المقاومين بسبب فداحة الخسائر الناجمة عن عملية الاغتيال مما يشكل رادعا آخر لهم (أبو كشك 2007 : 3). وتستهدف سياسة الاغتيالات إلى التأثير على المجتمع من خلال خفض الروح المعنوية لديه ، وبث روح اليأس والاستسلام، من جراء اغتيال القادة العسكريين والسياسيين، وهي رسالة موجهة للشعب الفلسطيني بعدم المشاركة في المقاومة أو الاحتجاج على سياسة الاغتيالات، وترسيخ القناعة لديه بأن من يقاوم إسرائيل لن يفلت من العقاب (أبو كشك ، 2007 :3، الشرعة ، 2002 : 35).

إن نجاح التصفيات والاغتيالات يحتاج إلى تعبئة مستمرة للجبهة الداخلية الإسرائيلية، وهو الأمر الذي اهتم به القائمون على الحرب النفسية في إسرائيل لمواجهة الشعب الفلسطيني، حيث كان هناك إجماع على تأييد هذه السياسة. أجرت صحيفة معاريف في يوليو 2001 استطلاعا خاصا بعمليات التصفية للقيادات الفلسطينية، تبين بنتيجته أن 90 % من الجمهور الإسرائيلي يؤيد هذه السياسة، وذلك كرد مناسب على العمليات الفدائية الفلسطينية ضد الإسرائيليين، وبذلك تكون الجبهة الداخلية الإسرائيلية موحدة في مواجهة سياسة التصفيات مما ينعكس إيجابا على كسب الرأي العام العالمي (دافيد، 2004 : 14)

وأخيرا وفي سياق الحرب النفسية الإسرائيلية ضمن سياسة القتل المستهدف فقد اعتمد أرييل شارون على سياسة الضربة الشاملة والقاضية، من خلال عمليات الإحباط المركز التي تلجأ إليها إسرائيل بشكل متواصل من التصفيات الجسدية مصحوبة بتوسيع دائرة الاغتيالات لتشمل المستويات السياسية في المنظمات الفلسطينية، وذلك لحسم المواجهة مع الشعب الفلسطيني من خلال الانتفاضة دون إعطائهم أي فرصة للتوصل إلى تسوية سياسية مع الفلسطينيين من خلال طاولة المفاوضات(النعامي 2001 : 4). ولذلك كان يلاحظ لجوء إسرائيل في انتفاضة الأقصى إلى القيام بتصفية متواصلة ضد المطلوبين الفلسطينيين دون إعطائهم أية فرصة لاستجماع قواهم، وعلى سبيل المثال اغتيل جمال منصور وجمال سليم بتاريخ 31/07/2001 ، ومحاولة اغتيال فاشلة لمهند أبو الحلاوة بتاريخ 04/08/2001، وفي 05/08/2001 اغتيل عامر منصور الخضيري، وفي 13/08/2001 اغتيل ناصر أبو زيدية، واغتيل عماد أبو سنينة بتاريخ 15/08/2001 واغتيل أبو علي مصطفى بتاريخ 27/08/2001، وحمود أبو هنود بتاريخ 23/11/2001 (الشرعة ، 2002 54-57).

5. 6 الاعتقالات والتحقيق والحرب النفسية الإسرائيلية

ظاهرة الاعتقالات بدأت إسرائيل تطبيقها بحق المقاومين الفلسطينيين منذ اليوم الأول لاحتلالها فلسطين، وذلك في محاولتها إخضاع وقتل المقاومة في مهدها، وانتشرت السجون في كامل الضفة الغربية وقطاع غزة من جنين شمالا إلى الخليل جنوبا، وعلى امتداد قطاع غزة، بل إنها امتدت لتشمل سجن الرملة في داخل فلسطين المحتلة عام 1948. وقد قدرت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان عدد حالات الاعتقال بين عامي 1967—1987 نحو 535 ألف معتقل فلسطيني، بينما قدرت أعداد المعتقلين الفلسطينيين ممن تم

اعتقالهم ما بين عام 1987 ولغاية عام 1994، بحوالي 275 ألف معتقل فلسطيني (أبو شلال ، مؤسسة التضامن 1999 :51). ومن هذه الأرقام تتضح أهمية الاعتقالات كسلاح فعال لجأت إليه إسرائيل في محاولة لإخضاع الشعب الفلسطيني، وإجباره على التكيّف وفق المعطيات الإسرائيلية.

ومنذ العام 1967 دأبت السلطات الإسرائيلية على اعتقال كل من يثبت عليه أو يشتبه بارتباطه بالمقاومة الفلسطينية من قريب أو بعيد. وقد خاضت الحركة الأسيرة سلسلة من الإضرابات والتحركات النضالية كان أبرزها الإضراب الذي قامت به الحركة الأسيرة الأولى والتي انطلقت منذ العام 1972 -- 1973، ثم تطور الأمر بعد ذلك ليفتح الطريق أمام الانتفاضة الأولى للحركة الأسيرة في العام 1976، بسبب حرمان هذه الحركة من أبسط الحاجات الفسيولوجية الأساسية لحياة الإنسان. واستطاعت أن تحقق بعض المطالب الخاصة بتحسين مختلف نواحي الحياة داخل السجون، وإثر تراجع إدارة السجون عن وعودها انطلقت الانتفاضة الكبرى الثانية في العام 1977 لتحقيق مطالب تتعلق بتحسين ظروف الحياة داخل السجن، وتحقيق المطالب السابقة التي تراجعت عنها السلطات، وانتصرت هذه الإرادة في ذلك الوقت وحقق المعتقلون مزيدا من مطالبهم (أبو غوش ، 2004 : 124).

مع بداية الانتفاضة الأولى في العام 1987، والتي تميزت بطابعها الشعبي غير العسكري لجأت السلطات إلى اعتقال أعداد كبيرة من مختلف فئات الشعب الفلسطيني، وتنوعت التهم، فمن تهمة الرشق بالحجارة والمولوتوف للجيش الإسرائيلي والمستوطنين، إلى تهمة التحريض وكتابة الشعارات، وتوزيع بيانات الانتفاضة، إلى تهم الأخرى، مثل الهجمات المسلحة أو قتل مستوطنين وجنود من جيش الاحتلال الإسرائيلي. وقد لجأت إسرائيل إلى ما عرف بالاعتقال الإداري الذي استخدمته إسرائيل منذ السنوات الأولى لاحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967. ورغم تراجع العمل بالية الاعتقال الإداري في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، إلا أن السلطات عادت إلى العمل به في الانتفاضة الأولى عام 1987. وتعرف عملية الاعتقال الإداري على أنه الاعتقال دون محاكمة لمدة سنة كاملة مع إمكانية تجديدها لفترة زمنية غير محددة ويعتبر هذا القانون احترازيا بسبب أمن المنطقة أو سلامة الجمهور (أبو الهيجاء ، 2004 : 172).

أما في انتفاضة الأقصى، فقد كثفت إسرائيل أيضا من سياسة الاعتقالات وخاصة أثناء اجتياح مدن الضفة الغربية في العام 2001، وقد بلغ عدد المعتقلين في العام 2001 أكثر من حوالي 2000 فلسطيني، تم

محاكمتهم دون توفير قواعد عامة للمحاكمة(الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن ، 2001: 78). ولجأت أيضا إلى أسلوب الاعتقال الإداري، حيث لجأت إسرائيل إلى فتح معسكرات جديدة مثل معسكر عوفر غربي مدينة رام الله ، ومعسكر حواره جنوبي مدينة نابلس، وأعادت افتتاح معتقل أنصار 3 في صحراء النقب، وذلك لاستيعاب آلاف الفلسطينيين الذين تم اعتقالهم أثناء الاجتياح، وتحويل عدد كبير منهم إلى الاعتقال الإداري، بسبب عدم توافر الأدلة على تورطهم بأية أعمال تخل بالأمن. مع الملاحظة أن الاعتقال الإداري يعد مخالفة لحقوق الإنسان، وذلك حسبما نصت عليه الفقرة 9 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتي تنص على عدم جواز اعتقال أي إنسان أو حجزه أو منعه تعسفا (أبو الهيجاء : 2004 : 172).

5 . 6 . 1 أساليب الاعتقال

منذ بداية الانتفاضة الأولى، وسعت إسرائيل من سياسة الاعتقالات على الحواجز وفق أسماء معدة مسبقا، وذلك من خلال الحواجز العسكرية الثابتة، أو من خلال الحواجز المفاجئة، التي أتفق على تسميتها بالحواجز الطيارة، حيث تقوم قوات الأمن الإسرائيلية بوضع حواجز مفاجئة على الطرق الرئيسة أو الفرعية بهدف اعتقال مطلوبين لقوات الأمن. تهدف هذه الطريقة في الاعتقال إلى إذلال وتحطيم معنويات المعتقل من خلال احتجازه لفترات طويلة في العراء، إضافة إلى استخدام هذا الشكل من الاعتقال ليكون تخويفا ورادعا للآخرين من المارة في الطريق من ارتكاب أعمال عدائية ضد الإسرائيليين، ويعتبر ما تحدث عنه نبيل علقم في دراسته لدور الحواجز في الإخضاع والاقتلاع مثالا لذلك، ومنه ما حصل مع أحد المعتقلين من مخيم الجلزون وهو إنسان مقعد حيث تم اعتقاله وضربه وإهانته بين المارة على طريق معبر الجوال قرب رام الله في بداية الانتفاضة (علقم وكناعنه ، 2003 :288)

تصاعدت وتيرة الاعتقالات العشوائية في انتفاضة الأقصى وخصوصا أثناء اجتياح مدن الضفة الغربية في بداية الانتفاضة. وتتم عملية الاعتقال العشوائية وسط أجواء من منع التجول، وإطلاق الرصاص والقنابل على المواطنين، وتقوم قوات الأمن بعمليات ترهيب للأطفال والنساء وكبار السن، وبتكسير لمحتويات وأثاث البيوت، وتعمل على تجميع سكان المنازل في العراء. وحسب سجلات مركز المعلومات الفلسطيني في الفترة ما بين 28/09/2000 ولغاية 28/09/2003 ، فقد تم تسجيل حوالي 35 ألف حالة اعتقال في مختلف مدن الضفة الغربية معظمهم من المدنيين. وتهدف سياسة الاعتقالات العشوائية

الجماعية إلى إثارة مشاعر الخوف والقلق والإحباط بين صفوف المواطنين، مما يدفعهم إلى تغيير مواقفهم واتجاهاتهم(مركز المعلومات الفلسطيني، 2003 : 2) .

تلجأ قوات الأمن الإسرائيلية إلى اعتقال المطلوبين لقوات الأمن ممن هم بين أوساط الشعب الفلسطيني، بواسطة وحدات خاصة من المستعربين، ومن بين هذه الوحدات وحدة " دوفيدفان" التي تعمل في الضفة الغربية، وتتسم هذه الوحدة بملامح شرقية، حيث تقوم بعمليات تنكر مرتدية الزي الشعبي الفلسطيني، لتسهيل مهمتها في الاعتقال أو الاغتيال، ويستعمل هؤلاء سيارات عربية لتنفيذ مهامهم، وهناك وحدة شمشون التي تعمل في قطاع غزة، إضافة إلى وحدة النواة. وقد نشطت وحدة إيجوز بنصب كمائن مسلحة وحواجز طياره على الشوارع الرئيسة في الضفة الغربية لإلقاء القبض على المطلوبين، أما في مدينة القدس فتعمل وحدة جدعونيم التي تقوم بعمليات اختطاف وإعتقال للمطلوبين (النعامي ، 2001 :3). تعتمد هذه الوحدات على عنصري المفاجأة في مباغتة المطلوبين لقوات الأمن، وإثارة الفزع والخوف في صفوف المواطنين، وقد نجحت هذه الوحدات في تنفيذ مهماتها بمساعدة العملاء.

دأبت إسرائيل منذ احتلالها لفلسطين في العام 1948 وبعد الاحتلال الإسرائيلي لباقي فلسطين في العام 1967 على القيام بعمليات مداهمة واعتقال لمطلوبين لقوات الأمن من أماكن سكناهم، وتتم هذه العمليات بطريقتين الأولى: عبر مباغتة المطلوب في مكان سكناه في ساعة متأخرة من الليل بشكل خاطف وسريع، مع إبقاء مساندة عسكرية تتمركز في موضع قريب من الهدف، للتدخل في حالة تعرض الجنود للخطر.أما الطريقة الثانية: فتتم بوساطة اقتحام للمدن والمخيمات والقرى الفلسطينية من خلال حشود عسكرية مكثفة، ومن ثم تقوم بفرض منع التجول للقيام باعتقال مطلوبين لقوات الأمن وقد استعملت كلتا الطريقتين في الانتفاضة الأولى في العام 1987، وانتفاضة الأقصى في العام 2000. وتسعى قوات الأمن الإسرائيلية في كلتا الحالتين إلى تجنيد قوة كبيرة للاعتقال، وذلك، بهدف القيام بإرباك المعتقل وذويه ووضعهم في حالة نفسية صعبة، عبر غرس الخوف والرعب، وتقريب المعتقل من الاعتراف (حماس، 2003 :13 ، قاسم ، 1986 :24).

وهناك أساليب أخرى للاعتقال دأبت عليها قوات الأمن الإسرائيلية قبل انتفاضة الأقصى،ولكن تناقص الاعتماد عليها، وأهمها:الاستدعاء إلى مكاتب المخابرات الإسرائيلية في محاولة للاختراق الأمني لبيئة الشخص المطلوب، والحصول على معلومات مفصلة عنه،وقد تلجأ المخابرات إلى عقد صفقة مع المطلوب،أهمها الإفراج عنه مقابل التعامل، أو الإفراج مقابل تقديم المعلومات عن أصدقائه، أو الاعتراف مقابل الإفراج،ومن الأشكال الأخرى للاعتقالات ما تعلق بالكمين والاستدراج للمطلوبين بغية الإمساك بهم عند تنفيذ مهمة معينة،أو نصب كمين للمطلوب حال توفر معلومات عن تردده على مكان معين(حماس 2003 : 12).

5 . 6 . 2 الضغط النفسي للمطلوبين والمعتقلين على المجتمع

تترك عملية الاعتقال آثارا نفسية واجتماعية خطيرة على الأسرة، سواء كان المعتقل هو رب الأسرة أو أحد أبنائها، فمن جراء عمليات الاعتقال والتعذيب التي يتعرض لها الأسرى، يشكل ذلك نوعا من العبء النفسي على أفراد الأسرة، وقد يترك اعتقال رب الأسرة توترات نفسية نتيجة للانفصال القهري عن أسرته، والذي يتسبب في مشاعر الألم، والقلق، والخوف، والتهميش، الذي يصيب الأطفال (الفرا 2005 ، 3). وفي دراسة لسمير رمضان عن تأثير الخبرات الصادمة وكيفية التقليل منها، أظهرت هذه الدراسة أن اقتحام البيوت والاعتقالات تعتبر من الحوادث المرعبة التي تقع في حياة الأطفال الفلسطينيين، وقد تتسبب في مظاهر سلوكية عندهم مثل قلة النوم والكوابيس المزعجة والنكوص إلى سلوكيات غريزية، مثل التبول على الفراش، أو عادة مص الأصابع عند الأطفال. وقد أظهرت الدراسة أن حوالي 54.6 % من الأطفال يعانون بدرجة حادة من انتشار الاضطرابات النفسية الناتجة عن الصدمة بين الأطفال، بينما يعاني 34.5 بدرجة متوسطة (اليونسكو قوته 2007 : 5).

استغلت إسرائيل قضية المعتقلين والمطلوبين لديها لإحداث ضغط نفسي على المطلوبين أنفسهم وعلى المجتمع الفلسطيني في وقت واحد، من خلال سياسة الهدم الجماعي التي تلجأ إليها إسرائيل في حربها النفسية ضد الفلسطينيين.فعلى سبيل المثال قامت قوات الأمن الإسرائيلية بتاريخ 09/03/2002 بهدم منزل يحيى عدنان الغول من غزة الذي تطارده قوات الأمن منذ عدة سنوات، وكذلك ما أقدمت عليه قوات الأمن الإسرائيلية بتاريخ 19/07/2002 بهدم منزل محمد أحمد عجوري من مخيم عسكر بنابلس، وقامت أيضا

باعتقال صاحب المنزل واثنين من أبنائه بحجة وجود مطلوب لقوات الأمن الإسرائيلية. وقد أقدمت قوات الأمن الإسرائيلية على هدم منزل المواطن محمود طلب عمرو بحجة أن أحد أبناء العائلة التي تسكن المنزل معتقل لدى قوات الأمن الإسرائيلية، ومارس أنشطة مقاومة ضدها (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2003: 6). وتهدف سلطات الأمن الإسرائيلية من ذلك إلى التأثير نفسيا على المطلوبين والمعتقلين بهدف إضعاف معنوياتهم وإخضاعهم، إضافة إلى أنها تهدف من وراء ذلك إلى تشكيل عامل رادع لسكان المنطقة من خطورة التورط بأعمال فدائية ضد الإسرائيليين، من خلال ما تثيره عمليات هدم بيوت المعتقلين من مشاعر الخوف والهلع والفزع في صفوف المواطنين.

أقدم الأمن الإسرائيلي على سياسة أخرى في بداية انتفاضة الأقصى تتعلق بعملية ضغط نفسي على المطلوب لقوات الأمن وعلى أسرته لإجباره على تسليم نفسه تحت طائلة الضغط النفسي المتعلق باعتقال أحد أفراد عائلته، فقد ذكرت إذاعة صوت إسرائيل في برنامج هذا الصباح المذاع يوم الأربعاء بتاريخ 28 شباط 2007، أن قوات الأمن وأثناء اجتياحها لمدينة نابلس قامت باعتقال والدة أحد المطلوبين لقوات الأمن، وذلك من أجل عملية ضغط على المعتقل لتسليم نفسه، ويشكل ذلك حربا نفسية تهدف إلى ردع المطلوبين عن الاستمرار في المقاومة والعمل على تسليم أنفسهم.

أشارت الفقرات السابقة إلى سياسة الاعتقالات كسلاح للحرب النفسية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين لمعاقبتهم من خلال الترويع الذي يصاحب عمليات الاعتقال، ومن خلال الاعتقال بين صفوف الأطفال باعتبارهم الحلقة الأضعف، ومن خلال وسائل ضغط نفسية تمارس على المطلوبين والمعتقلين والمجتمع على حد سواء، وذلك بشكل يؤدي إلى الاستسلام للسيطرة الإسرائيلية. هذه الآثار النفسية تأتي مكملة لأهداف سياسة يستخدم المعتقلون فيها كورقة سياسية للمساومة عليهم في المفاوضات مع إسرائيل، فقد ذكرت جريدة هارتس في شهر يوليو 2003 أن عدد السجناء الذين سيتم إطلاقهم سيتحدد وفقا للتقدم الذي سيحرزه الفلسطينيون في مكافحتهم للإرهاب (كوك ، 2004 : 2). أما على الصعيد الاجتماعي فقد سعت إسرائيل إلى عزل هؤلاء المقاومين عن المجتمع بالاعتقال لمنع تأثيرهم على الآخرين، وإجبارهم على تغيير مفاهيمهم وتثبيط عزائمهم. وفي داخل المعتقلات توجهت الحرب النفسية إلى الفرد والجماعة. فعلى صعيد الفرد ركزت المخابرات الإسرائيلية في حربها النفسية ضد المعتقلين على الضغط على

الأفراد من أجل إضعاف الجماعة. أما على صعيد الجماعة فقد ركزت هذه السلطات على انتهاج وتكـــثيف سياسة العقوبات الجماعية لتفكيك وحدة الجماعة داخل السجن، لكي تبدو جماعة مفككة، مهلهلة، غير قـــادرة على تقديم أي شيء فأصبحت عبارة عن كم عددي ليس أكثر (عبد الله ، 2002 :61).

5 . 6 . 3 في أقبية التحقيق

منذ احتلالها لفلسطين في العام 1948 وفيما بعد العام 1967 لم تتوقف إسرائيل في حربها النفسية الموجهة إلى المعتقلين داخل السجون، لإضعاف معنوياتهم وتثبيط عزائمهم، وأجبرت الكـــثير منهـــم علـــى الاعتراف بتهم باطلة لا أساس لها من الصحة في كثير من القضايا الأمنية المنســـوبة. فقـــد عملـــت إدارة السجون الإسرائيلية على ممارسة أساليب من الضغط النفسي على المعتقلين أفرادا وجماعات. فقد رفضـــت إسرائيل منذ السبعينات من القرن الماضي التعامل مع المعتقلين كجماعات بل تعاونت معهم كأفراد، وبـــذلك عملت على تفتيت وحدتهم، وإشعال الفتنة فيما بينهم، والتركيز على التناقضات الداخلية، وافتعال الأزمـــات وعمليات التخريب النفسي داخل الجماعة، حتى الأفراد فقد لجأت إلى تحطيمهم نفسيا (عبد الله، 2002 :62).

تزايدت الاعتقالات في صفوف المقاومين والمدنيين الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، فقد زاد عـــدد المعتقلين عن 35000 ألف معتقل، بقي منهم حتى العام 2006 حوالي 9800 أسير(صابرون ، 2006 :2). وبذلك نشطت المخابرات الإسرائيلية في محاولاتها لتحطيم الأسير وكسر إرادته وإذلاله للحصـــول علـــى اعترافه بهدف احتواء الانتفاضة وإحباط العمليات الفدائية قبل وقوعها، وتحويله من إنسان مناضل وقوي ذي عزيمة، إلى إنسان محطم وفاقد الثقة بذاته وبقضيته.

5 . 6 . 4 أساليب الضغط النفسي في التحقيق

تصاعدت وتيرة استخدام أساليب الضغط النفسي ضد المعتقلين في انتفاضة الأقصى بهدف الحصول على اعترافات، والتي تحوي أساليب عدة منها: الشبح مدة طويلة وفي أوضاع مختلفة، وهو عبـــارة عـــن تقييد أيدي المعتقل بماسورة أو مربط مثبت في واجهة بحيث يبقى المعتقل واقفا ولا يستطيع الحراك سوى نقل ثقل جسده من رجل إلى أخرى، انه لا يستطيع أن ينام أو يذهب إلى الحمام أو يجلس، وفي نفس الوقت يكون رأسه مغطى بكيس قذر تخرج منه رائحة كريهة (قاسم، 1986 : 27). وقد تطول المدة وقتا طويلا. وقد

ابتكرت المخابرات الإسرائيلية كرسيا صغيرا للجلوس عليه غير مريح، وذلك بهدف إجبار المعتقل تحت الضغط والابتزاز بعد إضعاف طاقته كي يحضر مستسلما إلى المحقق حتى يدلي باعترافاته. وتؤدي هذه الوسيلة إلى تخشب الظهر وتصلب العمود الفقري وازدياد الآلام وتخدر الجسم (حماس ، 2005 : 29). وقد أشار تقرير خاص بمؤسسة صابرون إلى أن 87 % من المعتقلين تعرضوا للشبح في انتفاضة الأقصى ولغاية تاريخ 19/07/2006(صابرون ، 2006 :8).

الحرمان من بعض الحاجات الفسيولوجية الأساسية كالحرمان من النوم والطعام، ومن قضاء الحاجة، والحرمان من زيارة الأهل من بين عوامل الضغط النفسي على المعتقل. ويسبب الحرمان من النوم نوعا من الإرهاق العصبي، مما يؤثر على نفسية المعتقل بفعل السهر والتعب. لقد أوردت الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن تقارير عن استخدام المحققين الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى لأساليب الضغط النفسي والجسدي كالحرمان من النوم والتعريض للإضاءة الشديدة واستخدام أساليب الشبح لعدد من المعتقلين من بينهم أيمن العجلوني من الخليل، ورامي زغلول من قرية حوسان، والمعتقلة الفلسطينية عبير أبو خضير من سكان حي شعفاط بالقدس، والمعتقل ناصر عباد من حي الزيتون في غزة (الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن ، 2001 :79–80). يؤدي الحرمان من الطعام وقضاء الحاجة إلى نوع من الإعياء الذي يؤدي، إلى حصول المحقق على اعترافات من المعتقل.

عزل أصحاب القضايا الخطيرة وسيلة أقدمت عليها إدارة السجون الإسرائيلية وهو ما عرف بأسلوب العزل، ورغم إغلاق هذه الأقسام بفعل الاضرابات المتكررة للأسرى، إلا أنه أعيد افتتاح هذه الأقسام في انتفاضة الأقصى، ومنها ما عرف بعزل الرملة، وبئر السبع، ونفحة. يبقى المعتقل في زنزانة انفرادية لا تتعدى 1.5–2.5 متر وهي مساحة غير صحية لا تدخلها الشمس وغير نظيفة، متعفنة وقذرة وضيقة، وتمر من داخلها المجاري ولا يستطيع المعتقل النوم فيها أو الجلوس أو الوقوف، وتهدف إلى إضعاف التماسك بين الأسرى وكسر الخطوات النضالية(صابرون ، 2006 :5).ومن المعتقلين الذين تم عزلهم في انتفاضة الأقصى على سبيل المثال: المعتقل ناصر عويس من مخيم بلاطة الذي اعتقل في نيسان 2002. (المركز الصحافي الدولي ، 2004 : 5).

ومن أساليب الضغط النفسي الأخرى على المعتقل ما يتعلق بالإيحاء، ذلك أن المحقق يوحي إلى المعتقل أن الآخرين قد اعترفوا عنه ولا فائدة من إنكاره، ويهدف ذلك إلى تشكيك المعتقل وزعزعة ثقته بالآخرين، وقد يكون اعتراف الآخرين حقيقة، وقد يكون مجرد حيلة بهدف الخداع، ويكون ذلك بعدة أساليب منها تجميع المعتقلين في غرفة واحدة حتى يتعرفوا على بعضهم البعض أو بالمواجهة وجها لوجه بين من اعترف وبين المعتقل قيد التحقيق (قاسم، 1986 : 53).

الموسيقى الصاخبة كان لها أثر كبير على المعتقلين أثناء عملية التحقيق، بسبب تأثيرها على الحواس، وتعتبر الموسيقى من الأساليب القديمة التي عادت إسرائيل إلى استخدامها في انتفاضة الأقصى، وهي من أساليب الضغط النفسي على المعتقلين(صابرون ، 2006 :7).لقد لجأت إسرائيل إلى استهداف كرامة المعتقل من خلال توجيه الشتائم البذيئة والنابية له، والحط من كرامته بأن يطلب منه على سبيل المثال تقبيل حذاء المحقق، إضافة إلى التحرش الجنسي، والتهديد بالاغتصاب وخاصة للصغار من المعتقلين، وترك المعتقل مدة طويلة دون استحمام (قراقع 2007 : 4).

واستعمل المحققون الإسرائيليون وسائل أخرى للضغط النفسي على المعتقل، وهو ما عرف بأسلوب الهز، حيث يقوم المحقق بالإمساك بالمعتقل وهزه بشكل منظم وبسرعة كبيرة من خلال مسك ملابسه، بحيث يهتز العنق والصدر والكتفين الأمر الذي يؤدي إلى إصابة المعتقل بحالة من الإغماء ناتجة عن ارتجاج في الدماغ (أبو الهيجاء ، 2004 :81). وقد لجأ المحققون أيضا إلى وسيلتي التنويم المغناطيسي، واستعمال جهاز كشف الكذب، الذي من شأنه أن يعمل على إثارة عنصر الرهبة والخوف من هذا الجهاز قبل استعماله، ويعتمد المحقق على بعض التغيرات الفسيولوجية التي ترصد عندما يقوم المحقق بتوجيه عدد من الأسئلة للمعتقل، مثل التغير في نبضات القلب أو التغير في سرعة الدورة الدموية وإفرازات العرق، ولا يعتبر هذا الجهاز دليلا قاطعا أمام المحكمة، ذلك أنه مخالف في استعماله للقوانين الدولية (قاسم، 1986 : 59). لقد استخدم جهاز التنويم المغناطيسي، اعتمادا على نظرية تداعي الأفكار وكوسيلة لا شعورية لنزع الاعتراف خلال التنويم(أبو الهيجاء ، 2004 :129). تعتبر هذه الأساليب وسيلة من وسائل الحرب النفسية التي يعمل المحقق على الإيحاء للمعتقل بفاعلية جهازي كشف الكذب والتنويم المغناطيسي.

ابتكر المحققون أساليب جديدة لخداع وتضليل المعتقلين قبل وأثناء انتفاضة الأقصى، فقد كان يتم الإيحاء للمعتقل بأن قضيته بسيطة ولا تحتاج إلى كثير من الوقت، فهو أي المحقق مشغول في قضايا كبيرة جدا، وانه سيفرج عن المعتقل مقابل أن يكتب في ورقة بيضاء قضيته، وهنا تتم عملية الخداع حيث يكتب المعتقل اعترافا عن قضية بسيطة. قد تصل عقوبتها إلى ثلاث سنوات. ومن ناحية أخرى فقد اعتمد المحققون على استفزاز الجانب الشعوري للمعتقل لتحريك الآليات اللاشعورية داخله، فيعمل المحقق على اتهام المعتقل بتهمة مضخمة كاذبة، وذلك بشكل يمكن المعتقل من الهروب إلى تهمة صغيرة، بهدف الوصول لإحداث ثغرة بسيطة في التحقيق، مما يؤدي بشكل تدريجي إلى الإنهيار والاعتراف الكامل. إن هذه الوسيلة تهدف إلى وضع المعتقل أمام قضية وتهمة كبيرة بحيث تبدو أعماله تافهة نسبة إلى هذه التهمة، فيبدأ المعتقل بالاعتراف في البداية على تهم بسيطة تتدرج حتى التهمة الأكبر (حماس 2003 : 35).

لقد لجأ المحققون الإسرائيليون إلى أساليب أخرى للتحقيق، وهو ما يعرف بأسلوب العدو والصديق، ضمن عملية خداع كبيرة. يتناوب فيها اثنان من المحققين على المعتقل، يقوم الأول بدور المحقق الطيب، والمحقق الثاني بدور الشرير، فبينما يحاول الشرير انتزاع الاعتراف عبر استعمال القوة البدنية، يحاول المحقق الطيب تهدئة الأمور بتخليص المعتقل من هذا الشرير ومحاولة إقناع المحقق الشرير بأن المعتقل شخص طيب، ويستعمل المحقق الطيب الضغط النفسي على المعتقل عبر الابتزاز والتهديد بالمحقق الآخر، وهنا قد يضعف المعتقل ويعترف للمحقق الطيب ببعض الأمور، يكتشف المعتقل فيما بعد أنه لا فرق بين المحققين (حماس، 2003 : 38).

5 . 6 . 5 المعتقلون والإشاعة و"غرف العار"

تم الحديث في جزء سابق من هذا البحث عن دور العملاء في الإشاعة في انتفاضة الأقصى كأسلوب للحرب النفسية، لجأت إليه إسرائيل لبث الإشاعة بين المعتقلين ، حيث الإشاعة في داخل المعتقلات لا تقل خطورة عن الإشاعة خارج المعتقلات.فقد يلجأ العملاء إلى بث إشاعات توحي بأن عددا من المعتقلين قد اعترفوا بالتهم المنسوبة إليهم من قبل المخابرات الإسرائيلية، مع تأكيد المحققين أنفسهم لذلك الأمر، مما يؤدي إلى خداع الآخرين، ومن ثم انتزاع اعترافهم. وكثيرة هي الإشاعات التي أطلقها العملاء بين صفوف

المعتقلين، والتي أدت إلى اعتراف كثير منهم بالتهم المنسوبة إليهم. يكتشف المعتقل عند خروجه من السجن أن ذلك كان خداعا وتضليلا وأنه أول المعترفين (حماس، 2003 :48).

ينشط العملاء في المعتقلات ببث إشاعات مختلفة بين المعتقلين وذلك بهدف إثارة الفتنة والبلبلة والإيقاع بين الفصائل المختلفة، وإثارة الأحقاد فيما بينهم، عبر أساليب مختلفة، منها: تظاهر العميل بالتطرف الفكري لتنظيمه المزيف وشتم الفصائل الأخرى، وتغيير الانتماء من فصيل إلى فصيل، وافتعال الأزمات مع الفصائل الأخرى، وتغذية النظرة الفردية، والابتعاد عن العمل الجماعي بتغذية العمل الفـردي. ومـن خلال الإشاعة يحاول العملاء تشويه سمعة المعتقلين أمنيا إضافة إلى نشر الإشاعات المختلفة فيما يتعلق بإفشـال الخطط النضالية للمعتقلين، تمهيدا لإسقاطهم. وهناك مهام أخرى للعملاء في داخل المعتقل منها تزويد إدارة المعتقل عن نشاطات المعتقلين، إضافة إلى التجسس على المعتقلين الجدد في الزنازين، والقيام بعملية تغذيـة راجعة عن المعتقلين بعد انتهاء التحقيقات الأولية معهم (قاسم، 1986 : 296 -314).

تطورت أدوار العملاء في السجون منذ الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، وأنشأت أقسام خاصة عرفت بغرف العار، أو غرف العصافير، وهم العملاء الذي سقطوا في دهاليز المخابرات الإسرائيلية سـواء قبل الاعتقال أو بعده، وبالتالي تم اعتقالهم لفترات بسيطة ليتم صبغهم بالصبغة الوطنية، أو هو العميل الذي تم غرسه في إحدى الفصائل الفلسطينية، أو ممن عملوا بشكل مزدوج بين المخابرات الفلسطينية والإسـرائيلية، وانكشف أمرهم في إسرائيل وتم وضعم بالسجن، إضافة إلى عدد من العملاء تم توريطهم وإسـقاطهم أثنـاء التحقيق، أو من تم تجنيدهم من قبل عملاء آخرين (قاسم، 196 : 294).لقد قام العملاء من خلال غـرف العصافير على خداع المعتقلين واصطيادهم، وذلك عبر سلسلة من الإجراءات والمراحل المختلفة والتي تبـدأ باستقبال المعتقل القادم من الزنازين، حيث الحرمان من الحاجات الفسيولوجية الأساسية، ومن ثم إلى غرفـة العصافير التي يتوفر فيها بعض الأشياء الأساسية للمعيشة والتي كان قد حرم منها. وقد تطورت هذه الغرف وحسب نادي الأسير الفلسطيني، فإن هذه الغرف قد تطورت إلى أقسام واسعة تشبه إلى حد كـبير أقسـام السجن العادي من حيث الأدوار والأنظمة فيها (أبو الهيجاء، 2004 : 104)، وتبدأ عملية الخداع من جانب العملاء في داخل هذه الغرف ببث القصص عن تجربتهم النضالية ضد الإسرائيليين قبل الاعتقال، ومـن ثـم تتم عملية إقناع المعتقل بأنهم معتقلون أمنيون قاموا بارتكاب أعمال عظيمة. أما الخطوة الثالثة التي يقوم بها

العصافير تجاه هذا المعتقل فتتم عن طريق منعه من الكلام أمام الآخرين باستثناء الموجه الأمني، وذلك تحت شعار أن الحيطان لها آذان، وعن طريق الموجه الأمني هذا تبدأ الجلسات الانفرادية، والتي بنتيجتها يعـــترف المعتقل أمامه كتابياعن خطواته النضالية ويقوم بالتوقيع عليها، وأخيرا يقوم الموجه الأمني بتسليم هذه الوثائق للمخابرات الإسرائيلية (حماس، 2003 : 94).

وقد اعتمدت المخابرات الإسرائيلية بشكل أساسي على غرف العار في انتفاضة الأقصى لانتزاع اعترافات المعتقلين، فقد أظهرت إحدى الدراسات أن نحو 80 % من الأشخاص الذين أدلـــوا باعترافـــاتهم كانت في غرف العصافير، مع ملاحظة أن ذلك كان عملية خداع للمعتقلين دون أن يعلم هـــؤلاء أن هـــذه الاعترافات كانت لصالح جهاز المخابرات الإسرائيلية (أبو الهيجاء ، 2004 : 104).

الفصل السادس

أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية

6. 1 تمهيد
6. 2 الاستفراد بالخصم
6. 3 كي الوعي الفلسطيني والقوة لخفض التوقعات
6. 4 الفلسطيني القاتل والإسرائيلي الضحية
6. 5 استهداف الأمن النفسي والاجتماعي لإضعاف الروح المعنوية
6. 6 تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التناقضات بين فئاته
6. 7 الردع
6. 8 تضليل الرأي العام الإسرائيلي والعالمي

6. 1 تمهيد

إن الهدف من الحرب النفسية هو السيطرة على إرادة الخصم وتحطيمه، عن طريق شن الهجوم العنيف والشامل لإضعاف معنوياته الروحية والنفسية إضافة إلى تحطيم معتقداته التي يؤمن بها. تسعى الحرب النفسية إلى حصار الخصم تمهيدا لإبادته ونفيه من الوجود. والاستسلام دون قتال هو أسمى أهداف الحرب النفسية لما توفره من طاقات، وخسائر مادية، وعسكرية، في العدة والعتاد. ولذلك يضع أخصائيو الحرب النفسية أهدافا لهم تتركز في دائرة الخصم لتصيبه مباشرة وأهداف أخرى تتمركز حول الخصم، للعمل على حصاره داخليا وخارجيا، بشكل يدفعه إلى الاستسلام وفق إرادة المحتل أو المستعمر.

وفي الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد للشعب الفلسطيني يسعى أخصائيو الحرب النفسية الإسرائيلية إلى توجيه سمومهم من داخل المجتمع الفلسطيني مستغلين بذلك التناقضات الاجتماعية الموجودة في المجتمع الفلسطيني كما هو الحال في سائر المجتمعات. ويسعى القائمون أيضا على الحرب النفسية في إسرائيل على اختراق الوعي العالمي الخارجي، وذلك امتدادا لما دأبت عليه الدعاية الصهيونية منذ بداية ظهور الحركة الصهيونية العالمية ، .بل إن القائمين على الحرب النفسية في إسرائيل يسعون إلى استهداف الرأي العام الإسرائيلي للتعبئة المعنوية الداخلية ضد الخصم.

في هذا الفصل يتم الحديث عن عدد من أهداف الحرب النفسية في انتفاضة الأقصى، فالاستفراد بالخصم هو أهم أسلحة الحرب النفسية، لجأت إليه إسرائيل في انتفاضة الأقصى وهو ما يتم الحديث عنه في الجزء الأول من هذا الفصل، بينما يتم الحديث ثانيا عن اختراق الوعي الفلسطيني لخفض التوقعات الفلسطينية، من خلال القوة العسكرية الإسرائيلية والمفاوضات. في حين يتناول الجزء الثالث من هذا الفصل هدف القائمين على الحرب النفسية في إسرائيل وهو هدف قديم له أصوله التوراتية، عبر تصوير الفلسطيني بالقاتل والإسرائيلي بالضحية. كما يتم الحديث رابعا عن إضعاف الروح المعنوية للفلسطينيين من خلال انعدام الأمن النفسي والاجتماعي. ويتحدث الجزء الخامس عن تجزئة الشعب الفلسطيني عبر استغلال التناقضات السياسية والاجتماعية، بينما يتم الحديث سادسا عن الهدف الذي استعملته إسرائيل مع الدول العربية وهو عامل القوة للردع، ويهتم الجزء الأخير من هذا الفصل بأحد أهم أهداف الحرب النفسية في إسرائيل وهو ما يتعلق بتضليل الرأي العام الإسرائيلي والعالمي في انتفاضة الأقصى.

6 . 2 الاستفراد بالخصم

كان من أهم الأهداف التي سعت إليها الصهيونية العالمية والحركات الاستعمارية، لكبح نفوذ حركات التحرر العربية في المنطقة منذ أواسط القرن الماضي، عزل القيادات والحركات الثورية العربية عن محيطها العربي والإسلامي وذلك بهدف تطويقها، وفرض الهيمنة والسيطرة عليها. ذلك ما تهدف إليه الحركات الاستعمارية والصهيونية، وما يطلق عليه في ميادين الحرب النفسية بالاستفراد بالخصم تمهيدا لإبادته. فقد استهدفت القوى الاستعمارية والصهيونية في أواسط القرن الماضي الاستفراد بجمال عبد الناصر عبر إقامة عدد من التكتلات الإقليمية كحلف بغداد، والذي أراد منه الاستعمار عزل عبد الناصر عن محيطه العربي والإسلامي، بعد أن تمكن من الانتصار سياسيا على خصومه في العدوان الثلاثي عام 1956. وكذلك نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الحالي في الاستفراد وعزل نظام صدام حسين في العام 2001، بعد أن حاصرته دوليا وعربيا وإسلاميا، إلى أن تم تنفيذ حكم الإعدام فيه مع نهاية العام 2006. وسط صمت العالم العربي والإسلامي.

ومنذ فشل مفاوضات كامب ديفيد الثانية، بدأت القيادة الإسرائيلية بالاستفراد بالقيادة السياسية للسلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بالتوجه إلى رأس الخصم ياسر عرفات، وذلك بتحميله مسؤولية فشل مفاوضات كامب ديفيد، وإضاعته لعرض باراك السخي في هذا المؤتمر.حيث عملت إسرائيل على حملة إعلامية ودعائية بقيادة إيهود باراك مباشرة، من خلال التصريحات الصحافية والتلفزيونية المتوالية التي تحدثت عن عدم وجود شريك في عملية السلام من الجانب الفلسطيني، فعملت الدعاية الإسرائيلية على أن " القيادة الفلسطينية لم تنتهز الفرصة لأنها لم تقبل ما عرضه باراك "(المصري ، 2004: 106). وبذلك هدفت الدعاية الإسرائيلية إلى الإعلان عن عدم وجود شريك فلسطيني في اتفاق يمكن تمريره في إسرائيل، وذلك بسبب تمسك الفلسطينيين بحق العودة. وقد روجت الدعاية الصهيونية بذلك ولاقت قبولا دوليا وعالميا، وخصوصا الرئيس كلينتون الذي حرم من جائزة نوبل للسلام بسبب رفض ياسر عرفات لعرض باراك الأمر الذي جعل كلينتون يوجه سخطه ضد ياسر عرفات لحرمانه من هذه الجائزة (بشارة ، 2003 :1).

واستهدفت الحرب النفسية الإسرائيلية رأس الخصم ياسر عرفات لعزله إقليميا ودوليا. ولذلك لجأت إسرائيل إلى اتهامه بأنه يعمل على تنسيق الاعتداءات على المدنيين في شوارع تل ابيب والقدس وحيفا،

عبر نشر صورة إعلامية متناقضة تمثل الصورة الأولى للقائد العجوز الذي لا حول له ولا قـــوة، وتمثـــل الثانية الشخص العجوز المسيطر على الإرهاب، وصفها جان لوك دومينـاك في كتابه(1الكلام المتلاعب به)

"يشكل التبسيط عبر شخصنة عدو وحيد ، واحدة من ثوابت كل عملية تضليل، وهو يواكب شكلين من أشكال الدعايـــة هما : المبالغة في التضخيم، وهي تتيح تشويه الوقائع ثم توزيع الأدوار لقيادة اللعبة مما يسمح بـــترداد الرســـائل المبســـطة والمشوهة مرات لا حصر لها" (سيفر ، 2003 :76).

وبذلك بدأت إسرائيل باتهام ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية بدعم الإرهاب، وقد صرح شارون بذلك بنفسه " لم يعد عرفات مناسبا، وبدأ الحصار حول مقره بتاريخ 3 كانون الثاني 2001 وذلك بهدف عزلـــه عن العالم الخارجي، وقد نوقش أمر الإطاحة به في آذار 2001 بعد اعتباره شخصا غيـــر مناســـب ولا يعتبر ذا فائدة (رابنهارت، 2004 : 210).

لقد عملت إسرائيل على بلورة خطط سياسية ونفسية تهدف إلى التشكيك بالسلطة الفلسطينية وياســـر عرفات من خلال دعمهما للإرهاب، فعملت إسرائيل على تهيئة الرأي العام العالمي، ومن خلال الوثيقة التي أعدها داني ناتوم مساعد باراك للإطاحة بعرفات منذ 20 تشرين الثاني 2001، والتي بدأت باتهام عرفـــات باستخدام ميليشيا مسلحة بطريقة غير مشروعة تتبع له، ومن ثم العمل على تدويل الصراع. وقد عرضـــت هذه الوثيقة ازدواجية وتساهل عرفات مع الإرهاب منذ العام 1997 عبر إعطاء ياسر عرفـــات ضـــوءا أخضر لحركة حماس بالقيام بتفجيرات في تل أبيب. وبذلك تم ترويج مقولات في الدعايـــة الإســـرائيلية "عرفات ما زال إرهابيا" "وهو مسؤول عن أفعال الجماعات كلها من حماس، والجهاد الإسلامي، إلى حـــزب الله" (راينهارت، 2004 ، 210).

لقد بدأت آليات نزع الشرعية الدولية، والاستفراد بالخصم عبر الاتهامات التي كانت تنسب إلى جهات أمنية غير محددة في الصحف الإسرائيلية والتي ادعت أن ياسر عرفات كان يقوم بتهريب وســـائل قتاليـــة وأسلحة في طائرته الخاصة، إضافة إلى ذلك فقد تم اتهامه بنقل بعض الفلسطينيين الذين تتعقبهم المخابرات الإسرائيلية، والذين اعتبروا أشخاصا مطلوبين لقوات الأمن الإسرائيلية، وقد تعززت آليات نـــزع الشـــرعية عن رأس الخصم دوليا بعد حادثة السفينة كارين ألف في الثالث من كانون الثاني من العام 2002، والـــتي

كانت تحمل خمسين طنا من الأسلحة، والتي أكدت أجهزة المخابرات الإسرائيلية مسؤولية عرفات المباشرة عنها، وبالرغم من تشكيك دينيس سيفر بصحتها إلا أنه يقول " يبقى الأمر المهم في عيون الرأي العام العالمي، أن عرفات بسوء تصرفه قد عزز الصورة التي يتمسك شارون بتعميمها عنه ويقصد صورة " الكاذب " (سيفر، 2003 : 95). لقد استطاعت الدعاية الإسرائيلية إطلاق صفة الإرهاب على الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، لتحقيق هدف الاستفراد بالخصم، ومن ثم شرعنة وسائل قمعه وتدميره. وفي ذلك يذكر ادوارد سعيد " إننا ضحايا اجتياح رهيب واحتلال عسكري شنيع ولوبي صهيوني يواصل الكذب، لكي يحولنا إلى لا شعب أو إرهابيين (سعيد:2002 :358).

الاستفراد بالخصم تم أيضا عن طريق نزع الصفة الإنسانية عن ياسر وإظهاره بالشخص الذي لا يقيم وزنا للعواطف الإنسانية. فقد وصفه الاسرائيليون بأنه السبب المباشر في معاناة الفلسطينيين، فبدلا من تحسينه لأوضاع شعبه أخذ ياسر عرفات يرسل الأطفال إلى المواجهة، واستغلالهم بطريقة مشينة ومثيرة للمشاعر الإنسانية أمام الرأي العام العالمي للإستفادة من قتلهم (راينهارت، 2004 : 208).لقد عملت الوسائل السابقة على تصوير ياسر عرفات بأنه خطر على عملية السلام، وأنه يقود شعبه إلى الهاوية نتيجة عدم قدرته على حفظ النظام والأمن، ولارتباطه بدعم الإرهاب على غرار بن لادن.وقد كان ذلك بمثابة بداية لقرار إبعاد ياسر عرفات أو قتله.

أوري افنيري وفي مقال له" كسر الرأس" يتحدث فيه عن الحرب النفسية التي تستهدف رأس الخصم لتفكيك وحدة العدو، وزرع الشكوك حوله، ونقص الولاء بين صفوفه، لكسر معنوياته وزرع الكره بين مواطنيه ومقاتليه ومؤيديه في العالم. وذلك، من أجل عزله عن شعبه، من خلال اتهام ياسر عرفات بالفساد، ونهب أموال الشعب، وتحويلها إلى حساباته في الخارج، وإرساله المقاتلين للموت. بينما يتمتع هو وأصحابه في فنادق خاصة، يرزح أفراد شعبه تحت طائلة الجوع. وذلك على اعتبار أن تدمير رأس الشعب الفلسطيني سيؤدي إلى تقويض الجهاز العسكري برمته، ويقول أفنيري أن الدعاية الإسرائيلية قد حققت نتائج جيدة لدرجة أن مصطلحات مثل السلطة الفلسطينية "وعرفات والإرهاب" أصبحت مترادفة (افنيري، 2002 : 2).

وبذلك تكون مسألة الفساد إحدى أساليب نزع الشرعية عن ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية والاستفراد بالخصم، عبر حصاره من داخل الشعب الفلسطيني هذه المرة، فقد استغل شارون وجود الفساد في السلطة

الفلسطينية للاستفراد بخصمه ونزع الشرعية عنه شعبيا ودوليا، بعد أن عجز عن تحقيق أهدافه بواسطة إلصاق تهمة الإرهاب بالقيادة الفلسطينية.وبذلك استنكر شارون فساد الأوساط التي انتخبها الشعب الفلسطيني، ودعا جورج بوش أيضا إلى إصلاح السلطة الفلسطينية. وتحدثت كوندليزا رايس عن هذا الفساد بعد صمت طويل " ليس في مقدرة السلطة الفلسطينية إعداد الدولة الفلسطينية التي نحتاجها (سييفر، 2002: 103).وقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطا كبيرة لتنحية ياسر عرفات، وأوعزت إلى ضرورة تعيين رئيس وزراء فلسطيني يمارس اختصاصات عرفات وصلاحياته، مع تحول ياسر عرفات إلى رئيس رمزي تشريفي فقط ، في وقت طالب فيه الأوروبيون باعتبارهم الممول الاقتصادي والمالي للسلطة الفلسطينية، بضرورة عمل الاصلاحات المطلوبة أمريكيا وإسرائيليا(شعبان وآخرون : 2004، 104). لتبدأ المعركة ضد الفساد بعد ذلك من المجتمع الفلسطيني ويخرج آلاف الفلسطينيين إلى شوارع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة داعية إلى محاربة الفساد والإصلاح للسلطة الفلسطينية.

لقد عملت الحرب النفسية الإسرائيلية من خلال عملية الاستفراد بالخصم وآلياتها السابقة كشائعات ضد رأس الخصم، متمثلة في رئيس السلطة الفلسطينية مع استغلال نسبة من الحقيقة التي تحتاجها الإشاعة ليصدقها الناس. وقد أشار يوسف أبو سمره في مقالة له عن الحرب النفسية الإسرائيلية ضد الرئيس ياسر عرفات، إلى حملة التشكيك في القيادة الفلسطينية، باعتبارها لم تعد تمثل الكثير من الفلسطينيين، ويجب العمل على تجاوزها، فقد نشر الاستعمار حملات نفسية مشابه على كاسترو، وجيفارا، ومانديلا، واليوم يتم نشر هذه الشائعات عن ياسر عرفات، وكذلك إلى شائعات أخرى مثل إرسال الأمهات الفلسطينيات لأبنائهن إلى الموت بدون رحمة، وإشاعة موت الفلسطينيين من أجل مبلغ من المال، وتحريض المناهج التعليمية على العنف والحرب وضد السلام (أبو سمرة، 2002 : 2).

وبذلك يمكن القول أن أحد أهم أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية، هو الاستفراد بالخصم ونزع الشرعية عنه، والتي تبدأ بالعزل عن العالم الخارجي سواء كان عربيا أم دوليا ثم عزل الخصم عن بيئته، مما يضعفه وينهكه تمهيد لإبادته. وفي انتفاضة الأقصى تم الاستفراد بياسر عرفات وقيادته عن طريق نزع الشرعية عنهما وعزلهما عن محيطيهما العربي والإسلامي، وكذلك عن العالم الخارجي، إلى ان تم عزل ياسر عرفات عن شعبه وعن محيطه في المقاطعة، وتوفي فيها في ظروف ما زالت غامضة.

6 . 3 كي الوعي الفلسطيني والقوة لخفض التوقعات وتغيير الاتجاهات

الحرب النفسية المباشرة كالتكتلات، والعزل، والعمل العسكري الشامل باحتلال المناطق إضافة إلى الجهود الاقتصادية من حصار ومقاطعة، وغير المباشرة من أنشطة إعلامية لأغراض التحوير الفكري، والتسميم السياسي، وإثارة المخاوف، والفتن والاضرابات، واستعراض القوة والتجهيل والتخريب النفسي، هي إجراءات تعمل مجتمعة على التلاعب بالآمال والطموحات للشعوب.

لقد كان واضحا من سلوك جيش الدفاع الإسرائيلي في خطة حقل الأشواك التي قام بها باراك في بداية الانتفاضة أنها كانت تهدف إلى استدراج القيادة الفلسطينية لمواجهة كبيرة معه ، وتفجير الأزمة بصورة واسعة، وذلك لممارسة ضغط وإكراه على الفلسطينيين لإجبارهم على القيام بتنازلات سياسة كبديل لفشل مفاوضات كامب ديفيد في تحقيق هذه الأهداف (نوفل، 2002 :116).

وعلى ذلك فإن المبالغة في استعمال القوة العسكرية الإسرائيلية منذ بداية انتفاضة الأقصى حملت في معانيها أهدافا سياسية واجتماعية ونفسية، وهدفت أيضا في مجملها ومن خلال الضغط العسكري والأمني على أرض الواقع إلى إجبار الفلسطينيين على العودة للمفاوضات، وقد أقنع باراك نفسه بذلك أولا وعمل على إقناع الآخرين بذلك، ومنهم الفلسطينيون عبر نقل رسالة واضحة لهم بأنه لا مناص من العودة إلى طاولة المفاوضات ثانيا، وتوجه بهذه الدعاية إلى الرأي العام الإسرائيلي ثالثا: بأنه لا بد من استخدام قدر من القوة العسكرية يحدث صدمة بين الفلسطينيين، ويجبرهم على تغيير مواقفهم، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال مواقف السلطة الرسمية بعد الاستخدام المفرط للقوة، فقد تغير الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية حول قبولهم لوقف العمليات الفدائية الفلسطينية، حال إعادة جيش الاحتلال للانتشار في الخطوط التي كان ينتشر فيها عشية اندلاع الانتفاضة، فيما لم تعد المطالب الأخرى من تصريحات حول انسحاب إسرائيلي محتمل إلى حدود عام 1967 قائمة (النعامي، 2002: 3).

وفي الوقت الذي أفلح فيه الاستخدام المفرط للقوة لخفض التوقعات الفلسطينية، فإن إنشاء موشيه يعالون لوحدة كي الوعي في جيش الاحتلال الإسرائيلي جاءت بهدف ممارسة الضغط على السلطة الفلسطينية، وعلى ذاكرة الشعب الفلسطيني، عبر إقناعهم باستحالة هزيمة إسرائيل بتقديم تنازلات سياسية

واستراتيجية، بل لا بد من قبول الفلسطينيين للحل السياسي المستند إلى القوة والاشتراطات الأمنية الإسرائيلية، من خلال سياسات الاجتياحات، والتدمير، والقتل التي تم تنفيذها في المناطق الفلسطينية في انتفاضة الأقصى (الزرو، 2006 ، 3)، فقد عملت وحدة عمليات الوعي في جيش الاحتلال الإسرائيلي، من خلال استغلال التصدعات والانقسامات في المجتمع الفلسطيني، واستخدام سياسة التخويف والإرهاب عبر إزعاج السكان من خلال الانفجارات الصوتية، وتزوير البيانات، لإجبار الشعب الفلسطيني على تغيير نمط حياته والتأثير على اتجاهاته (شدمي، 2005 : 2).

وفي إطار أسلوب خفض التوقعات أيضا، عملت إسرائيل على إشاعة عدم وجود شريك للسلام من الجانب الفلسطيني لبلورة قيادة جديدة تقبل بالمقترحات الإسرائيلية للسلام، والتي رفضها عرفات في كامب ديفيد، وربط تطبيقها للاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية بالتنازلات، وربط عمليات وقف إطلاق النار ووقف بناء المستوطنات والتهدئة بالعودة إلى المفاوضات بدلا من تطبيق الاتفاقات الموقعة دون قيد أو شرط (مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001 : 138).إن ذلك يعني خلق حالة وواقع جديد يجبر الفلسطينيين على التفاوض على مستجدات جديدة، عملت إسرائيل على استحداثها بعيدا عن المتطلبات الفلسطينية السابقة.

لقد هدفت إسرائيل من خلال سياسة الضغط العسكري، والحصار والإغلاق، والحواجز، إلى إخضاع الفلسطينيين، بإجبارهم على تغيير اتجاهاتهم، من خلال محاولة الحصول على أولويات ومتطلبات تقل عن متطلبات وأولويات المرحلة السابقة. فبعد السنة الأولى للانتفاضة، كان الدخول إلى مدينة القدس لأداء الصلاة في يوم الجمعة إنجازا مهما بالنسبة للفلسطينيين، وبعد السنة الثانية للانتفاضة، كان التنقل من مدينة لأخرى يعتبر إنجازا للأشخاص الذي تمكنوا من اجتياز الحواجز العسكرية الإسرائيلية، وفي السنة الثالثة للانتفاضة، كان الانتقال من القرى والمخيمات إلى المدينة إنجازا آخر ، بينما أصبح دخول مدينة القدس دربا من الخيال. أما على صعيد المقاومة الفلسطينية، فقد أجبرت إسرائيل المقاومين على نقل المواجهات بينهم وبين الإسرائيليين من داخل إسرائيل والمناطق القريبة من المستوطنات إلى الحواجز العسكرية الإسرائيلية الواقعة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

حيث تكون هناك عمليات فدائية في داخل إسرائيل تكون هناك عمليات عسكرية إسرائيلية واسعة ضد الشعب الفلسطيني، تتمثل في العديد من الاجتياحات للمدن الفلسطينية، إضافة إلى وسائل الضغط النفسي عليهم، من خلال الحواجز، والحصار والإغلاق، والاعتقالات، والاغتيالات، ذلك ما عملت به وحدة عمليات كي الوعي في جيش الاحتلال الإسرائيلي. لقد كان الجيش يجبر الشعب الفلسطيني على تغيير نمط حياته بعد كل عملية فدائية في داخل إسرائيل، بالشكل الذي يريده الاحتلال، وأحيانا كان يستبق الشعب الفلسطيني بحصار نفسه قبل أن يبدأ الحصار الفعلي من قبل جيش الاحتلال، وذلك استنادا إلى إشاعات تطلق بشكل منظم عن طريق العملاء، وأخرى غير منظمة وعشوائية تعود في طبيعتها إلى عوامل أخرى كالخوف، والقلق، والشعور بعدم الأمن. ذلك كان يؤدي بطبيعة الحال إلى إضعاف الروح المعنوية، والثقة بالنفس لدى الشعب الفلسطيني، ومن ثم يشكل نزولا في الحد الأدنى من المطالب الفلسطيني، بما يشكله من عنصر ضاغط على المقاومة والسلطة الفلسطينية على حد سواء. وهذا ما عملت على تحقيقه الاجتياحات الإسرائيلية المتكررة للأراضي الفلسطينية على مدى سنوات الانتفاضة.

تزييف الوعي أيضا لم يقتصر على الشعب الفلسطيني، فمن خلال الإعلام عملت الدعاية الصهيونية على اختراق الوعي العالمي والعربي في كثير من الأحيان ، مما شكل عنصرا ضاغطا على اختراق الوعي الفلسطيني ، والتنازل عن سقف المطالب الفلسطينية. فمن خلال حادثة اجتياح سائق فلسطيني على سبيل المثال لمجموعة من الجنود الإسرائيليين قرب تل أبيب، والذي أسفر عن جرح وقتل نحو ثلاثين شخصا، توقفت أنفاس العالم من خلال الرؤية والرواية الإسرائيلية للحدث، وقدم هذا الحدث كأنه تجسيد للمأساة الإنسانية، "وهي عملية كانت موجهة لجنود وليس لمدنيين" ولا بد هنا من تعاطف الملايين في العالم مع هذه الأسر المنكوبة التي حدثت بفضل" الإرهاب الفلسطيني "، وقد أصبح ذلك مقبولا في الإعلام الأوروبي والغربي. بينما عمل الإعلام العربي أيضا على نقل هذه الروايات من مصدرها الإسرائيلي، لتجد تبريرا لعمليات القتل والتدمير والحصار، وعمليات الاعتقال المختلفة وما تسببه من آثار نفسية على المجتمع، ذلك ما نتج عنه من تزييف للوعي ضد الشعب الفلسطيني، والعالم العربي لصالح الدولة الإسرائيلية (حافظ، 2004 ، 215-217). لقد شكل ذلك عنصرا ضاغطا إضافيا على القيادة الفلسطينية وشعبها مما حملها على التعديل من سقف المطالب الفلسطينية.

6 . 4 إسرائيل الضحية والفلسطيني القاتل

قلب المفاهيم والتلفيق في العنصرية الإسرائيلية لم تكن جديدة فمنطق الضحية والجلاد لاقت رواجا في المنظور العنصري الصهيوني. فقد تم تصوير اليهودي بالضحية والجلاد معا، ولكنه يكتسب صفة الجلاد الذي يأخذ شكل الضحية أيضا، فكونه ضحية ينسب إلى الفلسطينيين مذابح مروعة أنزلت باليهود، وهو في نفس الوقت يطارد جلادا فلسطينيا، مما يفتح طريقا أمام حرب صهيونية مفتوحة ضد العرب (دراج، 2005 : 6)

تلك الصورة التي رسمتها الحرب النفسية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، والتي عملت وسائل الإعلام الإسرائيلية على إقناع الرأي العام العالمي بها، وربما ساعدت وسائل الإعلام العربية أيضا بنقل هذه الصورة بشكل غير مباشر إلى الشعوب العربية التي تلاشى ضغطها تدريجيا على الأنظمة العربية، وذلك بسبب ما كانت تبثه الفضائيات العربية من صور لإطلاق النار في تشييع القتلى الفلسطينيين، أو في المسيرات التي يتم فيها تصوير الناشطين الفلسطينيين المدججين بالسلاح، وهم يطلقون العيارات النارية، متوعدين بالقضاء على إسرائيل، وفي وقت تقدم هذه الصور معنا معاكسا لصورة الضحية التي أخرجت الشعوب العربية إلى الشوارع في بداية انتفاضة الأقصى(حمدان ، 2002 :86). ويعتبر هذا المجهود خدمة للإعلام الإسرائيلي ووسيلة للحرب النفسية الإسرائيلية.

ولكن تبقى الصورة التي عمل الإعلام الإسرائيلي على نقلها وباحتراف، وكوسيلة مباشرة للحرب النفسية الإسرائيلية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان، ولكن بصورة واضحة المعالم في انتفاضة الأقصى. فقد تم تصوير الأمور على أن إسرائيل محاطة بمجموعة من الهمج يهاجمونها بالحجارة، وأن الصواريخ والدبابات تستعمل لحماية الإسرائيليين من العنف والقوة المخيفة التي يمتلكها الفلسطينيون. وفي ذلك وصف ادوارد سعيد الطريقة التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي بمحاصرة المدن والبلدات الفلسطينية، وكأن الجيش الإسرائيلي محاط بهالة تظهره ضحية عنف فلسطيني خطر يستهدف إبادته.ولذلك تلجأ إسرائيل إلى أساليب حفر الخنادق التي يتبعها قصف المنازل بمروحيات، وصواريخ، ونيران، ودبابات تحصد مئات المدنيين، يجري ذلك وسط احتفاظ مخططي الدعاية الصهيونية والإسرائيلية بعلاقات عامة إسرائيلية وأمريكية. (سعيد، 2002 ، 366).

الهدف الذي سعت إليه إسرائيل بتصوير نفسها بالمعتدى عليها والفلسطيني بالمعتدي، كانت حاضرة منذ بداية الانتفاضة، فقد صورت وسائل الإعلام الإسرائيلية أن الجنود الإسرائيليين يواجهون اعتداءات فلسطينية ضمن مخطط شامل لإعلان الدولة الفلسطينية، من خلال العنف والإرهاب لتحقيق مكاسب سياسية، وهو ما انتهجته وسائل الإعلام الإسرائيلية هذه دون استثناء. فما يحدث في الضفة الغربية وقطاع غزة، هو اعتداء من الشبان الرعاع (شعبان، خالد وآخرون، 2004 :423). بينما كان يتم تصوير القصف الإسرائيلي وإطلاق النار على الفلسطينيين بأنه دفاع عن النفس ورد على هذه الاعتداءات، فيما تصبح جميع الممارسات والأعمال الإسرائيلية التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي، هي رد فعل على العنف الفلسطيني. وقد تحدث دان ميرون عن اعتداءات الفلسطينيين على الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى بأن السلطة الفلسطينية قررت أنها ستتوصل إلى إخلاء المناطق والإعلان عن إقامة دولة فلسطينية بدون اتفاق مع إسرائيل، وذلك عبر العنف والضغط الدولي، وبواسطة الحجارة والرصاص والصحافة الدولية ولجان التحقيق وجيش الأمم المتحدة (لاؤور، 2000:123).

الإسرائيلي المسالم والإيجابي مقابل الفلسطيني المهاجم والسلبي أيضا، من خلال الصورة التي ركزت الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى عليها وهو ما تعلق بطهارة ونقاوة الجيش الإسرائيلي في تعامله مع الفلسطينيين، والإنسانية التي يتمتع بها، وهو يتمتع بهالة من القداسة من قبل رؤسائه والقيمين عليه، ولا يلجأ إلى إطلاق النار إلا دفاعا عن النفس، بينما الفلسطيني هو الشخص البادئ بإطلاق النار على الإسرائيليين في أغلب الأحيان، وأن لدى الفلسطينيين كل أنواع الأسلحة القتالية والهجومية، مع التركيز على أن هناك مواجهة عنيفة من جانب الفلسطينيين(منصور، 2002 : 100)

" الفلسطيني القاتل" أيضا تم إلصاق تهم أخرى به وهو في حقيقة الأمر ضحية، غير أن هذه الضحية أيضا مارست عنفها ضد الآخرين، فمن خلال مؤتمر صحفي، اتهم ضابط إسرائيلي مجموعة من الفلسطينيين أنهم يختطفون كهنة في كنيسة المهد. والفلسطيني القاتل يستخدم أيضا سيارات نقل الإسعاف لتهريب الأسلحة والمطلوبين لقوات الأمن الإسرائيلية، وضمن ذلك أيضا يتم الطلب من الشعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال أن يضمن أمن المحتل عسكريا وسياسيا وهي سياسة لم تحدث قط في تاريخ الاستعمار (بشارة، ما بعد الاجتياح 2002 : 53).

6 . 5 استهداف الأمن النفسي والاجتماعي لإضعاف الروح المعنوية

احد أهم أهداف الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، هو مدى التأثير على الجوانب الاجتماعية والنفسية للمجتمع الفلسطيني في انتفاضة الأقصى، ويرتبط هذا الهدف بمجموعة من الإجراءات التي طبقها جيش الاحتلال الإسرائيلي على أرض الواقع، سواء ما تعلق بمجموعة الإجراءات المتعلقة بالجماعة أو مجموعة الإجراءات المتعلقة بالفرد، وتشمل في ذلك إجراءات الحواجز العسكرية، والحصار، والإغلاق المستمر، للضفة الغربية وقطاع غزة، وأثرها على الوضع الاقتصادي. أو إجراءات هدم المباني وسياسة الاغتيالات، إضافة إلى الإجراءات المتعلقة بالفرد، ومنها: الاعتقالات وظروف التحقيق في داخل السجون. لقد أدت مجموعة هذه العوامل إلى خلق حالة من الإحباط، وإضعاف المعنويات لدى المجتمع الفلسطيني، مما أدى إلى حالة من انعدام الثقة واليأس، التي بدأت تدب في صفوف المواطنين، وذلك بمساعدة العوامل الاقتصادية، التي أدت أيضا إلى مزيد من الضغط المادي والنفسي على بنية المجتمع الفلسطيني.

لقد استهدفت الحرب النفسية الإسرائيلية من خلال الإجراءات السابقة والمتعلقة بسياسة العقوبات الجماعية إلى إحداث سلوكيات غير مرغوبة في المجتمع الفلسطيني. ومن أهم هذه السلوكيات: العصبية الزائدة، والتوتر، والتي عززتها عوامل الضغط النفسي المتمثلة في الإهانة، والإذلال، التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، من خلال الممارسات اليومية لجند الاحتلال. وبدأت تتحول عملية إسقاط حالة الغضب والضيق، ومظاهر العصبية الزائدة التي كان يعاني منها أفراد المجتمع إلى داخل المجتمع نفسه بدلا من تحولها باتجاه الإسرائيلي نتيجة لاختلال معادلة القوة بين الجانبين (وزارة الإعلام، 1996 : 52).

تصاعدت وتيرة الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، مما أدى إلى تفاقم الشعور بالإحباط، واليأس، والخوف، وانعدام الراحة، والإرهاق، وكثرت المشاحنات داخل الأسرة في المجتمع الفلسطيني نتيجة لسياسة التنكيل بحق الإفراد والجماعات بالأساليب المختلفة. ونتيجة لانعدام الأمن فقد انعكس ذلك سلبا على المجتمع الفلسطيني في انتفاضة الأقصى، وهو ما أثر بدوره على الروح المعنوية للأفراد والجماعات. وفي تقرير أصدرته الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة في فلسطين، أظهر أن حياة الكثير من الأطفال الفلسطينيين تغيرت فجأة في انتفاضة الأقصى، وأصبحوا يعيشون في حالة من الرعب والخوف، وعدم الشعور بالأمان والحماية، وذلك على إثر مشاهد القصف

والتدمير، وأصوات المدافع والدبابات. وبالتالي نتج عن ذلك، أعراض فسيولوجية متعددة أهمها عسر الطعام، والتبول اللاإرادي إثناء الليل بسبب المخاوف الشديدة (خضر، اليونسكو، 2007 ، 8).

هدفت الحرب النفسية الإسرائيلية التي استهدفت الشعب الفلسطيني إلى النيل من الروح المعنوية التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني، من خلال إيمانه بعدالة القضية التي يدافع عنها وذلك، من أجل تحطيم شخصية الفرد، وشوكته، وأرادته، من خلال سلسلة من الإجراءات، التي استهدفت شعور الآباء بالعجز الحقيقي عن توفير الحماية لأبنائهم، وتوفير متطلبات الحياة الكريمة لهم، ويعتبر ما حصل مع محمد الدرة في بداية انتفاضة الأقصى، والذي قتل برصاص الإسرائيليين وهو في حضن أبيه، وأمام عدسات وسائل الإعلام المختلفة ، مثالا على ذلك ، (اليونسكو ، 2007 : 4). كذلك فإن الحرب النفسية الإسرائيلية استهدفت أيضا النيل من الروح المعنوية، من خلال موجات من الإهانة والإذلال، والشتم بألفاظ نابية، تمس عامدة متعمدة المشاعر الإنسانية، وكذلك من خلال إجبار المواطنين الفلسطينيين على الوقوف فترات طويلة عند الحواجز مع تجريدهم من ملابسهم العلوية. وقد ذكر الدكتور محمود سويل أخصائي الأمراض العصبية والنفسية أن هناك خمسين ألف شخص حاجة للتدخل والدعم النفسي، وأكثر من خمسة ألاف شخص بحاجة إلى علاج خاص من قبل مختصين بهذه الحالات، وأن المجتمع الفلسطيني بحاجة إلى عشرات السنوات للتغلب على الأزمة التي يمر بها المجتمع في ظل عدم وجود مشرفين تربويين، وعدم وجود الإمكانية المالية اللازمة لذلك (اليونسكو، 2007 :8).

هدفت الحرب النفسية الإسرائيلية أيضا الموجهة إلى الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى ومن خلال العنف المنظم، والقمع المستمر ضد الأفراد، ومفهوم الذات الجماعية، وعبر التكتيكات النفسية من إدخال لعنصري الرعب والخوف بين صفوف المجتمع الفلسطيني، وذلك بإبقائهم في حالة من التشويش والإرباك والقلق مما هو قادم ، وبالتالي يتم إجبار الضحية تحت الضغط النفسي المتواصل على الخضوع، والإذعان، وفق متطلبات جيش الاحتلال الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية (شماس ، 2003 : 3).

وفي السياق الاجتماعي، فقد هدفت الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة ضد المجتمع الفلسطيني إلى خلق حالة من تدمير المعنى عبر آلياتها المختلفة من خلال التشرذم الاجتماعي والارتباك، والصعوبات في إقامة علاقات صلة، بسبب انعدام الثقة في النفس، والشك في الآخرين نتيجة لاختراق المجتمع الفلسطيني

من خلال الجواسيس والعملاء والمخبرين. وكذلك عملت الحرب النفسية الإسرائيلية على التفكيك الإجباري للعائلة، نتيجة للاعتقالات، والاغتيالات والتي هدفت إسرائيل من خلالها إلى قتل الروح الجماعية للمجتمع الفلسطيني مما يسهل اقتياده والسيطرة عليه (شماس، 2003 :6).

استهدفت الحرب النفسية الإسرائيلية أيضا العامل الفلسطيني، وتركته يعيش في حالة من الضياع، والتشتت، والقلق، والاضطراب، والعجز عن السيطرة، وانعكس ذلك سلبا على تعامله مع الآخرين. إضافة إلى تراجع انضباطه بالمعايير والقيم الاجتماعية السائدة كنتيجة طبيعية للإحباط المتواصل الذي يعاني منه هذا العامل، فقد أثر ذلك على سلوكه الذي بدأ يميل إلى العدوانية، والعنف، وإلقاء اللوم على الآخرين، لعدم قدرته على توفير أدنى متطلبات أسرته. مما خلق تبريرات سلبية لسلوك البعض منهم بسبب عدم القدرة على التكيف وفق المرحلة الراهنة (مركز المعلومات الفلسطيني، 2006 : 3).

هدفت إسرائيل من استهداف الأمن الاجتماعي والنفسي للمجتمع الفلسطيني إلى خلق حالة من التفكك الاجتماعي الإجباري، بشكل يؤدي إلى ضرب الروح المعنوية التي تمتع بها الشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة الأولى في العام 1987. إذ استطاعت تلك الانتفاضة المحافظة على العمل الجماعي المنظم نظرا لطبيعة الانتفاضة الأولى التي اتسمت بطابع شعبي، وهو ما سبب إرباكا لجيش الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة شعب أعزل. فيما صورت انتفاضة الأقصى، أنها مواجهة بين دولتين وجيشين بحكم وجود السلطة الفلسطينية، مما سهل مهمة الاحتلال الإسرائيلي بتوجيه القوة العسكرية والآليات النفسية المختلفة التي سارت جنبا إلى جنب ضد الشعب الفلسطيني والقيادة الفلسطينية، لتنهك المجتمع الفلسطيني.مما يعني مزيدا من الخضوع الإجباري لإرادة المحتل، عبر موجات متلاحقة من القمع والضغط النفسي المتواصل على ألأفراد والجماعات.

6 . 6 –تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني وخلق حالة من التناقضات بين فئاته

منذ الانتفاضة الأولى في العام 1987 لجأت إسرائيل إلى تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني، وخلق حالة من التناقضات بين صفوفه وفئاته سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو تنظيمية. وقد تم الحديث عن ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث. وفي إنتفاضة الأقصى أيضا نشطت أجهزة المخابرات الإسرائيلية عن طريق بث الإشاعة بين صفوف المواطنين، وذلك، باستهداف مجموعة من القيادات الاعتبارية المحسوبة على

التنظيمات السياسية، أو لمناضلين ممن يتمتعون بتاريخ نضالي طويل، وذلك لتشويه صورتهم النضالية وعزلهم عن شعبهم ، أو ما تعلق باستهداف تنظيمات وذلك بهدف خلق حالة من الصراع السياسي بين التنظيمات، ويبقى الهدف هو تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني عبر خلق حالة من التناقضات بين فئاته تمهيدا لشن الحرب الشاملة، وتدمير الذات الفلسطينية من خلال تدمير مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسة.

استغلال التناقضات السياسية في المجتمع الفلسطيني وخاصة فيما يتعلق بالتنظيمات، كان واضحا في انتفاضة الأقصى من خلال التركيز على الخلافات السياسية بين حركتي حماس وفتح، واستغلال إسرائيل لتضخيم طبيعة هذا الخلاف، ومن ثم العمل على نقله من داخل التنظيمات إلى القاعدة الشعبية العريضة لكلا التنظيمين. ذلك بهدف تحطيم وحدة الشعب الفلسطيني، وتحويل الصراع من صراع ضد الاحتلال الإسرائيلي إلى صراع بين التنظيمات المختلفة المكونة لوحدة الشعب الفلسطيني. لقد أدى الضغط النفسي والسياسي معا على ياسر عرفات في انتفاضة الأقصى بتحميله مسؤولية العمليات الفدائية في داخل إسرائيل، وكذلك أدت الطريقة التي أدار بها الإعلام الإسرائيلي في أسلوبه لنقل الأخبار على نحو ما يوحي بتعاون السلطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي في ملاحقة عدد من أفراد حركتي حماس والجهاد الإسلامي) أبو رزق، 2002 :4). لقد أدى ذلك إلى تنامي الخلافات بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس، وهو ما عمل لاحقا على بث الفرقة بين التنظيمات ليحقق بذلك مع عوامل أخرى الفرقة والانقسام بين الشعب الفلسطيني، وقد تصاعدت وتيرة الخلافات بين التنظيمات الفلسطينية بعد الانتخابات التي جرت بتاريخ 26/01/2006. والتي أدت إلى قتال بين فتح وحماس في منتصف عام 2007.

آلية تضخيم الفساد في السلطة الفلسطينية والكشف عنه في أوقات حرجة جاءت بعد اجتياح مدن الضفة الغربية وقطاع غزة في العام 2002، مع أن ذلك كان معروفا لجهات دولية أخرى قبل هذا التاريخ، ولم تظهره إلى الوجود إلا بعد الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية، وفشل محاولات اتهام ياسر عرفات بالإرهاب (سيبفر، 2004 :103). لقد اختار القائمون على الحرب النفسية الإسرائيلية المكان والزمان المناسبين لتحريض الجمهور والتنظيمات الفلسطينية على قيادتها لتحطيم المجتمع الفلسطيني، بهدف خلق حالة من التناقضات

والصراعات بين الشعب الفلسطيني عبر مفهوم التحويل في الحرب النفسية، أي تحويل معادلة الصراع الفلسطيني -- الإسرائيلي واختزاله إلى صراع فلسطيني – فلسطيني.

عمليات الضغط النفسي على السلطة الفلسطينية من قبل الحكومة الإسرائيلية ساهمت في خلق حالة من التناقضات بين الفصائل الفلسطينية، لإذعان السلطة الفلسطينية باعتقال رموز العمل الميداني من التيار الإسلامي المتمثل في حركتي حماس والجهاد الإسلامي والتي استمرت بعد انتفاضة الأقصى (مركز دراسات الشرق الأوسط ، 2001 ، 95) لقد أدت ذلك أيضا إلى خلق حالة من التباعد بين الفصائل الفلسطينية وإشاعة جو من عدم الثقة بين هذه الفصائل التي أدت إلى مزيد من التناقضات داخل المجتمع الفلسطيني.

توجهت الحرب النفسية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى من خلال إحداث شرخ في الإجماع الفلسطيني، وتفتيت الموقف السياسي والشعبي وبعثرته، بعيدا عن الآثار الاجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية التي أحدثتها الإجراءات الإسرائيلية المختلفة على الشعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى وذلك عبر خلق أزمة عميقة بين الجماهير الفلسطينية والمسؤولين في السلطة.وذلك من خلال أحاديث الإسرائيليين المتكررة عن عملية السلام لاستمالة بعض المسؤولين في السلطة الفلسطينية بعيدا عن الثوابت الفلسطينية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الإحباط الشعبي، وزعزعة الثقة بالمستقبل ويؤدي في نهاية المطاف إلى تشتيت الطاقات الفلسطينية في مسائل خلافية تنساق وراءها التنظيمات الأخرى، مما يدخل الشعب الفلسطيني وتنظيماته في أمور جانبية بعيدة عن الإجماع التنظيمي والشعبي (مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001 : 143).

العمل على خلق حالة من التناقضات في داخل المجتمع الفلسطيني بهدف تحطيم المجتمع الفلسطيني، وعبر الآليات المختلفة للحرب النفسية التي تم الحديث عنها سابقا من حواجز ومنشورات، واغتيالات، واعتقالات، كان لها دور كبير في بث الفرقة والإيقاع ما بين الشعب والفصائل المختلفة. فقد عملت المنشورات الإسرائيلية التي كانت توزع بين الفينة والأخرى في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة على تحميل المسؤولية عن الدمار والقتل للتنظيمات التي تختبئ بين السكان، وتهدف في حقيقتها إلى دق إسفين ما بين هذه التنظيمات والجماهير. وهو ما هدفت إليه أيضا سياسة استعمال القوة المفرطة من قبل الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال اجتياح المدن، لخلق حالة من الإرباك

والشعور بالنقمة على المقاومين الذين تستهدفهم الحرب النفسية الإسرائيلية، ولإظهارهم بمظهر العاجز عن تقديم أي إنجاز لشعبهم بل أنهم المسؤولون عما آلت إليه الأوضاع.

6. 7 الردع

تعتبر استراتيجية الردع من مقومات التحكم بسلوك الخصم، ومنع الآخرين من التصرف بطريقة تؤثر على مصالح الجهة التي تلجأ إلى اسلوب الردع، وحسب ديفيد جارم فإنه بمجرد بدء العنف وفق المفهوم السلوكي، فإن عملية الردع تصبح سياسة فاشلة.وقد وضع لذلك مجموعة من المراحل الواجب توافرها لعملية الردع أهمها: الردع بالعقاب، عبر تهديد الخصم بعقاب رهيب إذا أقدم على إجراء غير مقبول بشروط أهمها: أن توضح الجهات الرادعة بجلاء التزامها بالدفاع عن وجهة نظر معينة، والقدرة على تنفيذ تهديداتها إذا لزم الأمر، إضافة إلى حرمان الطرف الأخر من استخدام القوة المتاحة لديه، وأخيرا أن تلجأ إلى التطمين عبر تكتيكات معينة مثل التطمينات الشفهية، وضبط النفس، والالتزامات التي لا رجوع عنها، والتعاون غير الرسمي، والتنسيق الأمني المحدود منفردة أو مجتمعة، التي تساعد على طمأنه الآخر أن السلوك البادي أو المحتمل لا يهدف إلى الإساءة أو الإضرار به(محفوظ ، 1999 :166-167-).

ظاهرة استعمال القوة العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ارتبطت أساسا بالتقاليد الصهيونية التي أقامت عليها إسرائيل دولتها في العام 1948. وهي وحدها التي تمكن الشعب اليهودي من العيش حرا، وهو ما يقود إلى بناء المجتمع اليهودي، وهو ما يحمل تناقضا جوهريا مع التقاليد الفكرية الغربية بهذا الخصوص.وقد عكست إسرائيل مفهوم القوة والعنف من أداة يلجأ لها الضعيف ضد القوي، إلى أداة تستطيع الدولة الإسرائيلية من خلالها البقاء حتى وإن توافرت لها الأساليب الأخرى، ليصبح العنف أداة لتبرير السلوك العدواني ضد الآخرين (ربيع ، 1989 :229).

مفهوم الردع استخدمته إسرائيل لتخويف الدول العربية مجتمعة من خلال امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل، والتفوق العسكري والاقتصادي والتكنولوجي على العرب، وفي ذلك سعت إسرائيل إلى قصف المفاعل النووي العراقي في العام 1981 لتبقى في حالة من التفوق، فيما سعت ومن خلال نفوذها في الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع الدول العربية والإسلامية من امتلاك هذا السلاح، وذلك لتحتفظ لنفسها به كسلاح للردع ضدهم. وبذلك لجأت إسرائيل إلى ترويج دعاية موجهة للعالم العربي منذ الستينات من القرن

الماضي عبر أسطورة الجيش الذي لا يقهر، لإرهاب العالم العربي وردعه قبل أن يقدم على أيـــة مواجهـــة مسلحة محتملة مع إسرائيل.

وحسب هذا المفهوم الإسرائيلي للعنف فقد كثفت إسرائيل من إجراءاتهـــا العســـكرية ضـــد الشـــعب الفلسطيني في انتفاضة الأقصى، والتي اتخذت طابعا شعبيا وعسكريا في وقت واحـــد، وشـــعرت إســـرائيل بالخطر على أمنها من جانب الشعب الفلسطيني. وطبقا للتقاليد الصهيونية في العنف، فقد لجأت ومـــن خلال أساليب الرد العسكري الفوري المباشر لتخويف الفلســـطينيين وترهيبهـــم، وتصـــاعدت آليـــات الاغتيـــالات والاعتقالات العشوائية، والحصار بما فيها خطة الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين، وأساليب الضغط السياسي والدبلوماسي، وضغط الإعلام، واللجوء إلى حرب الشـــائعات لإحـــداث البلبلـــة والفوضـــى فـــي صـــفوف الفلسطينيين، لردعهم عن الاستمرار في الانتفاضة أو الإعلان عن دولة فلســـطينية أحاديـــة الجـــانب فـــي الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام 1967، وردع المقاومين من القيام بعمليات إطلاق النار أو عمليـــات تفجير داخل فلسطين المحتلة عام 1948 (مركز دراسات الشرق الأوسط ، 2001 : 124-125)

أساليب الضغط الاقتصادي، استعملت أيضا كسلاح للحرب النفسية الإسرائيلية، هدفت إلـــى ردع الشعب الفلسطيني عبر فرض مزيد من الحصار الاقتصادي وتضييقه عليهم من خلال لقمة العيش، ومنع دخول الوقود، والغاز، وإغلاق المطار، والمعابر، ومنع دخول العمال والبضـــائع كـــإجراءات رادعـــة وحاسمة ضد الفلسطينيين لإرغام القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني على وقف الانتفاضة والمقاومـــة تحت ضغط التجويع والحصار الاقتصادي (مركز دراسات الشرق الأوسط ، 2001 : 150).

تحدث ناداف موراك في صحيفة كريستيان ساينز مونيتر بتاريخ 20 تموز 2006 ، عن تآكـــل فـــي قدرات الردع الإسرائيلي بسبب طبيعة الصراع مع الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، ولكن بيـــن الفينـــة والأخرى تلجأ إسرائيل إلى إعادة الاعتبار لقوة الردع الإسرائيلية. فقد عملت إسرائيل على اســـتعادة عامـــل الردع عبر توسيع عملياتها ضد الفلسطينيين، وحزب الله في العام 2006 أثناء الهجوم على لبنـــان وعلـــى قطاع غزة.بعد انسحابها مرتين، الأولى في العام 2000 من جنوب لبنان، والثانية من قطاع غزة في صيف 2005 (موراك، 2006 :1). ولذلك ما يجدر ملاحظته، أن إسرائيل تسعى إلى استعادة عامل الردع الذي بدأ بالتآكل من خلال القوة العسكرية لردع الخصم عن القيام بمغامرات عسكرية ضد إســـرائيل مســـتقبلا.

وفي الإطار ذاته فقد كان الهدف المعلن لاجتياح قطاع غزة بعد أسر الجندي الإسرائيلي شاليط الضغط على المنظمات الفلسطينية التي تحتجز هذا الجندي. غير أن بعض المراقبين الإسرائيليين اعتبروا أن العملية قد جاءت لاستعادة قوة الردع التي فقدها الجيش الإسرائيلي (البديري، 2006 : 1).

توسعت دائرة قوة الردع في انتفاضة الأقصى من المس بعائلات منفذي العمليات الفدائية (رغم التحفظ الأخلاقي الذي أبداه بعض الأمريكيين والإسرائيليين) لتصل إلى إمكانية تهديد دول خارج حدود إسرائيل لردعها من خلال الحوافز والعقاب، فمن خلال الحوافز أقرت أغلبية المشاركين في مؤتمر التجمع الأمني في إسرائيل الذي ضم أغلبية الأجهزة الأمنية الإسرائيلية برئاسة رئيس هيئة الأركان السابق أمنون ليفيكن شاحاك بالعمل على إعطاء الحوافز للدول التي تتصرف بصورة جيدة ضد الإرهاب، في حين يتم المس بأي دولة أو بحياة زعماء عرب ورؤساء دول مصنفة كدول مؤيدة للإرهاب، ليشكل ذلك تعزيزا لقوة الردع الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى (حركة التحرير الوطني الفلسطيني (2001 :2).

أشارت الأسطر القليلة السابقة إلى أن أحد أهم أهداف الحرب الإسرائيلية النفسية في انتفاضة الأقصى كان من خلال التأثير النفسي والجسدي على الأشخاص الذين يأوون ويحمون منفذي العمليات الفدائية، إضافة إلى الضغوطات الاقتصادية، من خلال سياسة الحصار الاقتصادي والحرمان، والتجويع، لإجبار المقاومين على التراجع عن تنفيذ العمليات ضد الإسرائيليين. وفي نفس الوقت استهدفت سياسة الردع الإسرائيلية تهديد من يوفر الحماية والدعم للمقاومين خارج حدود إسرائيل، وبالتالي تصبح القوة العسكرية وعامل الخوف والتهديد أهم مرتكزات سياسة قوة الردع الإسرائيلية.

6 . 8 تضليل الرأي العام العالمي وتعبئة الجبهة الداخلية الإسرائيلية

لقد تم الحديث في فصل سابق من هذا البحث عن دور وسائل الإعلام الإسرائيلية في ممارسة الخداع والتبرير للعمليات العسكرية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى، كان ذلك أسلوبا من أساليب الحرب النفسية التي اعتمدت عليها إسرائيل من خلال وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة وتلفاز. غير أن الهدف من ذلك كان يكمن في ممارسة الخداع والتضليل الموجه للجهة المحايدة في الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني في انتفاضة الأقصى، لنقل صورة الوضع إلى العالم بشكل مغاير للحقيقة، والهدف من ذلك، كما هو حال الحرب النفسية في بقاع شتى من العالم هو الحصول على تأييد العالم الغربي، أو صمته عن الإجراءات

الإسرائيلية على الأرض، من قتل وحصار، وتدمير وأساليب أخرى من القمع لجأت إليها إسرائيل في انتفاضة الأقصى.

والتعديل في عرض النزاع، وتقديمه إلى الرأي العام، في نزاع اعتبر أكثر إدراكا من غيره فيما يتعلق بالرأي العام الإسرائيلي، والغربي والأمريكي، وهو عامل حاسم لقلب الموازين على الأرض لصالح من يحسن استعماله بصورة تؤدي إلى إقناع الرأي العام الغربي. حتى ولو كان ذلك على حساب المصداقية في التعامل مع الحدث، مما يحوله إلى تضليل متعمد للرأي العام بهدف حصار الخصم في خضم المواجهات الدائرة في انتفاضة الأقصى، والتي شكلت عنوانا للصراع العربي الإسرائيلي على مدى قرن من الزمان.

استهدفت الدعاية الإسرائيلية في انتفاضة الأقصى التأثير على الرأي العام العالمي، والتأثير على القادة السياسيين في العالم، من أجل كسب تأييدهم للكيان الصهيوني وتعاطفهم معه، وذلك، من خلال تشويه الحقائق فيما يتعلق بالأحداث الدائرة في انتفاضة الأقصى، فقد حاولت الدعاية الإسرائيلية منذ الأيام الأولى إقناع العالم بأن هدف العمليات الفدائية التي نفذتها نساء فلسطينيات جاءت بدافع التخلص من وصمة العار التي لحقت بالنساء، من جراء علاقتهن بأفراد التنظيم لإنقاذ شرف العائلة.وأن التنظيمات الفلسطينية قد أنشأت مختبرات المتفجرات بالقرب من رياض الأطفال، وهذا هو سبب قتل الأطفال في انتفاضة الأقصى (أبو عرقوب، 2002 : 40).

" الفلسطينيون مجموعة من الهمج "، لا يحترمون نظامهم وقائدهم، هدف سعت إسرائيل إلى تحقيقه وترويجه في العالم من خلال التقرير الذي كتبه "دان أيفرون"، "ومايكل هش" عن جنازة عرفات "عرفات جاء وعندما ظهر النعش هبت الحشود للمس التابوت، فمزقت العلم وكادت عند نقطة معينة أن تقلب النعش"(لطفي 2006،ـ 252).لقد هدفت إسرائيل من ذلك إلى نقل رسالة للعالم عن الفلسطينيين مفادها، أن عرفات ترك خلفه مجموعة من "الفوضويين والإرهابيين"، وترك لهم ميراثا من العنف الذي سيضر بمنطقة الشرق الأوسط لسنوات عديدة مقبلة، وهو هدف عملت إسرائيل على إقناع الرأي العام بذلك.

لقد هدفت أساليب التضليل المختلفة من إشاعة ودعاية وإعلام في الحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة إلى العالم الغربي إلى أقناع العالم بأن الفلسطينيين لا ينتمون إلى المجتمع العالمي المتحضر، ولا

يتصفون بصفات الإنسانية في التعامل مع الخصم من خلال العمليات الفدائية التي ينفذها المقاومون في قلب إسرائيل ويقتلون أطفال، ونساء، وكبار السن في شوارع المدن الإسرائيلية. لقد نجحت إسرائيل في إقناع العالم الغربي والمتمدن في أن يشمئز من الأعمال التي يقوم بها الفلسطينيون. ولذلك صمت العالم عن آليات القتل، والقمع، والتدمير، التي مارستها إسرائيل وخاصة بعد الهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية في 11 أيلول 2002 والتي ربط فيها بوش ما بين الإرهاب في العالم، وبعض الحركات الإسلامية والعربية، ومنها بطبيعة الحال حركتي الجهاد الإسلامي وحماس.

لقد ركزت إسرائيل في انتفاضة الأقصى في سعيها إلى تضليل الرأي العام الغربي من عدة محاور أهمها : ما تم الحديث عنه سابقا من ترويج أسطورة باراك في العالم الغربي بتنازلاته المؤلمة للفلسطينيين، وإمكانية حصول الفلسطينيين على تنازلات من الإسرائيليين ، عن طريق العنف المنظم الذي تديره السلطة الفلسطينية. أما العنف، والقتل، والقمع، والحصار، بأشكاله المختلفة والذي تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين، فقد ركزت الدعاية الإسرائيلية على القيام بعملية تضليل للرأي العام الغربي عن طريق إقناعه بأن هذا العنف، يأتي ضمن عملية دفاع إسرائيل عن نفسها والتي ما تزال تعيش في منطقة معادية تريد القضاء على وجودها، رغم يد السلام الممدودة من الإسرائيليين إلى جيرانهم من العرب والفلسطينيين الذين لجأوا إلى العنف بدل السلام (الزرو، 2007 :4). لقد أظهرت نتائج استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي أن الجمهور الإسرائيلي يؤيد عمليات القمع والإرهاب ضد الفلسطينيين وانضم إلى ذلك مؤيدو اليسار الإسرائيلي إلى جانب المعسكر اليميني في إسرائيل وسط صمت وحياد أنصار السلام في إسرائيل (النعامي ، 2001 :16). وبذلك حققت إسرائيل أهم أهداف الحرب النفسية، المتمثلة في توحيد وتعبئة الجبهة الداخلية الإسرائيلية ضد الخصم الفلسطيني.

وأخيرا وفي مذبحة جنين، نشطت أجهزة الدعاية الإسرائيلية في حملتها لتضليل وإقناع الرأي العام، بأن ما حدث في هذا المخيم، يعود إلى أن هذا المخيم، هو عاصمة الإرهاب الفلسطيني، وأن الجيش الإسرائيلي قد بذل مجهودا مضاعفا لتجنب قتل المدنيين الفلسطينيين، الذين يختبئ بينهم أفراد التنظيمات الفلسطينية، ولذلك سقط 23 جنديا إسرائيليا في المواجهات بين الطرفين في هذا المخيم (أبو عرقوب، 2002 : 44).

وبذلك تكون الدعاية الصهيونية قد هدفت إلى التأثير وإقناع الرأي العام الغربي، سواء ما تعلق بتبريرات فشل العملية السلمية قبل الانتفاضة، أو ما تعلق بتبريرات العمليات العسكرية الإسرائيلية وأشكال القتل والقمع والحصار والإغلاق المختلفة، وقد وجدت أذان صاغية في العالم الغربي، بفضل نشاط الجاليات اليهودية هناك، ونشاط الدبلوماسية الإسرائيلية، وموقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الشبكة الالكترونية باللغات المختلفة، وربما تم توظيف هذا الموقع لكتاب عرب من أمثال الكاتب السعودي يوسف ناصر سويدان، وأعادت إسرائيل مقالته على هذه الشبكة، وبلغات مختلفة إلى جميع أنحاء العالم، وقد جاء في المقالة " إرهاب حماس يخرب بيت حانون" في إشارة إلى استمرار إطلاق صواريخ القسام، واستخدام النساء كدروع بشرية لفك الحصار عن المحاصرين في بيت حانون، بينما تزنرت إحدى النساء بحزام ناسف، وتم اختطاف الجندي شاليط، ليكون سببا في أعمال دفاعية إسرائيلية، ويضيف الكاتب السعودي أن كثيرا من الفلسطينيين المعتدلين، والعرب، وأعضاء مجلس الأمن الدولي، يتفهمون دوافع إسرائيل الدفاعية، بحسب ما يذكر يوسف سويدان (موقع و وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2006 :2). لقد استغلت إسرائيل هذا الصوت العربي بهدف تعزيز الدعاية الصهيونية في انتفاضة الأقصى لإقناع الرأي العام العالمي بالتبريرات الإسرائيلية لعمليات القتل والقمع والحصار.

ملاحظات نقدية : تدمير المجتمع والذات الفلسطينية

مع بدء الألفية الثالثة، تصاعدت وتيرة الحرب النفسية بشكل كبير في أماكن كثيرة من العالم، وكان لها دور لا يستهان به في حسم كثير من المنازلات ربما قبل أن تحدث. كان من أوضح صورها في بداية القرن الحالي، الانهيار الكامل الذي حدث في صفوف الجيش العراقي بعد الحرب التي شنتها دول التحالف الأمريكي الغربي على العراق، وما نتج عنها، من سقوط نظام صدام حسين بعد موجات من الدعاية الأمريكية. لقد عملت الدعاية الأمريكية على تفريد الخصم، وعزله عن محيطه العربي والإسلامي، ودوليا وعن أصدقائه في العالم الغربي. وحققت الدعاية الغربية والأمريكية والصهيونية إلى جانب عوامل أخرى تقليدية عسكرية سياسية، واقتصادية، أهدافها المتمثلة: بإسقاط نظام صدام حسين بأقل عدد ممكن من الخسائر في صفوف قوات "التحالف الغربي"، قبل أن تتداخل عوامل أخرى، لتتحكم في طبيعة النزاع والمنازلة الجديدة على أرض العراق.

استعانت إسرائيل بأخصائيي الحرب النفسية في حروبها ضد العرب، وعمل هؤلاء إلى جانب العسكريين في هذه الحروب. واستطاعت إسرائيل إقناع القادة السياسيين والعسكريين والشعوب العربية بقدرة الجيش الإسرائيلي على الوصول إلى العمق العربي بالمكان والتوقيت الذي تحدده القيادة العسكرية والسياسية في إسرائيل. ومن أجل ذلك عمدت إسرائيل إلى أساليب متعددة من الحرب النفسية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة والمنشورات. وهدفت الدعاية الصهيونية إلى إضعاف الروح المعنوية لدى الجيوش العربية ولدى المقاتلين، مستعملة بذلك الدعاية السوداء في كثير من الأحيان، بينما عملت الدعاية الصهيونية البيضاء في السلم إلى إقناع العالم العربي بقدرة إسرائيل العسكرية على الردع، والوصول إلى عمق العالم العربي، وترويج إشاعة "الجيش الذي لا يقهر"، وأنه لا فائدة من الحرب مع إسرائيل، وأن على العرب البحث عن السلام في المفاوضات وفق شروط القوي على الضعيف. واستهدفت الدعاية الصهيونية ضد العالم العربي تضليل الرأي العام العالمي، في قالب ديني توراتي عبر أساطير مؤسسة للدولة الصهيونية والتي تعبر عن كراهية اليهود "للغوييم" واعتبارهم مخلوقات وجدت لخدمة اليهود.

نمت الحركة الصهيونية في ظل ظروف التوسع الاستعماري الأوروبي وشكلت امتدادا له، ورأت الدول الاستعمارية في الحركة الصهيونية أداة لاستمرار سيطرتها وتأمين مصالحها في منطقة الشرق الأوسط

بشكل عام والوطن العربي بشكل خاص. ووجدت الحركة الصهيونية في الدراسات الاستشراقية التي صاحبت الاستعمار الأوروبي، والصورة التي صنعها الغرب لنفسه عن الشرق أرضية خصبة لتأمين سيطرتها على فلسطين والعالم العربي. فيما عملت الصهيونية أيضا على تحريك مجموعة من الأساطير الدينية، والتاريخية، والسياسية، لإقامة دولتها على أرض فلسطين. واستهدفت الدعاية الصهيونية اعتمادا على ذلك، تشويه صورة العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص في أماكن كثيرة من العالم وخصوصا أماكن صنع القرار، كما نشطت الدعاية الصهيونية أيضا في هذا المجال داخل المجتمع الإسرائيلي لتكوين صورة سلبية عن العربي والفلسطيني مستغلة بذلك مناهج التعليم والأدب العبري ووسائل الإعلام المختلفة.

عملت إسرائيل من خلال أساليب الحرب النفسية المصاحبة للعنف إلى إخضاع الفلسطينيين وترويعهم وإرهابهم ودفعهم للهجرة عن ديارهم في مراحل متعددة من الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ففي الوقت الذي استخدمت فيه إسرائيل الحرب الشاملة من خلال القوة والحرب النفسية، وذلك باستخدامها الخطة دالت عبر تطويقها للقرى العربية من ثلاث جهات أثناء ارتكابها للمجازر، لإتاحة الفرصة للفلسطينيين الخائفين لمغادرة القرى العربية من الجهة الرابعة فقط، والتي تعمد الجيش الإسرائيلي إبقاءها مفتوحة، عادت إسرائيل الى تطبيق هذا الأسلوب من الحرب النفسية أثناء اجتياحها لمناطق الضفة الغربية وقطاع غزة ومن خلال الحواجز العسكرية، حيث كانت تغلق مداخل المدن والقرى والمخيمات مع الإبقاء على طريق التفافية جانبية وعرة وطويلة، لاستعمالها من قبل الشعب الفلسطيني أمام مرأى من الجيش الإسرائيلي والمستوطنين، وذلك بهدف إخضاعهم، وإظهار السيطرة عليهم، ودفعهم من خلال هذه المعاناة اليومية المتواصلة وعبر الإحباط اليومي المستمر إلى مغادرة أراضيهم وتغيير أماكن سكنهم في ظل سياسة الترانسفير الزاحف الذي طبقته إسرائيل على الفلسطينيين منذ قيام دولتها.

حققت الدعاية الصهيونية نجاحا ملحوظا في انتفاضة الأقصى من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ووظفت أساطير سياسية على غرار الأساطير الدينية عندما أقامت إسرائيل دولتها، واستخدمت هذه الأساطير كإشاعة لإظهار أن الفلسطينيين قد فوّتوا اليد الممدودة للسلام من قبل الإسرائيليين برفضهم فرصة عرض باراك السخي في القرن الواحد والعشرين. هذا العرض الذي اعتبره الإسرائيليون انتهاكا صارخا للمحرمات المقدسة عند اليهود. ومن جانب آخر عملت وسائل الإعلام الإسرائيلية على نقل صورة مغايرة

للواقع في أحداث انتفاضة الأقصى للعالم الخارجي من أجل تضليله ووقوفه ومساندته لإسرائيل. لقد استطاعت الحرب النفسية من خلال وسائل الإعلام التركيز على التناقضات بين الشعب الفلسطيني وتنظيماته المختلفة، والإفادة منها في خلق حالة من الصراع السياسي بين التنظيمات لتحطيم وحدة الشعب الفلسطيني.

أثرت الحرب النفسية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني وحققت نجاحا ملحوظا في استثارة دوافع الخوف والقلق والإحباط وتحطيم الأفراد من خلال موجات متواصلة من الإشاعة التي بثتها المخابرات الإسرائيلية عن طريق العملاء، ومن خلال استخدام الأساليب والآليات المختلفة للحرب النفسية، من مكبرات الصوت والضجيج والمنشورات والاغتيالات والاعتقالات، لإثارة الفتنة وبث الرعب في صفوف الشعب الفلسطيني، واستهدفت الحرب النفسية الإسرائيلية أيضا من هم خلف القضبان لحملهم وإجبارهم على تغيير اتجاهاتهم وتحطيمهم تحت الضغط النفسي والخداع عن طريق استخدام العملاء والجواسيس.

مجموعة أخرى من آليات الحرب النفسية لجأت إليها إسرائيل في انتفاضة الأقصى بهدف كسر كبرياء الجماعة وإذلال الشعب الفلسطيني، من خلال الحواجز العسكرية، وسياستي الإغلاق والحصار الاقتصادي، التي أدت إلى تدمير بنية المجتمع الفلسطيني، سواء ما تعلق بإعاقة عمل المؤسسات الثقافية والتي أحدثت بدورها آثارا نفسية واضحة على الإنسان والمجتمع الفلسطيني، بشكل دفعت البعض منهم تحت الضغط النفسي والاجتماعي والمادي إلى القيام بأعمال سلبية تضر بالمجتمع الفلسطيني وتهدد ذاته.

لقد استطاعت الحرب النفسية الإسرائيلية من خلال مجمل الآليات وأساليب الحرب النفسية التي طبقتها إسرائيل تحقيق مجموعة أخرى من أهداف الحرب النفسية على أكثر من مستوى. فعلى المستوى السياسي، استطاعت تفريد الخصم ونزع الشرعية الدولية عنه، وعزله عن محيطه العربي والإسلامي والجماهيري تمهيدا لابادته. بينما عملت على المستوى السياسي أيضا على خفض سقف التوقعات والمطالب الفلسطينية من الإسرائيليين، نتيجة للضغط العسكري والنفسي المتواصل. فبعد أن كان هناك من يطالب بفلسطين التاريخية من البحر إلى النهر، ثم بحدود الرابع من حزيران، ومن ثم المطالبة بالعودة إلى ما كان عليه الوضع قبل انتفاضة الأقصى ، وأخيرا المطالبة بدفع رواتب الموظفين. أما على مستوى المجتمع الفلسطيني وتنظيماته السياسية، فقد استغلت إسرائيل التناقضات بين أبناء الشعب الفلسطيني وتنظيماته، وعملت من خلالها، والتي كادت أن توقع حربا أهلية بين أبنائه في منتصف العام 2006. أما على المستوى الأمني فقد

استطاعت الحرب النفسية الإسرائيلية عن طريق عاملي القوة والردع خفض العمليات الفدائية داخل فلسطين المحتلة عام 1948، والعمليات التي استهدفت المستوطنين والجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وعلى الصعيد الأمني النفسي الاجتماعي أيضا استطاعت إسرائيل تحقيق بعض أهدافها النفسية من داخل المجتمع الفلسطيني عبر تجنيدها لآلاف العملاء والجواسيس الذين كان لهم دورا واضحا في الأساليب والآليات المختلفة للحرب النفسية التي نفذتها إسرائيل في انتفاضة الأقصى ضد الشعب الفلسطيني سواء ما تعلق بالاعتقالات والتحقيق والاغتيالات أو ما تعلق بنشر الإشاعة في صفوف المجتمع الفلسطيني بهدف نشر البلبلة وإثارة الفتن والمشاكل بين المجتمع الفلسطيني وتحييد جزء لا يستهان به من المشاركة في فعاليات انتفاضة الأقصى.

وأخيرا تبقى الإشارة إلى التعبئة المعنوية التي استطاعت الحرب النفسية الإسرائيلية تحقيقها داخل المجتمع الإسرائيلي منذ بداية انتفاضة الأقصى، سواء ما تعلق بتقديم عرض باراك السخي للشعب الفلسطيني، وإقناع الجمهور الإسرائيلي بأسطورة "السلام الذي يبحث عنه باراك"، "والحرب التي يبحث عنها ياسر عرفات"، أو ما تعلق باستثارة الهولوكست في ذاكرة المجتمع الإسرائيلي نتيجة للعمليات الفدائية الفلسطينية في داخل إسرائيل، وهو أمر ساهم إلى حد كبير في التعبئة المعنوية للشعب الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى من أقصى المعسكر اليميني في إسرائيل إلى المعسكر اليساري ومرورا بمعسكر السلام في إسرائيل.

ورغم هذا التفوق الإسرائيلي في مجال الحرب النفسية، إلا أن هذا التفوق لم يكن حاسما. فعلى أرض الواقع نرى أن قوى التحالف الغربي والأمريكي ورغم التجهيزات العسكرية الضخمة ووسائل الحرب النفسية التي خاضتها ضد الشعب العراقي، لم تحقق هذه القوى أهدافها حتى الآن، وذلك عبر تصاعد المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق. وعلى الجانب الآخر فقد حقق حزب صغير كحزب الله في أواخر العام 2006 نصرا عسكريا وسياسيا على آلة الحرب التقليدية في إسرائيل، واستطاع خوض حرب نفسية على الشعب الإسرائيلي بإخافته وبث الرعب في قلوب الإسرائيليين وتشكيكهم في قيادتهم، عندما تحدث الأمين العام لحزب الله في خطابه الموجه للشعب الإسرائيلي بعد وقت قليل من استئناف المعارك بقوله "صدقوني وأنا اعرف أنكم تثقون فيّ أكثر مما تثقون في قيادتكم"، إضافة إلى خوضه حربا نفسية ضد الجنود الإسرائيليين

الذين كانوا يفرون من المعركة، بعد تشكيكهم بقادتهم العسكريين. والتي نأمل أن يكون لهذه الحرب النفسية التي اتبعها حزب الله ضد الإسرائيليين نصيبا من قبل الباحثين والدارسين والمهتمين في الحرب النفسية .

الحرب النفسية ليست كلمات تقال للاستعراض أمام الجماهير بل هي حرب تتطلب من القائمين عليها مزيدا من الإعداد، وتدريب الكوادر، ورفع جاهزيتها، والحفاظ على السرية التامة في الحصول على المعلومات، واستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في الإعلام. ويتطلب الأمر أخيرا أن يفهم القائمون على الحرب النفسية في البلاد العربية ضرورة الاهتمام بالحرب النفسية كمادة تدرس في الجامعات والمعاهد العليا في البلاد العربية، وأن تدرّس مواد الحرب النفسية كما تدرّس الأقسام الأخرى في علم النفس في الجامعات العربية. وكذلك من ضمن التوصيات التي أمل ان يأخذ بها القائمون على الحرب النفسية في البلاد العربية أو الأساتذة المختصين، وأن يعملوا على إنشاء مركز أبحاث متخصص
للحرب النفسية في الدول العربية، يعمل على إعادة تقييم للمرحلة السابقة وعملية بناء للمرحلة القادمة. وكلي أما تكون هذه الدراسة قد أسهمت في توفير جانب تفتقد إليه المكتبة والدراسات العربية وأن تكون البداية لدراسات أخرى متقدمة في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

العهد القديم

- **مصادر الكتب**

أبو عمشة ، عادل :***الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة.*** جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 1989.

أبو الشباب ، احمد عوض: ***مقومات النصر في ضوء القران والسنة.*** القسم الثاني، ا لمكتبة العصرية، بيروت ، 1999.

أبو الهيجاء ، إبراهيم، ***المنسيون. في غياهب الاعتقال الصهيوني***، مركز الإعلام العربي، القاهرة ، 2004.

أبو خزام، إبراهيم: ***الحروب وتوازن القوى***. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

أبو زيادة، إسماعيل جابر : ***الاحتياجات النفسية الاجتماعية للفلسطينيين في شمال الضفة الغربية***، مركز الخدمة الاجتماعية، جامعة النجاح، نابلس 2005.

أبو شلال، احمد : ***الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية***، مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان، 1999.

أبو غوش ، احمد، ***المعتقلون الفلسطينيون من القمع إلى السلطة الثورية***، العودة للدراسات والنشر، رام الله ، 2004.

أبو هنطش، محمد توهيل فايز: ***علم الاجتماع السياسي***. دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، 1998.

إمام، إبراهيم : ***الإعلام والاتصال بالجماهير***، مكتبة الانجلو المصرية ، 1969، القاهرة الإنسان، القاهرة 1999.

اورونسون، جيفري : ***سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية*** ترجمة حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1990.

ايلياد ، ميرسيا ***: ملامح من الأسطورة*** ، منشورات وزارة الثقافة، ترجمة حسيب كاسوحة دمشق 1995.

برو، فيليب : ***علم الاجتماع السياسي***، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1998..

بشارة، عزمي ***: لئلا يفقد المعنى.*** مواطن، رام الله ، 2002.

----------: ***ما بعد الاجتياح*** : 2002. مواطن، رام الله 2002.

---------- ***:*** ***إرادة تكسر الحصار***، دار الفكر، بيروت، 2002.

---------- : ***الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي.*** تحليل من خضم الإحداث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002.

بنفسيتي ، ميرون : ***الضفة الغربية وقطاع غزة. حقائق أساسية*** ، ترجمة ياسين جابر ، دار الشرق للنشر والتوزيع.

بني جابر، جودت: ***علم النفس الاجتماعي.*** مكتبة دار الثقافة، عمان، 2004.

البورت، جوردن: ***سيكولوجية الإشاعة***، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964.

تايلور، توم : ***صواريخ ومتفجرات ، سياسة تدمير المنازل الفلسطينية بالصواريخ والمتفجرات***، مؤسسة الحق رام الله، 1993.

تايلور، فليب : ***قصف العقول. الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي***، عالم المعرفة، المجلس الوطني الثقافة والفنون والآداب، الكويت 2000

تزى، سون : ***فن الحرب***. ترجمة هشام المالكي، هشام ، المجلسىالأعلى للثقافة، 2005.

جمال، أمل : ***الصحافة والإعلام في إسرائيل***، منشورات المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2005.

حاتم، محمد عبد القادر: ***الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية.*** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993.

حافظ ، صلاح الدين ***: تزييف الوعي. أسلحة التضليل الشامل ، سطور***، القاهرة 2004.

حسونة، خليل إبراهيم: ***الحرب والثقافة***.دار المنارة للطباعة والنشر، طرابلس، 2001.

حمدان، عبد المجيد:***الانتفاضة محاولة تقييم***، دار التنوير للنشر والتوزيع والترجمة.2002.رام الله

الحديدي، منى ***: الإعلام والمجتمع***. جمعية الرعاية المتكاملة المركزية، القاهرة ، 2004.

الخالدي ، وليد : ***الصهيونية في مئة عام*** : دار النهار للنشر ، بيروت، 1998

الخضراء ، محمد طارق :***المجازر الصهيونية المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني***. 2003.

ابن خلدون ، عبد الرحمن: ***مقدمة ابن خلدون***. دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2003

الخليفة، عمر هارون: ***علم النفس والمخابرات***.المؤسسة العربية للدراسات ونشر، بيروت، 2000.

دافيد، ستيفن : ***خيارات قاتلة، سياسة التصفيات الإسرائيلية***، مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية، ترجمة هاشم حمدان مؤسسة باب الواد : 2004.

الدباغ : فخري : ***غسل الدماغ. دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة التمذهب وتحوير الاتجاهات.*** دار الطليعة والنشر، 1982 بيروت.

الدباغ، مصطفى: ***الحرب النفسية الإسرائيلية***. مكتبة المنار، الأردن 1983.

--------- ***المرجع في الحرب النفسية***، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1998.

دروكر : رفيف : ايهود باراك –الإخفاق الأكبر ، ترجمة هاشم حمدان مؤسسة الأيام، رام الله 2004.

راينهارت ، تانيا :***إسرائيل فلسطين***، ترجمة رندة بعث، دار الفكر دمشق 2004.

ربايعة ، إسماعيل : ***الاستراتيجية الإسرائيلية*** ، المنار ، الأردن ، 1983.

ربيع ، حامد : ***الحرب النفسية في الوطن العربي***. دار واسط للدراسات والنشر، بغداد 1989.

رشتى، جيهان احمد: ***الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية***. دار الفكر العربي، القاهرة 1985.

الرفاعي، نعيم: ***الصحة النفسية.دراسة في سيكولوجية التكيف***، جامعة دمشق، 1928

روز، جون : ***أساطير الصهيونية***، ترجمة قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2006.

الزبيدي، كامل علوان: ***علم النفس الاجتماعي***. مؤسسة الوراق، عمان، 2003.

الزغلول، عماد عبد الرحيم: ***علم النفس العسكري***. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان ، 2003

زهران، حامد: ***علم النفس الاجتماعي***، عالم الكتب، 1977

ستيرنهل ، زئيف : **الأساطير المؤسسة لإسرائيل** ، ترجمة عزت الغزاوي ، مدار، رام الله.

سعيد، ادوارد: **نهاية عملية السلام**، دار الآداب، بيروت، 2001

----------***الثقافة والإمبريالية*** :دار الآداب، ترجمة كمال أبو ديب، القاهرة ، 1997.

سويد، محمود : **الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية من محاصرة المقاطعة إلى إخلاء كنيسة المهد**

. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ، 2002.

سيفر: دينيس: **حرب إسرائيل الإعلامية**. الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 2004.

شاحاك، إسرائيل : ***الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود***، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة ، 1994.

شانديسي : **علم النفس في القوات المسلحة**، ترجمة محمد ياسر الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1981.

شبيب، سميح: **دراسات إعلامية**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله 2004.

شحاتة، عبد المنعم: ***من تطبيقات علم النفس***. ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

الشرعة، علي وآخرون: ***الاغتيال جريمة حرب ثابتة في السياسة الإسرائيلية***، مركز دراسات الشرق الأوسط، المكتبة الوطنية ، 2002 عمان.

شعبان ، احمد بهاء الدين وآخرون : ***ماذا بعد انهيار عملية التسوية***. مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2004.

شعبان ، خالد وآخرون :***اثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني*** باحث للدراسات بيروت، 2004.

شفيق، محمد : ***الإنسان والمجتمع مع تطبيقات في علم النفس الاجتماعي***، المكتب الجامعي

الحديث، القاهرة ، 2004.

شلايفر، رون: ***الحرب النفسية في إسرائيل رؤية جديدة***.معهد بيغن السادات للدراسات، تل ابيب 2003، نسخة باللغة العبرية

شير، غلعاد : ***قاب قوسين أو أدنى من السلام***، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل، عمان، 2002.

شيلر، هربرت : ***في نظام التضليل الإعلامي***. مجموعة من المؤلفين، ترجمة غازي أبو عقل، دار المستقبل، دمشق، 1994.

طه، رياض : ***الإعلام والمعركة***. مقدمة بقلم الرئيس شارل الحلو، دار النهار للنشر بيروت، 1973

عباس، خضر محمود: ***العملاء في ظل الاحتلال***.مكتبة الأمل التجارية، غزة 2004.

عبد الجواد، صالح : ***في ظاهرة العملاء في فلسطين***، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، باسيا، القدس ، 20001.

---------- ***البيانات الإسرائيلية المزورة***، مركز القدس للدراسات الإنمائية، عمان، 1987

---------- مقال غير منشور، ***سلسلة محاضرات في جامعة بيرزيت***.

عبد الدائم ، عبد الله : ***صراع اليهودية مع القومية الصهيونية*** : دار الطليعة، بيروت 2000.

عبد الرازق، عمر وآخرون : ***تأثير الحصار الإسرائيلي على الاقتصاد الفلسطيني خلال الفترة 28/09/2000/30/06***/معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، القدس، 2002

عبد الله، على احمد : ***تحليل لمضمون الخطاب الإعلامي الفلسطيني بالمقارنة مع الخطاب الإعلامي الإسرائيلي في انتفاضة الأقصى***، منصورللطباعةوالنشر والتوزيع

عبد الله حسن: ***الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين***، دراسة القدس 2005.

العبد، عاطف عدلي: ***الدعاية. الأسس النظرية والنماذج التطبيقية***. دار الفكر العربي، القاهرة 2003.

عبدالله، معتز سيد: ***علم النفس الاجتماعي***. دار غريب، القاهرة، 2001.

عدس ، عبد الرحمن ***: المدخل إلى علم النفس***. دار جون وايلي وأبنائه، انجلترا ، 1986.

علقم، نبيل : ***الحواجز العسكرية الإسرائيلية. دراسة تحليلية لدور الحواجز في الإخضاع والاقتلاع***، مركز فلسطين للدراسات والنشر، رام الله 2003.

علقم، نبيل : ***انتفاضة الأقصى بين العقل العدواني والعقل المقاوم***، مركز فلسطين للدراسات والنشر، رام الله 2002 .

علوش، ناجي : ***الأساطير والوقائع، الصهيونية والأمة العربية***. دار الشروق، عمان 1998.

العكش، منير : ***حق التضحية بالأخر. أمريكا والإبادات الجماعية***. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ، 2002.

عماد، عبد الغني : ***ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية*** : دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 2001.

عواد، ناريمان احمد : ***الانتفاضة والإعلام، محاور التغطية الإعلامية لانتفاضة الأقصى*** . منشورات الرابطة الدولية للقلم، القدس، 2004.

عوض، احمد رفيق ***الخطاب الإعلامي الإسرائيلي حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح***، 2006 جامعة القدس ، 2006.

العيسوي، عبد الرحمن محمد : الحرب النفسية والدعائية، منشورات الحلبي الحقوقية بيروت ، 2004.

--------- ***علم النفس الحربي***. دار الرواتب الجامعية. بيروت، 1999

--------- ***علم النفس العسكري***. دار الراتب الجامعية، بيروت ، 1999

--------- ***سيكولوجية الحرب والسلم***. دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2005

غار ودي، روجيه : ***الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.*** دار عطية للطباعة والنشر، بيروت 1996

----------: ***محاكمة الصهيونية الإسرائيلية***، ترجمة حسين قبسي، بيروت 1998.

---------- : ***فلسطين ارض الرسالات السماوية***، دار طلاس ، دمشق، 1991.

غازيت، شلومو : ***العصا والجزرة، الحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية***، القدس.

غد نز، انتوني : ***علم الاجتماع السياسي*** ، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، دمشق.

غرانت، نيل : ***أسرار الحروب***. دار الحسام للطباعة والنشر، بيروت، 2003.

غريش ، الن : ***إسرائيل فلسطين : حقائق حول النزاع***، الدار الوطنية الجديدة، ترجمة سليم طنوس، دمشق ، 2003.

غنايم، محمد حمزة : ***وجها لوجه، سجالات مع مثقفين يهود*** : مدار، رام الله ، 2001.

غنايم، محمد : بني موريس ***في كامب ديفيد وما بعده، مقايضة الوهم***، أوراق إسرائيلية، 2002

فانون، فرانتز : ***معذبو الأرض*** ترجمة سامي الدروبي ، دار القلم بيروت 1972.

فرويد ، سيجموند : ***الموجز في التحليل النفسي***، ترجمة سامي علي، دار المعارف، القاهرة 1970.

قاسم :عبد الستار : ***مقدمة في التجربة الإعتقالية***، جامعة النجاح، نابلس، 1986.

قراقع، عيس : ***الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد اوسلو 1993- 1999*** معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت ، 2001.

قريع ، احمد : ***الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات من اوسلو إلى خارطة الطريق.*** مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ، 2005.

----------:***استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة.*** منشورات الطلائع بالتعاون مع مؤسسة الأرض، بيروت 1978.

لبيب، الطاهر : ***وآخرون : صورة الأخر العربي ناظرا ومنظورا إليه.*** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 19999.

كمرلنك، باروخ : ***التصفية، حرب اريل شارون ضد الفلسطينيين*** ترجمة سمر عدنان، الدوار الثقافي، بيروت ، 2005.

كناعنة، مصلح : ***أعماق الذات الفلسطينية*** : السيرة النفسية والاجتماعية للشباب الفلسطيني الذي نشا في جو الألم والأمل والإحباط بين الانتفاضتين، حيفا 2006.

كوانت، وليام : عملية السلام، مكتبة العبيكان، الرياض 2002.

كوهين ، هليل : ***الغائبون الحاضرون، اللاجئون الفلسطينيون في إسرائيل منذ 1948.*** ترجمة نسرين مغربي. بيروت ، 2003.

الكيلاني، هيثم : ***الإرهاب يؤسس دولة. نموذج إسرائيل.*** دار الشروق، القاهرة 1997.

ماركس، كارل: ***حول المسالة اليهودية***، منشورات الجمل، ترجمة نائلة الصالحي، كولونيا ، 2003

ماركو، ميلوش : ***الحرب النفسية***، دار الثقافة الجديدة القاهرة ، 1973.

مبيض، رشيد : ***موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية***، دار القلم العربي، حلب 2003.

محمد، زكريا : ***في قضايا الثقافة الفلسطينية*** ، مواطن، رام الله ، 2002.

محمد عبد القادر حاتم: ***الإعلام والدعاية*** ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، .2000.

مخيمر ، صلاح : ***مدخل إلى الصحة النفسية.*** مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1972.

المسيري، عبد الوهاب : الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان وحتى انتفاضة الأقصى ، دار الشروق، القاهرة ، 2001

المسيري ،عبد الوهاب : ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.***

مصالحة ، نور ***: إسرائيل وسياسة النفي. ترجمة عزت الغزاوي***، مؤسسة الأيام رام الله 2003

----------: ***مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882 – 1948***

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، 1992.

المصري، محمد محمود : ***الدولة العبرية والحرب النفسية،*** غزة 2004.

منـاع، جـودت الاحتلال الإسـرائيلي والإعلام. منشـورات بالميـديا انسـتيتيوت للإعلام،

فلسطين ، 2004.

موريس، بيني : ***طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين.*** ترجمة دار الجليل، عمان 1992

النابلسي، محمد احمد : ***النفس المغلولة، سيكولوجية السياسة الإسرائيلية***، مركز الدراسات النفسية والجسدية.

النعامي، صالح : ***العسكر والصحافة في إسرائيل***، دار الشروق، القاهرة 2005.

نوفل، احمد : ***الحرب النفسية،*** الكتاب الثالث، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان 1986

نوفل ، ممدوح ***: الانتفاضة. انفجار عملية السلام***، ياقوت للخدمات المطبعية، عمان 2002.

همو، عبد المجيد: ***المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني*** ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق،2003

هيبرغ ، ماريان وآخرون ***: المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية،***

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، 1994 ، بيروت.

يانغ، روبرت : ***أساطير بيضاء***. المجلس الأعلى للثقافة، ترجمة احمد محمود، القاهرة : 2003

يعقوب، محمد حافظ : ***اللاجئون الفلسطينيون وعملية السلام***. مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

حركة المقاومة الإسلامية (حماس) : ***صراع في الظلام كيفية المواجهة في أقبية التحقيق*** ، مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية، القدس 2005

مجموعة من الأدباء والكتاب والعلماء: ***تراث الإنسانية***، المجلد الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

مركز دراسات الشرق الأوسط : ***انتفاضة الأقصى تعيد النظر بمستقبل الكيان الصهيوني*** المكتبة الوطنية ، عمان 2001.

مركز زايد للتنسيق والمتابعة: ***العام الأول للانتفاضة. النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية لانتفاضة الأقصى على الفلسطينيين*** ، 2001.

وزارة الإعلام : ***أثار الحصار الإسرائيلي على فلسطين***، كتاب رقم 20 ، نيسان 1996.

- **مصادر الدوريات**

أبو إصبع : "الثقافة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال"***.صامد الاقتصادي***، مؤسسة الكرمل، العدد 81 ، 1998، ص 37-51.

أبو بكر، توفيق:" جنود الحواجز الإسرائيلية ينكلون بالفلسطينيين". **العربي** العدد 555، فبراير 2005 ، ص 31 —33.

أبو عرقوب، إبراهيم :" الدعاية الصهيونية الالكترونية ضد انتفاضة الأقصى ". ***مجلة دراسات شرق أوسطية***، العدد 23 ، عمان، ربيع 2003، ص 37-43.

أبو سعد : إسماعيل: "كيف تصور الكتب الدراسية العرب في جهاز التعليم اليهودي في إسرائيل"، ***قضايا إسرائيلية***، مدار، العدد 24 2006.، ص 74-93.

أبو سمرة ، محمد :"السياسة الإسرائيلية تجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين". ***قضايا***، العدد 3 ، أيار 1990 ، ص 19 -49 .

أبو سمرة ، يوسف :" الحرب النفسية والإنسان الفلسطيني"، ***الكاتب***، المجلد 3، العدد 29. ص 10—15.

أبو شكر ، عبد الفتاح :"أوضاع الصناعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة". ***صامد الاقتصادي***، العدد 81 ، تموز-أب -أيلول 1990 ، ص 15—29.

اغبارية، مسعود : "الاسرائيليون وانتفاضة القدس والأقصى بعد أربع سنوات".***قضايا إسرائيلية*** العددان السابع عشر والثامن عشر ، شتاء وربيع 2005 ، ص 4-21.

بدير ، خالد : "الدعاية الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية". **باحث للدراسات** السنة الأولى، العدد 1 ، ص 81-98

برامكي، جابي : "تجربة التعليم العالي في فلسطين منذ الاحتلال "، نشأته، الإشكاليات، . ***السياسة الدولية***، العدد 26، 2000 ، ص 6—14.

بشارة ، عزمي : "مائة عام على الصهيونية ". الكرمل ، ***مؤسسة الكرمل الثقافية***، العدد 53 خريف، 1997 ص 11-20.

حبش، صخر أبو نزار : " المخطط الصهيوني المستقبلي وتحديات المشروع الحضاري"، ***العربي***، أفاق عربية، العدد السنة، بيروت.

الحوراني، حسام : "سياسة الاغتيالات الإسرائيلية "إرهاب دولة". ***مجلة دراسات شرق أوسطية*** مركز دراسات الشرق الأوسط العدد 18 شـــتا 2001/2002 ، ص 61-69.

الذباينة ، وصفي موسى:"حروفها كنتونات...نقاطها حواجز". ***رؤية***، الهيئة العامة للاستعلامات

، العدد 21 أيلول 2002، ص 175-185 .

ريناوي ، خليل :"التغطية الإعلامية الإسرائيلي لانتفاضة الأقصى.آليات سحب الشرعية". ***رؤيه*** الهيئة العامة للاستعلامات، العدد 15 كانون ثاني 2002 ، ص 67— 78.

الزرو، نواف :"وسائل الإعلام في المواجهات الإسرائيلية – الفلسطينية"، ***رؤية***، العدد 5 يناير 2001

شعث، شوقي :"التراث الحضاري الفلسطيني والتحديات الصهيونية" ، ***الوحدة***، المجلس القومي للثقافة العربية ، العدد 21، ، 1986 ص 62 -71.

الشيخ : عبد الرحيم : "الأخر انتحاريا"، ***أقواس*** العدد 6 ، 2002 ، ص 20-40.

صبيح ، عمران:"الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعمالة في الضفة الغربية". ***الفكر الديمقراطي*** العدد 4 خريف ، 1988، ص 15—33.

صوان، احمد : "الإعلام الصهيوني الغربي والانتفاضة". ***الدراسات الإعلامية***، المركز العربي الإقليمي، العدد 106/107، القاهرة، يناير 2000 ، ص 35—50.

عبد الجواد ، صالح : "مضاعفات الاحتلال الإسرائيلي على المؤسسات الفلسطينية الثقافية والتربوية"، ***الوحدة***، المجلس القومي للثقافة العربية، العدد 21 ، 1986

عبد الله ، سمير : "خصائص القطاع الصناعي في الضفة الغربية وقطاع غزة ". ***الكاتب*** للثقافة الإنسانية والتقدم، العدد 100، القدس ، 1988 ، ص 25-38

عطايا، أمين : "الاتجاهات والطرق الأساسية للدعاية والحرب النفسية الإسرائيلية"، ***الوحدة*** العدد 88، 1992، ص 142-151.

كابليوك، أمنون:" إسرائيل وانتفاضة الأقصى"، **قضايا إسرائيلية**، مدار، العدد 1 شتا 2000 ، ص 9 -14.

كبها، مصطفى : "وسائل الإعلام العبرية ودورها في الانتفاضة الأخيرة"، **قضايا إسرائيلية**، العدد 4، 2001 ، ص 119—124 .

الكسان، جان : ا"الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة".**الوحدة**، المجلس القومي للثقافة العربية، العدد 10، 1992، ص 11-121.

قهوجي، حبيب : "الإجراءات الإسرائيلية ضد الثقافة العربية في فلسطين". **صامد الاقتصادي**، مؤسسة الكرمل ، 1998 ص 76-84.

لاؤؤر، اسحق :" الانتفاضة في كتابة الأخر"، **الكرمل** مؤسسة الكرمل الثقافية العدد 66 شتا 2001.

لبد ، عماد سعيد :" الاغتيالات الإسرائيلية والتصفيات الجذور والأسباب". **رؤية**، الهيئة العامة للاستعلامات ، العدد 12 أيلول 2001 ، ص 83-103.

لطفي، ابتسام : "بين وفاة عرفات ومرض شارون نيوزويك وسياسة التضليل"، **صامد الاقتصادي**، مؤسسة الكرمل العدد 144 حزيران، 2006، ص 247 .

محفوظ، عقيل سعيد :"عرض لكتاب مستلزمات الردع، مفاتيح التحكم بسلوك الخصم". **شؤون اجتماعية**، جمعية الاجتماعيين، العدد 63 ، 1999، ص 165-170.

منصور : هالة : "استراتيجية الإرهاب، دور المجازر الصهيونية في النكبة وقيام الدولة العبرية"، ***صامد الاقتصادي***، العدد 113، تموز أب أيلول 1998، ص 68-89

منصور، جوني : "الاصطلاحية الانتقائية في الصحف العبرية". ***قضايا إسرائيلية***، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، العدد 9، 2003 ، ص 88-101

موسى، أنور : "ظاهرة العملاء في الأراضي الفلسطينية المحتلة "، ***باحث للدراسات***، المجلد 2 العدد 8، ص 154—165 .

ناطور، سلمان:" وسائل الإعلام الإسرائيلية استنفار لصالح المؤسسة"، ***قضايا إسرائيلية***، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، المجلد 1، العدد ، 1شتاء 2001، ص 43—52

هاس، عميرة : "سياسة الإغلاق الإسرائيلية استراتيجية غير مجدية للاحتواء والقمع". ***صامد الاقتصادي*** العدد 52، 2002 ، ص 74 -87 .

واكيم، واكيم : "المهجرون اللاجئون في وطنهم منذ نكبة 1948". ***صامد الاقتصادي***، دار الكرمل العدد 113 ، 1990، ص 196—208 .

- **المراجع الأجنبية**

Bar-on, Mordechai: Trends in the political Psychology of Israeli Jews 1967-1986 , Palestine studies ,issue 65,pp20—36 ,1995.

Segef, Tom : the seventh million , the Israelis and holocaust, library of congress cataloging –in publication data ,1993

Rouse, Major ed :psychological operations warfare.
http://www.psywarrior . c0m/psyhist. html

Young ,Kimball :Social Psychology
Century,1956

Y

- **مصـــادر**

الصحف

جريد العرب الدولية معالم جديدة في انتفاضـة الأقصـى. الشـرق الأوسـط، ، العـدد 7992، الأحـد 15 أكتوبر العدد 7992، الأحد 15 أكتوبر، 2000

هارتس 11/تشرين أول 2000

هارتس 27/10/2000

هـأرتس، عـاموس هرئيـل، الجيـش الإسـرائيلي يقـرر إعـادة تشـكيل وحـدة الحـرب النفسـية ضـد الفلسطينيين ، 25/01/2005.

- **التقارير والمنشورات على الانترنت**

درعاوي ، داود : تقرير حول جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية ، مسؤولية إسرائيل عن الجرائم خلال انتفاضة الأقصى، الهيئة الفلسطينية لحقوق المواطن ، تقرير 24 رام الله 2001.

شبكة فراس الإعلامية :20/01/1427
http://www.fpnp.net/arabic/?action=detail&id=15507

مؤسسة القانون ومركز السلام الإعلام الإسرائيلي والانتفاضة، سلمان ناطور، استنفار لصالح المؤسسة، في 6 كانون أول 200

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، الآثار والتحولات الناتجة عن الممارسات الإسرائيلية لقمع انتفاضة الأقصى 02/03/1427

مركز المعلومات الفلسطيني : حصاد ثلاث سنوات من القتل والترويع وإرهاب دولة الاحتلال في محافظة الخليل من 28/09/2000 إلى 28/09/2003 : 11/02/1428.

مركز المعلومات الفلسطيني دراسات وتقارير. السياسة الإسرائيلية في تدمير المنازل الفلسطينية 08/04/1428
http//www.pnic.ps.gov.ps/Arabic/guds/Arabic/viol/studies

مركز المعلومات الفلسطيني : الانتهاكات الإسرائيلية ضد البيوت الإسرائيلية : 11/2006
http://wwwpinic.gov/arabic//quds/arabic/vol/11-2006htm1

مركز تحالف السلام الفلسطيني :
Palestinian Peace COALITION,08/06/2006 ,13/01/1428
http://www.pps.org.ps/arabic/inner.php?contents=arabic-reports&id=227

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :دراسة الآثار النفسية للأطفال والتلاميذ الفلسطينيين الناجمة عن كل إشكال العدوان الصهيوني 07/02/1428.

وزارة الخارجية الإسرائيلية : إرهاب حماس يخرب بيت حانون : 14 تشرين الثاني 2002، يوسف سويدان
Htm://wwwaltawasninet/mbaar/onn+eds+arab+writer/hamas+terror+destroves+heit+bano

الجيل للصحافة : إسلام اون لاين 28/07/2001
HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news/2006/12/20/06

موقع إسلام اون لاين على الانترنت
HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news/2006/12/20/06

النجاح للصحافة، الاحتلال يحرم الفلسطينيين من النوم، 17/04/2002، موقع إسلام اون لاين على الانترنت
HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news/2006/12/20/06

المركز الصحافي الدولي: انتفاضة الأقصى في الإعلام الأمريكي المكتوب ابريل 2001
http://www inc gov. ps/inc a-1/a media 20%monitorino

المركز الصحافي الدولي : الجيش الإسرائيلي ينشيء وحدة خاصة لممارسة الحرب النفسية 13/02/2006http://www. ipc.gov.ps/ipc-new/Arabic/details.asp nam=13629

مركز غزة للحقوق والقانون، التقرير الشهري للانتهاكات الإسرائيلية كانون ثاني 2005 http://www hrinfo net/palestin/gcrl/2005/pr0100-2shtml

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان : هدم المنازل بهدف الردع ومعاقبة الأهل، دراسة تقييمية للتجمعات السكنية الجديدة لأصحاب المنازل المدمرة في قطاع غزة نموذجا، دراسة رقم 41 -

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان : هدم المنازل بهدف الردع ومعاقبة الأهل 20009/02/1427 :http://www.pchrgaza.ps/file/report/arabic/2003/demolistion20%hour

اسكندر ، فادي : الأوضاع القانونية لفلسطينيي 48 ، الحوار المتمدن العدد 1725 /05/11/2006 http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=80004

أبو كشك، غازي: سياسة الاغتيالات في الفكر السياسي الإسرائيلي، المؤسسة الفلسطينية للإعلام. marocsite.com/ar/modules/news/article.php ?storyid=251 http.//www

أبو رزق ، فايز : انتفاضة الأقصى الحرب الإعلامية. التقرير السنوي الثالث ، 2001 ، 2002 http ://cadocunments and settings/administrator /desktopالمركز الصحافي الدولي

أبو رزق، فايز : الخبر الفلسطيني في إذاعة وتلفزيون إسرائيل. 31/05/2002—1/05/2002 ttp ://inc gov ns/inc a—1/a media %20monitoring

أبو راس :منير : العامل الفلسطيني في مواجهة سياسة الحصار والإغلاق الإسرائيلي 21/07/2003. http://www.miftah.org/arabic/printerF.cfm?docid=273

البديري، احمد : إعادة قوة الردع أهم أهداف عملية قطاع غزة العسكرية : 29/يونيو 2006 http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle-eas -news/newsid-519000/5129974.stm

بدوي ، جوزيف : إسرائيل فلسطين، حقائق حول نزاع. تاريخ الزيارة 25/01/1428 http://maaber.50megs.com/issue-march04/books-6.htm

بشارة، عزمي : عرب 48. المركز الصحافي الدولي :30/10/2003

http inco gov a-inc ps/inc a-1/a articles/inc-a articles -2003inc-a articles042ht
أوري افنيري : كسر الرأس

الحرب النفسية ضد العرب: محطات وأساليب ---يوبي شدمي براك ربيد 2060 File://c:/documents and settings/administrator/desktop

عبد الوهاب المسيري، اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية ، 2002 http//www aliazeera net/experes /6fc06760-a43c

المسيري، عبد الوهاب :: الانتفاضة وجذور العنف الصهيوني. القاهرة 2000
http//www.islam online.net *Arabic/politice /2000/11/article shtml

ستيفن وولت : اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية، 23 آذار 2006
−http//www palestin-info /2006

السامرائي، معالم جديدة للحرب النفسية في انتفاضة الأقصى. الشرق الأوسط، 15/أكتوبر 2000 العدد 7992
http://www.ashrqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=8994&issue=7992

السامرائي، ماجد احمد : الحرب النفسية في الحملة العسكرية 01/01/2002
http://www azzamancom/azz/articles/2002/01/01-15/a99849htm

شوفاني، الياس : مقدمة في طبيعة المشروع الصهيوني.
http://www.qudsway . ir/links /felisteenyiat/9/html

الصواف، محمد : فتح وحماس والعملاء. 20/12/2006
HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news/2006/12/20/06

الصواف، مصطفى : ظاهرة العملاء أسباب وحلول،
http://www.islamonlin. net /arabicx/intifada/2002/07/article 01

الصواف، مصطفى : اعترافات جاسوس فلسطيني : موقع إسلام اون لاين 05/08/2002.
HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news/2006/12/20/06

الفرا، محمد علي : المتلاعبون بالعقول : تاريخ الزيارة 04/02/1428 : 07/11/2003
http://alarabnewscom/alshaab/gif/07-11-2003/farrahtm

داود، سليمان داود : المذابح الإسرائيلية في فلسطين . 17/05/2006
Htm;// aliazeera net /nr/ exeres/50695

زعرب ، عادل : ضحايا مجزرة رفح في تصاعد 22/05/2004
http://www islamonline net /Arabia /news /2004/05/22

زغلول : لطفي :الحواجز الفلسطينية والآلام الفلسطينية ، 07/01/2007
http://www. nooralfager. com/index.php/?action =show magal

الزرو ، نواف : التطبيقات الإجرامية للفكر السياسي الإرهابي الصهيوني على الأرض
−http:/wwwpalastine –info /Arabic/terror/alfikr/altbiagt htm

الزرو ، نواف : كامب ديفيد 2 صراع لاءات فلسطينية وإسرائيلية
/HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news

الزرو، نواف : وسائل الإعلام في المواجهات الفلسطينية الإسرائيلية. رؤية، 18/01/1428
http://www.sis.gov.ps/arabic/royal/5/page11.html

كوك، كاثرين : التعذيب من أبو غريب إلى عسقلان. صحيفة الطليعة، العدد 1643، سبتمبر 2004
http://local.taleea.com/newsdetails.php?id=1818&issueno=1643

دراج، فيصل : التلفيق والعدوانية في الايدولوجية الصهيونية، 31/12/2005
http://www.moqawama.org/isrionism

عبد الهادي : مها :إسرائيل تطالب أهالي نابلس بالعمالة ، 11-08-2002
http ://wwwislamonline >net /Arabic /news/2002/08/11

عبد العظيم ، صالح سليمان : خمسة وأربعون عاما على رحيل فانون. 10 كانون أول 2006

العجرمي، اشرف :الإعلام الإسرائيلي، تأثيرات سلبية على الرأي العام، مجلة رؤية، السلطة الوطنية الفلسطينية
http://www.sis.qov.ps/arabic/royal/12/pag8.html

عفيفة، وسام : احذروا الصحافة الإسرائيلية، مجلة العصر ، 07/07/2003
http://www.alaser.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=4285

نجم ، السيد : الأخر في الأدب العبري ، 2004
http://www.ofouq.com/today/modules

البر عي، رولا خضر http:///ww.sis.gov.ps/arabic/royal /21/12/1427

حلبي، إسامة : كيف استولت إسرائيل على الأراضي الفلسطينية.
HTTP://WWW. THEjerusalem.net/ARArticle?storyid=68

خضر، إسماعيل : دور القوانين الدولية والتشريعات السماوية في حماية المدنيين أثناء الحرب، اليونسكو
Http//www.isesco.org.ma/pub/Arabic/atar%20nafassiya/p10.htm

الخفاجي، احمد : الحرب النفسية من منظور إسلامي، 28/02/1428
File ://موقع السيد احمد علي الخفاجي htm

ريفيوز ، كامبردج بوك : 2006 : حرب الإعلام الإسرائيلية :تضليل إعلامي وتماثلات باطلة
http:.//www aliazera net /nr/exeres/F77C57D3-F311-486D-A47A-7BDEFA

محمد ، الصالح : عملاء فلسطينيون وراء كمائن الموت الإسرائيلية 27/11/2003
http://wwwislamonline net /Arabic/news2000/11/28

المدهون، زكريا : قطاع العمال الفلسطيني تكبد خسائر فادحة تجاوزت الثلاثة مليارات دولار، حوار مع رئيس اتحاد نقابات عمال فلسطين في غزة. صحيفة الحقائق، لندن، 21/06/2003، تاريخ الزيارة 24 شباط 2007. . net/defaultch.asp? action=showarticle&secid=7&articleid=5639. http:// www.alhaqaeq

عبد الجواد ، صالح انتفاضة الأقصى هل تصحيح مسار 17/05/2006 المعرفة http://wwwaliazeera net /nr/exeres/2a6019da

موراك، ناداف : أهداف إسرائيل في الصراع الحالي : صحيفة كريستيان مونيتر 20 تموز 2006 http ://www.alitthad.com/paper.php?name=news&file=print&sid=18068

النابلسي، محمد احمد، الحرب النفسية في إسرائيل، نقد وتعليق محمد النابلسي 12/06/1427 ، 16/مايو 2004 http://www.mostakbaliat.com/more.htm1

النعامي، صالح : كيف بنت إسرائيل جيشا من العملاء 16/01/1428 http://www . naamy. net/view.php?id=295

النعامي :دور خطير للعملاء في منع العمليات الاستشهادية 29/07/2001 http:www.islamonline>net/Arabic/politice/2001/07/artiche22>shtml

النعامي، صالح محمد : العمليات الإسرائيلية لقمع الانتفاضة ، 20/09/2001 /HTTP://wwwislamonlin net/Arabic /news

لنعامي ، صالح محمد : العملاء في المجتمع الفلسطيني. المعرفة 17/05/2006 Httm://wwwaliazerera net/nr/exeres/4df57e25-9c21-4c21-4a91-a1bc-86d740230at htm

النعامي : صالح محمد : إسرائيل والانتفاضة، القوة سبيلا لخفض توقعات الفلسطينيين. 30/09/2002

النوروزي، محمد جواد : أهمية الحرب النفسية، وجهة نظر إسلامية، 24/08/1427 http://www.balag.com/mosoa/tableg/ut11pvqk.htm

الزرو، نواف : وسائل الإعلام في المواجهات الفلسطينية الإسرائيلية : http:www.sis>gov> ps/Arabic/royal /5/page 11.html

يوسف أبو سمرة : في سيكولوجية المقاومة والاحتلال. الحرب النفسية ضد الرئيس عرفات. شبكة الانترنت للإعلام العربي ، 10 شباط 2002. -http://old.amin.org/view/yousef-abu samrah/2002/feb10.html